يَاقُوتَةُ البَيَانِ

أُرْجُوزَةٌ فِي البَلَاغَةِ وَشَرْحُهَا

تأليف

محمد الصغير الإفراني

المتوفى بعد سنة ١١٥٦هـ

تحقيق ودراسة

عبد الحي السعيدي





دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

ياقوتة البيان

(أرجوزة في البلاغة وشرحها)

تأليف

محمد الصغير الإفراني

المتوفى بعد سنة ١١٥٦هـ

تحقيق ودراسة

عبد الحي السعيدي



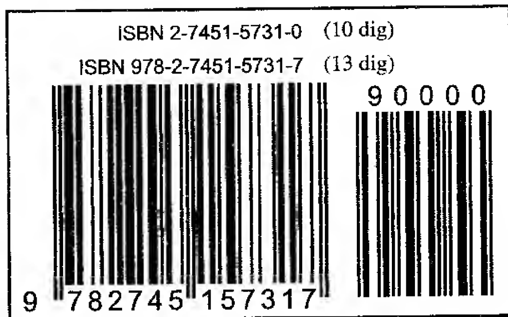
دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

الكتاب: ياقوتة البيان
(أرجوزة في البلاغة وشرحها)
التصنيف: بلاغة
المؤلف: محمد الصغير الإفراني
المحقق: عبد الحي السعيدي
الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 224
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

Title: Yâqūtat al-bayān
classification: Rhetoric
Author: Muḥammad al-Ṣaǧīr al-ʾIfrāni
Editor: ʿAbdul-Ḥayy al-Saʿīdi
Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages: 224
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 1st


ISBN 2-7451-5731-0 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5731-7 (13 dig)
9 782745 157317
90000

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اهتم العرب بالبيان الذي كان يرادف عندهم البلاغة وبلغوا في العناية به الغاية وملكوا أعنته وأفاضوا القول في الحديث عنه وتأليف الكتب والمصنفات فيه، قصد التوصل إلى فهم طبيعة اللغة الأدبية وكيفية اشتغالها جماليا، وتبين أوجه إعجاز القرآن الكريم ونواحيه.

وقد تجاذب مفهوم البيان معنيان: هذا المعنى العام الذي عرفه أكثر الأقدمين الذين سموا هذه البلاغة بيانا، ثم المعنى الخاص الذي حدد فيه البلاغيون معنى البيان تحديدا اصطلاحيا اقتصر على المباحث التي تتناول تلك الفنون أو الأساليب المعروفة في كتب المتأخرين من علماء البلاغة[1].

وقد تأثر البيان في نشأته وتطوره بالعامل الديني، حيث لم يقتصر على الدفاع عن القرآن الكريم والتعرف على وجوه إعجازه، بل تجاوز ذلك إلى فهم معانيه وأساليبه، وهذا كله أدى إلى اتساع دائرة الدراسات الأدبية أو البيانية. ولذلك عُدَّ البيان من العلوم الإسلامية، وبقي الغرض الديني بارزا في توجيه اللسان العربي[2].

وكانت العلاقة بين النقد والبلاغة علاقة امتزاج وتكامل، حيث تقوم البلاغة بمساعدة النقد على النفاذ إلى أعماق النصوص لاستكشاف جماليتها. ومع حلول القرنين السادس والسابع للهجرة تحول الدرس الأدبي من النقد إلى البلاغة. . .

وهذا كان نتيجة تحول عميق في بنية المجتمع العربي بسبب الحملة الصليبية في المشرق والموجة المغولية وزحف الثقافات القومية على الثقافة العربية مما خلق إحساسا مريبا بضياع الهوية العربية الإسلامية، وهكذا ظهرت ميول قوية نحو التأليف الموسوعي والعودة إلى التراث القديم والإلحاح عليه بالتبسيط والاختصار أو الشرح والتذييل[3].

---

(1) البيان العربي بدوي طبانة ص 4.

(2) نفسه ص 20.

(3) مفهوم البيان في الدراسات البلاغية بالمغرب خلال ق 7 و8 الهجريين، عبد الوهاب الأزدي ص 8.

وإذا كانت البلاغة قد اشتد عودها، واتضحت معالمها، وآتت أكلها في المشرق بجهود بلاغيين مبرزين أمثال: عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والفخر الرازي، والسكاكي، وغيرهم، فالضفة الغربية[1]"لم تكن بعيدة عن هذه التطورات، لأن العلاقات كانت متواصلة دائما بين أطراف العالم الإسلامي، فإن المغرب سرعان ما تأثر بالتوجه الفكري العام المهيمن على الدراسات الأدبية المشرقية، وذلك عن طريق هجرة نخبة من علماء المشرق إلى المغرب، وانتشار كتب المشارقة في الأوساط الثقافية المغربية تدريسا أو شرحا أو تلخيصا أو معارضة"[2].

وهكذا برز بلاغيون أو منشغلون بها ضمن انشغالاتهم الثقافية المتنوعة أمثال:

- أبي حيان الأندلسي الغرناطي النفزي (ت 745هـ)
- أبي عثمان سعد بن أحمد التجيبي (ت 750 هـ)
- أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت 658هـ)
- صالح بن شريف الرندي (ت 684 هـ) صاحب مرثية الأندلس.
- أبي الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ)
- بدر الدين بن مالك الأندلسي (ت 686 هـ)
- أبي محمد القاسم السجلماسي (ت 730 هـ)
- أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي (ت 1128 هـ)
- محمد الصغير الإفراني (ت بعد 1156 هـ)
- محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران (ت 1227 هـ)

وقد ترك هؤلاء العلماء وغيرهم، إرثا بلاغيا هاما متنوعا ما بين تآليف، وتلاخيص، وشروح، ومنظومات، وحواشي وصمها بعضهم "بالعقم والتفاهة دون تمييز بين غثها وسمينها، والحقيقة أن مثل هذه الأحكام يجب أن يعاد فيها النظر. . . فالمطلع على محتواها يدرك منذ الوهلة الأولى أنه أمام مؤلفات أصيلة، فيها الكثير من

(1) يقصد بها المغرب بمعناه الجغرافي الواسع المتداول في العرف التاريخي القديم والذي يضم مناطق الشمال الغربي لإفريقيا الشمالية وبلاد الأندلس والتي تعرف في الأدبيات التاريخية بـ"الغرب الإسلامي" مفهوم البيان ص 2.

(2) مفهوم البيان ص 9.

الفوائد الأدبية والعلمية التي لا توجد في غيرها، وفيها الكثير من الآراء النقدية، والمناقشات الذوقية الخاصة بمؤلفيها"[1].

والأرجوزة التي تناولتها في هذا البحث تحقيقا ودراسة، هي من بين الأعمال والتآليف التي أبان بها المغاربة عن مشاركتهم في الميدان البلاغي، وهي من نظم المؤرخ الأديب محمد الصغير الإفراني وتعليقه.

وقد دفعت إلى اختيارها عدة دوافع، منها:

- الرغبة في التمرس بالنصوص القديمة، وهذا باب من أبواب العلم الذي يفتح عيني الباحث على كنوز التراث الدفينة ويوفر له فرصة الاطلاع على مصادر متنوعة من علوم شتى ويعمق تكوينه في مجالات مختلفة.
- إحياء التراث البلاغي المغربي الدفين والاعتزاز به.
- كشف الوجه الآخر للثقافة الموسوعية للإفراني الذي عرف أكثر بالتأريخ وتجلية اهتمامه بالبلاغة ومشاركته في التأليف فيها عن جدارة.
- عدم إقدام الباحثين على تحقيق الأرجوزة بما يوفيها حقها رغم أنها لقمة من القمم الثقافية والفكرية في مغرب القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.
- قيمة الأرجوزة وأهميتها بوصفها من المنظومات التي ألفت في قضية بلاغية وقيام الناظم بشرحها بنفسه.

وقد قسمت العمل قسمين:

أما **القسم الأول** فقد خصصته للدراسة ويتضمن ثلاثة فصول هي:

- **الفصل الأول:** عصر المؤلف وترجمته
  - المبحث الأول: عصر المؤلف
  - المبحث الثاني: ترجمته
- **الفصل الثاني:** النص وقيمته
  - المبحث الأول: المضامين

---

(1) الشروح الأدبية ذات الاتجاه النقدي والبلاغي.بوشتى السكيوي، ضمن كتاب الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب ص 167-168.

- المبحث الثاني: منهج التأليف

- المبحث الثالث: مصادر النص

- المبحث الرابع: شواهده

- المبحث الخامس: تقويم النص: اتباع أم ابتداع.

- **الفصل الثالث**: منهج التحقيق:

- المبحث الأول: النسخ المعتمدة

- المبحث الثاني: منهج التحقيق

وأما **القسم الثاني** فهو مخصص للنص المحقق.

أما المنهج المتبع في الدراسة فليس أحاديا بل هو يمتح من عدة مناهج هي:

- **المنهج الوصفي**: وهو منهج أفقي يصف الظواهر ويبرزها.
- **المنهج التحليلي**: الذي يقوم على النفاذ إلى العمق، والبحث عن العلاقات والوشائج وبيان أوجه التميز والإبداع. . .
- **المنهج التصنيفي**: المرتكز أساسا على تصنيف الظواهر والمعطيات بغية التوصل إلى نتائج موضوعية.
- **المنهج الإحصائي**: وقد استعنت به جزئيا في بيان المصادر التي اعتمدها الإفراني.

وأشكر شكر المعترف بالفضل كل من ساعد على إنجاز هذا العمل حتى يكون في متناول القراء الكرام، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

القسم الأول / المؤلف وأرجوزته

الفصل الأول / عصر المؤلف وترجمته

المبحث الأول: عصر المؤلف

1ـ الوضع السياسي:

شهد المغرب بين موت المنصور الذهبي سنة 1012هـ/1603م، وظهور دولة الأشـراف السجلماسيين غب تخريب زاوية الدلاء سنة 1079هـ/1668م نزاعات وصراعات دامية بين قوى تطمح إلى تثبيت سلطتها وبسط نفوذها، وقد أدت سياسة تقـسيم المملكة السعدية بين أبناء المنصور: زيدان وأبي فارس ومحمد الشيخ المأمون إلى إحـداث نـزاع وتناحر بينهم، فكان كل واحد منهم يرى أنه أحق بالملك من الآخرين وقد صور الإفراني هذه الوضعية بقوله: "لما وهى أمر الدولة السعدية واختل نظامها، وتساوت فيها الأسافل والأعالي، نبغ في كل جهة قائم، وصاح في كل كدية ديـك، وتقاسم الثوار البلاد وصاروا كملوك الطوائف في الأندلس" [1] فدب الضعف إلى جسد الدولة المتهالك واندلعت ثورات عديدة منها:

-ثورة أبي فارس (1012هـ/ 1603م)

-ثورة محمد الشيخ (1015هـ/1606م)

-ثورة ابن أبي محلي (1022هـ/1613م)

-ثورات فاس (1020-1033هـ/ 1611-1623م)

-ثورة أبي حسون (1035-1070هـ/1625-1659م) .

وقد اتخذت هذه الثورات صورا ثلاثا [2]:

-ثورات داخل الأسرة المالكة، تركزت في المدن الكبرى (مراكش، فاس).

-ثـورات شعبية ذات صبغة محلية وكانت تحدث بسبب عدم قدرة الولاة على ضـبط أمـور الحكم، كما حدث بالنسبة لسلا التي صرفت الوالي الذي عينه عليها زيدان.

-ثـورات أو حـركات ثورية وهو الوصف الأصح، قادها صوفية أو فقهاء كالعياشي وابن أبي محلي ويحيى الحاحي وأبي حسون السملالي، وأغلب هذه الحركات

---

(1) روضة التعريف، ص: 30.

(2) السياسة والمجتمع في العصر السعدي، إبراهيم حركات، ص: 99.

كان منطلقها من سوس والنواحي الجنوبية".

هكذا تجزأ المغرب الأقصى إلى إمارات كان زعماؤها إما:

-صلحاء مرابطين أصحاب زوايا كالدلائيين في الأطلس المتوسط أو السملاليين في سوس.

-أبطالا مجاهدين كمحمد العياشي الذي حارب البرتغاليين في البريجة ثم الاسبان في المعمورة إلى أن قتل غدرا سنة 1051هـ/1641م

-رؤساء هلاليين أصحاب عصبية فتية كعرب الشبانات ناحية مراكش.

-رؤساء جمهوريات حرة كسلا وتطوان التي كان أغلب سكانها من مهاجرة الأندلس وكانت تشارك في الجهاد البحري وتتصرف كما لو كانت دولا مستقلة [1].

-ودلت الأحداث المتوالية على عمق الصراع بين هذه الإمارات، وأماطت "الأقنعة الدينية المصطنعة عن الأهداف التوسعية والدنيوية لزعمائها "[2]، من ذلك أن ابن أبي محلي لما قُتل "دخل يحيى الحاحي مراكش واستقر بدار الخلافة منها وألقى بها عصا تسياره، ورام أن يتخذها دار قراره. فكتب له في ذلك زيدان وهو يقول له: إن كنت إنما جئت لنصرتي، وكف يد الثائر عني، فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وإن كنت رمت أن تجر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به. فتجهز يحيى للرجوع لوطنه. . . . وقد قيل إن يحيى رام الملك وأن أجناده من البربر لم يساعدوه على ذلك". [3] ومع انفراط عقد الدولة السعدية بموت عبد الله بن الشيخ المأمون سنة 1036هـ/1627م وقتل آخر أبناء زيدان أبي العباس أحمد بن الشيخ سنة 1069هـ/1658م ظهرت في الساحة قوة الأسرة العلوية السجلماسية[4] التي عملت على مقارعة القوى الأخرى وإخضاعها لسلطتها، إذ عمد محمد بن الشريف -لما تمت له البيعة - إلى مواجهة أبي حسون السملالي وأهل (السوسبلاد درعة وأسفرت

(1) مجمل تاريخ المغرب، عبد الله العروي، 3/ 80.

(2) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17و18، محمد العمري، ص: 8.

(3) نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الإفراني، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي ص: 308.

(4) انظر قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، ص: 77 مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية، ط1، الرباط، 1962.

الحـــروب بينهما عن "انتصار المولى محمد وانهزام أبي حسون وفراره إلى مسقط رأسه من أرض السوس، فاستولى المولى محمد على درعة وأعمالها واتسعت إيالته وتوفرت جمـــوعه وعظمـــت جبايته وطار في بلاد المغرب صيته". [1] هذا الصيت جعل بعض القوى تتحرك لمواجهة أية منافسة تهدد وجودها ولعل أهمها وأقواها شكيمة: الزاوية الدلائية التي لم تقتصر على مهام صوفية علمية تربوية بل تعدتها إلى طموحات سياسية، ومن ثم زحف زعيم الدلائيين محمد الحاج بن أبي بكر الدلائي إلى تافيلالت أوائل عام 1056هـ/1646م فكانت بينه وبين الشرفاء السجلماسيين وقعة القاعة حيث استولى الدلائي على سجلماسة "وفعلت البربر فيها الأفاعيل العظيمة"[2] لكن الزعامة الدينية والسياسية لهذه الزاوية لم تدم طويلا إذ منذ أن ظهر المولى الرشيد واستولى على فاس ومكناس كانت نيته تتجه إلى معقل الدلائيين، ولما دخل زاويتهم"غير محاسنها وفرق جمـــوعها وطمـــس معالمها، وصارت حصيدا كأن لم تغن بالأمس"[3] ونفى علماء الزاوية إلى فاس[4] ونفى محمد الحاج وعائلته القريبة إلى تلمسان و"أجبرت كل زاوية على أن تفتح فرعا لها في فاس يكون مقرها الرئيس حتى يتأتى للسلطة المركزية مراقبة نـــشاطها عن كثب، هذا إجراء أضعف من الأساس نفوذ الزوايا بإبعادها عن قاعدتها المحلـــية، منـــبع قوتها"[5] وبعد كسر شوكة الدلائيين توجه المولى الرشيد إلى مراكش ودخلها دون قتال و"هربت الشبانة لما بلغهم أنه فتك بأهل الدلاء ومزقهم كل ممزق فخامـــر قلـــوبهم من الجزع ماحملهم على الفرار من المدينة إلى بعض شواهق الجبال فدخلها. . . وأفنى الشبانة قتلا. "[6] وقصد الجنوب فأطاح بإمارة إيليغ ومهد السوس ســـنة 1081هـــ[7] لكـــن المنـــية عاجلته سنة 1082هـــ ليخلفه المولى إسماعيل (1082هـ/1139م-1672هـ/1727م) الذي صرف أكثر من عشرين سنة من فترة

---

(1) الاستقصا، 16/7.
(2) المصدر نفسه، 16/7-17.
(3) نفسه، 37/7.
(4) انظر نزهة الحادي، 405. والمحاضرات لليوسي، 102.
(5) مجمل تاريخ المغرب، عبد الله العروي، 86/3.
(6) روضة التعريف، الإفراني، ص: 39.
(7) الاستقصا، 40/7-41.

حكمه لتهدئة الأوضاع في أقاليم المغرب بصفة عامة وفي ملوية والأطلس المتوسط خاصة التي ما تزال وفية للدلائيين، وقد تعاقبت ثورات واضطرابات كثيرة في عهده منها: فاس.[1]

-ثورة ابن أخيه أحمد بن محرز الذي دخل مراكش واستولى عليها سنة 1085هـ[2].

-ثورة أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي واستيلاؤه على المناطق من تادلة إلى سايس سنة 1087هـ[3].

-ثورة بني يزناسن حيث حاربهم السلطان سنة 1091هـ[4].

-ثورة بلاد ملوية وعسكرة السلطان عاما كاملا على نهرها حتى قضى عليهم[5].

-ثورة برابرة فازاز وشن السلطان حملة كبيرة عليهم[6].

-ثورة محمد العالم ببلاد السوس حيث دعا لنفسه وزحف إلى مراكش فحاصرها سنة 1114هـ[7]. وصفها محمد بن الطيب القادري بقوله: "وهذه الفتنة ابتلى الله بها أهل الأفق السوسي فكانت من أعظم المصائب عليهم بل وعلى جميع أهل المغرب"[8].

وقد اعتمد السلطان مولاي اساعيل لتحقيق وحدة المغرب وفرض الانضباط جيشا قويا منظما يتكون من جيش الأوداية وجيش عبيد البخاري الذي يوجد تحت سلطته المباشرة وهو مشابه للإنكشارية عند الأتراك، ولتمويله فُرضت ضرائب باهظة أثقلت كاهل الرعية حيث لم يكتف السلطان "بالإبقاء على الأعشار والزكوات بل زاد

(1) الاستقصا 7/47-48.

(2) نفسه، ص: 7/63. وروضة التعريف، ص: 55 والتقاط الدرر، ص: 224.

(3) الاستقصا 7/53.

(4) نفسه، 7/62 .

(5) نفسه، 7/68.

(6) نفسه، 7/68.

(7) نفسه، 7/90.

(8) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، 3/169.

علـيها النوائب (ج نائبة) بهدف تحرير الأراضي المغتصبة بل جعل من النائبة ضريبة عـوض أن تكون إعانة مؤقتة وطلب أن تؤدى إما عينا وهو ما كان يفضله السكان وإمـا نقـدا لكـن بأسـعار الوقت رغم ما في ذلك من إجحاف، ثم زاد على هذا المكـوس، مـا يؤدى على التجارة الداخلية في الأسواق أو على المواد المستعملة في الصناعات"[1] وقد سلك جباة هذه الضرائب مسالك فيها الكثير من القسوة مما حدا بأحد العلماء الجريئين وهو العلامة اليوسي إلى الجهر بالحق بقوله: "فلينظر سيدنا فإن جـباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وامتشوا العظم وامتصوا المـخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا" [2] وهذا مما ألحق الضعف بالمجاهدين الذين لم تبق في أيديهم سوى العصي والمقاليع بعد أن نُزعت أسلحتهم و"هذا وهن في الدين، وغـرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم(الحركات) وإعطاء العدة كسائر الناس" [3].

ويمكن تلخيص سياسة المولى إسماعيل في ما يلي:

- بناء جيش من نوع جديد.
- تقليص إن لم نقل اجتثاث نفوذ الزوايا.
- الإكثار من الجبايات[4].

ورغم الهدوء النسبي الذي ساد البلاد زمن المولى إسماعيل(5) فإنه بمجرد موته سـنة 1139هـ/1727م تدهورت الأوضاع وعمت الفتن وكان جيش العبيد الذي أسـسه سببها وقادح زنادها لخلو الساحة السياسية من سلطة قوية تجمع حولها كلمة القبائل وتحد من القلاقل والاضطرابات، وأصبحت السلطة محل نزاع بين أبنائه الذين

(1) مجمل تاريخ المغرب، 85/3.
(2) الاستقصا، 84/7.
(3) نفسه، 84/7.
(4) مجمل تاريخ المغرب، 83/3.
(5) انظر المصدر نفسه، قال الناصري: " واستقامت الأمور وسكنت الرعية وهدأت البلاد.تخرج المرأة والذمي من وجدة إلى وادي نول فلا يجدان من يسألهما من أين ولا إلى أين، مع الرخاء المفرط فلا قيمة للقمح ولا للماشية، والعمال تجبي الأموال والرعايا تدفع بلا كلفة ". 97/7.

أضحوا ألعوبة بيد العبيد[1] وساءت الأحوال وانعدم الأمن وعرف المغرب دوامة من الصراعات التي لم تكن طوال عهد المولى إسماعيل سوى نار تحت الرماد ومن ثم نفهم لماذا "تمنى أهل العقول أن لا يعيشوا بعده لكثرة ما تخوفوا من الفتن بغيبته عنهم وعدم القيام بأنفسهم سيما أهل المسكنة والضعف والدعة[2] وبلغ عدم الاستقرار مداه، إذ بين وفاة المولى إسماعيل وتولي حفيده محمد الثالث سنة 1171هـ وُلي الحكم وعزل سبعة ملوك، عزل إبانها عبد الله بن إسماعيل خمس مرات وكان " يحمل ماله معه أينما سار لايفارقه "[3] وذلك لشدة خوفه على بيت ماله وتوجسه من الأطراف المعادية التي تطمع في النهب والسلب لتقوية صفوفها.

"والخلاصة أن عصر الإفراني كان عصر انتماء إما مع السلطة أو ضدها، وقد كان الإفراني من الناحية الثقافية يقف في صف المعارضين في حين فرضت عليه حياته الاجتماعية محاولة التقرب من الدولة" [4].

2 ـ الوضع الاجتماعي:

خلفت الوضعية السياسية المضطربة في العصر الذي عاش فيه الإفراني في الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجريين أثرا بارزا في المجتمع المغربي آنذاك، ورافقت الأوضاع السياسية" أوضاع اقتصادية منهارة وبناء اجتماعي متفسخ، فالمدن كادت تتعطل عن نشاطها، والبادية أخذت تتغير خريطة القبائل بها نتيجة تحركاتها وهجراتها من المناطق الفقيرة إلى الغنية"[5].

ولا شك أن هذه الأحداث تسببت في صدمة عنيفة "أذهلت العقول وحولت عناصر المجتمع إلى مجاذيب وبهاليل لايملكون إلا الهذيان "[6].

وقد كمنت وراء انعدام الأمن وفشو الغلاء والجوع فترات طويلة جملة أسباب أهمها:

---

(1) انظر تفاصيل ذلك في التقاط الدرر ابتداء من ص: 341.

(2) نفسه، ص: 333-334.

(3) الاستقصا، 8/5-6.

(4) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.محمد العمري، ص: 16.

(5) مقدمة تحقيق كتاب التقاط الدرر، ص: 39.

(6) انظر التقاط الدرر ص: 78، الترجمة: 130. وص: 86، الترجمة: 144.

- ثورات القبائل التي لم تكن تهدأ إلا لتعاود الظهور، مهددة طرق التجارة، محرقة الأخضر واليابس.
- مراقبة الأجانب للموانئ التجارية المغربية مراقبة صارمة.

وتتحدث المصادر التاريخية عن المآسي التي عاشتها البلاد إبان تلك المرحلة، وتصور مبلغ المعاناة التي ألقت بظلالها على الأوضاع، يقول الناصري: "ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربع للمد وكثرت الأموات حتى إن صاحب المارستان أحصى من الأموات من عيد الأضحى من سنة اثنتين وألف إلى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة وخربت أطراف المدينة، وخلت المدارس وكثر النهب في القوافل"[1].

وقد تكرر الغلاء والمجاعة والأوبئة [2] سنوات عديدة، منها:

- غلاء سنة 1036هـ: حيث "كان الغلاء بفاس والمغرب "[3].
- غلاء سنة 1060هـ: " وهو غلاء لم يعهد مثله، وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب غلاء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالا ونساء "[4].
- مجاعة سنة 1073هـ: " مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والآدمي وخلت الدور وعطلت المساجد "[5].

وهذه الوضعية لم تكن مقتصرة على منطقة دون أخرى بل عمت جل المناطق، فحاضرة فاس بلغ بها التدهور مداه مما حدا بصاحب الاستقصا إلى وصف حالتها البائسة بقوله: "ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس ونتن أفقها العاطر الأنفاس، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس

---

(1) الاستقصا، 6/54-55.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر مقدمة التقاط الدرر، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، ص: 59 وما بعدها.

(3) نفسه، 6/111.

(4) نفسه، 6/112.

(5) نفسه، 6/28.

تضمحل ويعفو رسمها "[1] وكذلك شأن مراكش التي عرفت المجاعة والغلاء خاصة في عهد عبد الكريم الشباني الذي ثار على السعديين وحكمها إلى سنة 1079هـ " وكان في أيامـــه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف"[2].

- غلاء سنة 1149م وجفافها أي في أخريات حياة الإفراني حيث"قويت الفتن وارتفعت الأسعار للفتن ولقلة الأمطار وقاسى الناس الشدائد العظام من شدة الغلاء، وماتت بالضيقة رقاب كثيرة، وقل الإدام وانقطع اللحم وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع "[3].
- وباء سنة 1090هـ، قال عنه الناصري: "وفي سنة تسعين وألف وقع الوباء العظـيم بالمغـرب فكـان عبيد السلطان يردون الواردين من الآفاق على مكناسة الزيتون"[4].
- جفـاف سنة 1091هـــ حيث "ارتفع سوم القمح إلى قريب من موزونتين للصاع النبوي، وعطش الزرع فصلى الناس صلاة الاستسقاء" [5].
- زلزالان عظيمان، وقع الأول سنة 1030هـ[6] والثاني سنة 1075هـ"فاغتم الناس لذلك وعمهم الرعب واعتقدوا في الحالين أنها الساعة لا محالة " [7].

لكـن البعد الاجتماعي لا يقتصر على الأزمات وانعكاساتها على الأوضاع بل يمـتد ليـشمل قـضايا أخرى مثل "بيع العبيد " و"تعاطي المنبهات " والجدل الدائر حولهما، حيث ذكر القادري أن الرق مشهور في المجتمع، فمدينة فاس تعرضت" لهجوم

(1) نفسه، 58/6.
(2) الاستقصا، 109/6.
(3) تاريخ الضعيف أو(تاريخ الدولة السعيدة)، لمحمد الضعيف الرباطي، تحقيق: أحمد العماري ص: 124.
(4) نفسه، 107/7.
(5) التقاط الدرر، ص: 220.
(6) نفسه 111/6.
(7) نفسه 105/6.

قبائل الحياينة وشراكة وسبوا نساء المدينة وباعوهن في الأسواق "[1] وكانت فاس من المدن المعروفة بتجارة الرقيق التي ربطتها بأفريقيا السوداء، وتحفل كتب النوازل بالأحكام الفقهية حول الرق وما يتصل به. أما مسألة تعاطي المنبهات من مثل التبغ[2] والقهوة فقد ثار حولها جدال فقهي حاد ما بين محلل ومحرم ولم يقتصر هذا الجدال على فقهاء المغرب فحسب بل شارك فيه فقهاء مشارقة.

3 ـ الوضع الثقافي:

شهدت الحالة العامة للبلاد اضطرابا عاما تخللته فترات من الهدوء الحذر والاستقرار النسبي، إلا أن شعلة الثقافة بقيت متقدة لم تنطفئ جذوتها منذ قيام دولة السعديين إلى عهد العلويين رغم الاضطرابات التي شهدتها البلاد، وقد صور الإفراني الوضعية الثقافية المزدهرة على عهد الدولة العلوية بقوله: " حدثنا غير واحد من أشياخنا، قال: " كنا في زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله على صورتها ولا نلقى من يضلع به، بل كانت الأرجوزة المسماة بالسلم لايعرفها غير رجل أو رجلين، فلما مهد الله لهذه الدولة الأكناف وأسمى قدرتها وأناف، تدفقت على الناس العلوم، ودانت صعاب الفنون، حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة، ويكون لهم فيها عارضة مديدة، وقد تخرج في هذه الدولة السعيدة جماعة من الأعلام، لهم القدم الراسخ في العلم، واليد الطولى في الإتقان، وألفوا تآليف حسنة"[3].

أ ـ أسباب النهضة الثقافية:

لعل متأمل النهضة الفكرية والثقافية لهذه الفترة يجد عوامل عدة ثاوية خلفها، منها:

– تقدير السلاطين للعلم والعلماء وتشجيعهم طلب العلم إذ كان "السلطان

---

(1) التقاط الدرر ص95.

(2) انظر الحوار الفقهي الذي دار حول التبغ في كتاب الفوائد الجمة لأبي زيد عبد الرحمان التمنارتي بدءا من ص: 475، تحقيق: د. اليزيد الراضي، ط1، 1999، مطبوعات السنتيسي، الدار البيضاء.

(3) مقدمة روضة التعريف.

مولانا الرشيد رحمه الله تعالى محبا في جانب العلماء، مؤثرا لأغراضهم معظما لحرماتهم رافعا لأقدارهم حتى إنه وجه لبعض الفقهاء يقرأ عليه فامتنع ذلك الفقيه وقال كما قال الإمـــام مالـــك رضي الله عنه العلم يؤتى ولا يأتي وكما قال الإمام محمد بن إسماعيل الـــبخاري رضـــي الله عنه، فلما رجع الرسول إلى مولانا الرشيد وأخبره بقول الفقيه وامتناعه قال: صدق، فكان السلطان مولانا الرشيد يذهب لداره فيقرأ عليه "[1] وكان يجتمع مع علماء وقته في مجالس العلم بهدف " نشر العلم وبثه وإتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبته، فأقبل الناس على التعلم والتعليم، وعمرت أسواق العلم بعدما كانت قد عفت منذ قديم"[2].

أما اهتمام المولى إسماعيل[3] فلا يقل عن اهتمام أخيه المولى الرشيد، فقد بلغت بـــه العناية بالعلم والعلماء أنه " كان يشترط على ملوك أوربا افتداء أسراهم عن كل نـــصراني مقابل مائة كتاب من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى "[4].

- مـــشاركة الـــسلاطين في مختلف العلوم ومحاورتهم العلماء والأدباء في قضايا متـــنوعة، مـــن ذلك -كما أورد الإفراني- أن المولى إسماعيل " كان يتمثل بهذا البيت كثيرا:

وجربت الأمور وجربتني كأني كنت في الأمم الخوالي

وقـــد طلب من أدباء الوقت التذييل على هذا البيت فقالوا في ذلك مقطوعات كقطع الرياض تركناها اختصارا "[5].

- استقرار الأوضاع في ظل الدولة الجديدة " فانتعشت الحركة العلمية، وتبعتها الحاجة الملحة إلى الكتب، ولم تكن الطباعة وصلت -آنذاك- للمغرب ولا لأي جهة إســـلامية أخرى، وهنا برز دور النساخة لتلبي طلبات المتعلمين والمعلمين والمؤلفين.

---

(1) الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، محمد أكنسوس، ص: 117.

(2) تاريخ الضعيف، ص: 56.

(3) انظر تأسيسات المولى إسماعيل في الإتحاف، 157/1ومابعدها.

(4) نفسه، 65/2.

(5) روضة التعريف، ص: 69. وانظر تاريخ الضعيف ص: 92.

وزاد من أهمية هذه المهنة، ظهور الرغبة في تأسيس خزانات جديدة للكتب على المستويات الحاكمة، ومن جهة الميسورين من المثقفين، وعلى مستوى الزوايا"[1].

– رعاية بعض الوزراء وحكام الأقاليم لأهل العلم والأدب وتشجيعهم لهم بوسائل مادية ومعنوية وتنافسهم في ذلك مما فسح المجال للإبداع والعطاء، ومن بين أبرز من يمثل هذا التوجه الوزير اليحمدي أبو العباس أحمد بن الحسن (1060–1132هـ) درس بفاس واستوزره السلطان إسماعيل بعد سنة 1090هـ، وكان في أول أمره قيما على الخزانة السلطانية فاستفاد منها وأفاد أصدقاءه [2]. وممن حظي برعايته الشاعر علي مصباح الزرويلي [3] (1097–1150هـ) الذي اختصه بمدائح كثيرة ضمنها كتابه"**سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي** "[4].

وصنوه في الاعتناء بالعلماء القائد أحمد بن علي الريفي الحمامي [5] ومن أشهر كتابه محمد بن سليمان.

– إيلاء العناية للمدارس ودور العلم، فقد" أبدى السلطان الرشيد مآثر جميلة في مصالح المسلمين كبناء المدرسة التي بحومة الشراطين[6] من فاس وأتى على بنائها من الأساس، . . . فبالغ في إتقانها صنعا وبذل المجهود في إحسانها وضعا "[7] وشيد كذلك مدرسة الصفارين حيث استمر العمل فيها من سنة 1081 إلى سنة 1089هـ، والخزانة العلمية بالجانب الجنوبي من الجامع الأعظم بفاس أيضًا [8].

– إغداق العطايا على العلماء والأدباء وتشجيعهم على التأليف والتثقيف

---

(1) تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنوني، ص: 113.

(2) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب، محمد العمري، ص: 41، وانظر ترجمته في الإتحاف: 109/4.

(3) انظر ترجمته في"مؤرخو الشرفاء" لبروفنصال، ص: 190. والنبوغ المغربي، 315/1و276/3–277.

(4) الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، محمد الأخضر، ص: 220–221.

(5) انظر الاستقصا 160/7.

(6) هي المعروفة بالمدرسة الرشيدية التي درس بها الإفراني إبان فترة الطلب وفيها ألف كتابه "المسلك السهل إلى توشيح ابن سهل. ".

(7) تاريخ الضعيف، ص: 56.

(8) الحياة الأدبية. محمد الأخضر، ص: 69.

والإبداع والاجتهاد[1] إذ إن المولى الرشيد لما دخل فاسا " أفاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا وبسط جناح الشفقة على أهلها، وأظهر السنة ونصر الشريعة فحل من قلوب أهلها بمكان رفيع"[2]، ولما مدحه أحد الطلبة الجزائريين بقوله:

فاض بحر الفرات في كل قطر غرق ... من ندا راحتيك عذبا فراتا
الناس فيه والتمس الفقـ ... ـر خلاصا فلم يجده فماتا

وصله بمال جزيل[3].

وفي السياق نفسه قال الفقيه الكاتب أبو حفص عمر الحراق من قصيدة يخاطب بها كتاب الحضرة الأمامية:

أكتاب الإمام لقد سعدتم ... بآثار لسيدنا سديدة
دنوتم من قصور أبي المعالي ... وقد كانت منازلكم بعيدة
وما دار تقرب منه إلا ... مباركة بلا ريب سعيدة

وقد أجازه السلطان على هذه القصيدة بأربعمائة مثقال"[4].

- تخريب الزاوية الدلائية الذي وإن بدا مأساة إلا أن له أبلغ الأثر في ازدهار الثقافة والفكر في العصر العلوي الأول (1075-1171هـ/1664-1757م) بسبب نقل العلماء الدلائين إلى فاس واحتدام المنافسة بينهم وبين العلماء الفاسيين مما ضخ دماء جديدة في جسد الثقافة في حاضرة فاس خاصة والمغرب عامة [5].

- لم تنتعش الحركة العلمية والأدبية في رحاب الموالين للسلطة والدائرين في فلكها فحسب بل كان للثائرين والمعارضين نصيب في ذلك، ومن أعلام المعارضين وروادهم العلامة اليوسي وعبد السلام جسوس ومحمد التفنكلتي وعلي مصباح الزرويلي وغيرهم، فكان أن تميزت الثقافة بالحركية والتفاعل فهناك الرأي والرأي

(1) انظر دعوة السلطان إسماعيل العلماء إلى الاجتهاد ونبذ الجهل والتقاعس في الاستقصا، 66/7.
(2) روضة التعريف، ص: 38.
(3) نفسه، ص: 40.
(4) الإتحاف، لابن زيدان، 156/1.
(5) انظر تاريخ الضعيف، ص: 47، نشر المثاني، ص: 175، نزهة الحادي، ص: 427. الاستقصا، 37/7. التقاط الدرر 175.

الآخر يسلكان سبيل المحاجة ويغلبان لغة العقل تارة وتطغى العاطفة تارة أخرى فيكون الصراع محتدما عنيفا.

ومـــن المعارضين الذين وسموا المرحلة بميسم الحيوية والعطاء وتشجيع الإبداع محمد بن إسماعيل أحد أبناء البيت العلوي وهو الملقب بالعالم لما بلغ من علم ومعرفة، وما كان يتداول في مجالسه من معارف وإبداع جمعه مؤلف مجهول في كتاب "نفحات الـــشباب" (1) حـــتى إنـــه لقب ب"أمير سوس" مقابل "أمير الغرب" أي أبيه المولى إسماعيل(2).

- التواصـــل العلمـــي والأدبي بـــين المغـــرب والمغرب العربي وبين المغرب والمـــشرق، إذ لم يكـــن الأدب المغربي طوال تاريخه بمعزل عن المؤثرات المختلفة الـــواردة من الشرق والأندلس، بل كان ثمة تفاعل مستمر، فالأديب المغربي محمد بن زاكور (ت 1120هـــ) قصد الجزائر وأخذ عن علمائها وعن "مفتيها سيدي محمد بن ســـعيد قـــدورة"(3) خاصـــة، ومـــن الجزائر وفد الشاعر أحمد التريكي تلميذ سعيد المنداســـي(4). وممـــا يجلي هذا التواصل مدح أحد الطلبة الجزائريين المولى الرشيد ببيتين(5).

- أما التواصل بين المغرب والمشرق فقد كانت وشائجه موصولة منذ أمد بعيد وتدل على ذلك الرحلات التي قام بها المغاربة لأداء مناسك الحج والاستزادة من العلم وإنفاقه في الآن نفسه، واستجازة العلماء المشارقة، من هؤلاء العلماء أبو سالم العياشي (ت 1090هـــ) " صـــاحب الرحلة الكبيرة الجمة الفوائد الغزيرة النفع في المصادر

---

(1) انظر سوس العالمة ص: 65، والمعسول 287/18 فما بعد.

(2) رحلة الوافد، صص: 224-225.

(3) التقاط الدرر، ص: 304.

(4) القصيدة، عباس الجراري، ص: 608.

(5) هما البيتان الواردان في الصفحة 20 من البحث، قال عنهما محمد العمري في كتابه: "الإفراني وقضايا الثقافة والأدب." ص: 50 "وربما كان هذان البيتان للشاعر الزجال أبي عثمان سعيد التلمساني الذي وفد على ملوك الدولة العلوية، ونظم قصائد كثيرة في مدح السلطان إسماعيل، فحصلت بينه وبين أدباء المغرب جفوة ".

والمـــوارد ولـــه فهرسة جامعة لأشياخه في أنواع العلوم"[1] وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1129هـــ) من رجال الزاوية الناصرية "ولي صالح نحوي ولغوي مؤرخ، له كتاب "الأجوبة" وتأليف في الصلاة على النبي، وألف رحلة في ذهابه للمشرق" [2] ومحمـــد بـــن سليمان الروداني المتوفى سنة 1094 هـــ بدمشق، "كان ماهرا في علوم الحكمـــة والهيئة والتنجيم والحساب والمنطق"[3] ، ومحمد البوعصامي الذي "شهد له علمـــاء القاهرة بالتفوق في الموسيقى ثم عاد إلى مكناس واشتغل بالتدريس"[4] ، وأبو الحـــسن علـــي مندوصة الشاعر، والأديب محمد بن الطيب العلمي (ت 1135هـــ) بالقاهرة. كما أن شيخ الإفراني محمد بن عبد الرحمان الفاسي رحل إلى المشرق وكتب رحلـــة دون فيها مجرياتها وأجازه علماء مشارقة؛فالرحلة إلى الشرق كانت مبتغى كل عالم ولذلك يستغرب أحد الدارسين ألا يتمكن الإفراني من تحقيق هذه الأمنية[5].

– ومـــن الأدبـــاء المشارقة الذين قصدوا المغرب وكان لهم حضور قوي في الـــساحة الثقافية: الشاعر الصوفي شيخ الإفراني سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت 1120هـــــ) الـــذي"أنفق عمره في الأمداح المحمدية واغتنم بها طلب السعادات الأبدية وأكثر من القصائد الرفيعة والأزجال البديعة"[6] حتى لقب بـــ"مداح النبي".

– الاهتمام بالتراث الأندلسي والسعي إلى إحيائه، خاصة في نهاية القرن الحادي عشر وأوائل القرن الهجري الثاني عشر"حين أخذ ابن زاكور وابن المسناوي والعلمي والإفـــراني يعنون بهذا الأدب، فأعادوا ربط الصلة بذلك التراث الذي أصبح من أهم مصادرهم الثقافية، فنظموا عددا وافرا من الموشحات"[7] وقام الإفراني بشرح توشيح ابراهيم بن سهل الإسرائيلي في كتابه "المسلك السهل" الذي "يعتبر في حد ذاته عملا

(1) التقاط الدرر، 213.

(2) نفسه، ص: 312-313.، والحياة الأدبية. ص: 172.

(3) التقاط الدرر، ص: 229. الحياة الأدبية.محمد الأخضر، ص: 106.

(4) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص: 48.

(5) نفسه، ص: 49.

(6) نشر المثاني، 198/3.

(7) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص: 52.

جريئا وربما فريدا في تصوير الامتزاج الثقافي بين المغرب والأندلس"[1].

ب ـ المراكز الثقافية:

عرفت الثقافة في هذا العصر انتعاشا بعد ركود وحيوية بعد جمود، فبدأت تظهر في الأفق تباشير نهضة علمية وأدبية تجدد ما عفا رسمه من علم وفكر كانت هذه الربوع مسرحا له على عهد الدولة السعدية؛ وبعيد فترة الاضطراب، عادت دماء العلم والأدب تسري من جديد في شرايين كيان كاد يتهاوى.

وكانت مراكز العلم مبثوثة في المدن والبوادي حافلة بالعلماء والطلبة تتدارس فيها العلوم المختلفة. وسنستعرض بعض هذه المراكز التي كان لها إشعاع قوي. إلا أن هذه المراكز ليست كلها بنفس المستوى بل " تتفاوت فيما بينها عملا وتأثيرا "[2].

1ـ المدن:

فمن المدن التي ازدهرت العلوم في رحابها وكانت معينا ثرا نهل منه الطلاب:

- فاس:

عرفت أول مركز تعليمي هو جامع القرويين الذي بني سنة 263هـ وكان" بعد سقوط الأندلس المقصد الأول لعدد كبير من مشاهير العلماء في شتى العلوم وأنواع المعرفة منهم على سبيل المثال الفيلسوف ابن باجه والوزير العالم لسان الدين بن الخطيب والعالم الكبير أبو العلاء بن زهر وأبو القاسم الغساني والجغرافي الشهير الشريف الإدريسي وغيرهم كثير" [3]، فلا غرو أن يكون لها إشعاع علمي منذ أن أسسها إدريس الأول سنة 292هـ؛ وأن ينبغ فيها علماء درسوا وكونوا طلبة حملوا مشعل الثقافة بعدهم، ليس في فاس فحسب بل في المغرب كله وبالاضافة إلى جامع القرويين "كانت هناك عدة مساجد بمثابة مدارس ممهدة للالتحاق به... وصل عددها

(1) نفسه، ص: 52.

(2) مراكز الدرس والتكوين وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل، ، للدكتور عبد الله المرابط الترغي، مجلة دعوة الحق، عدد: 324، دجنبر 1996، ص: 79.

(3) مستقبل جامعة القرويين، يوسف الكتاني، مقال بدعوة الحق، عدد 363، يناير 2002م، ص: 24.

إلى زهاء الثمانمائة "[1] وقد وصف الإدريسي(ت 1153هـ) فاسا بقوله: "ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى"[2] وقال عنها ابن خلكان(ت 681 هـ): "هي مدينة كبيرة بالمغرب بالقرب من سبتة خرج منها جماعة من العلماء"[3] فكانت في الطليعة واحتلت "مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، سواء عندما كانت ما تزال خاضعة للمتأخرين من الوطاسيين، أو بعد أن دخلت تحت سلطة السعديين"[4]، غير أن هذه الحركة العلمية وإن انحسرت نسبيا بعد وفاة المنصور السعدي إلا أنها انبعثت من جديد في عهد العلويين، وقد كانت فاس على امتداد تاريخها مقصد طلاب العلم وعشاق المعرفة من مختلف البقاع وكانت مجالسها " آخر المجالس التي يستكمل الطالب فيها مرحلة الطلب والتلقي، فتكون بمثابة مرحلة الدراسات العليا، يتم بها التخرج ويتحقق معها الإشهاد باكتمال هذا الطالب في العلم، وتحصيل مواده، وذلك بالإجازة له في الرواية والتحمل... والتصدر للتعليم والتأليف والإفادة"[5]، وقد احتفظت فاس بـ"مميزاتها القديمة المرتكزة على التعمق في دراسة الفقه المالكي والعناية الفائقة بعلوم القرآن، دون أن تغض الطرف عما حمل إليها من العلوم الحديثية والعقلية" [6].

أما المدارس بحاضرة فاس فهي عديدة منها مدرسة الشراطين ومدرسة العطارين والمدرسة المصباحية ومدرسة الصفارين[7] وغيرها. وهذه الحركة العلمية النشيطة تستلزم وجود مكتبات زاخرة بالمراجع المتنوعة التي توسع أفق الطلبة العلمي؛ ولعل أهم خزانة بفاس هي خزانة القرويين التي " تأسست في عهد بني مرين

(1) تجربة التعليم العالي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري، مقال للأستاذ علي بنبريك في مجلة الجامعة التي يصدرها اتحاد جامعات العالم الإسلامي، العدد 3، 1423هـ/2002م، ص: 391.

(2) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق إبراهيم الزيبق،ط1، عالم الكتب، 1989م، 246/1.

(3) وفيات الأعيان، 171/1.

(4) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 345/2.

(5) مراكز الدرس والتكوين.عبد الله المرابط الترغي، مجلة دعوة الحق، ص: 57، عدد328، 1997 م.

(6) نفسه، ص: 345.

(7) انظر حول المدارس بفاس، مقالا للزبير مهداد بدعوة الحق، عدد363، يناير2002 م، ص: 55 ومابعدها.

وبالـتحديد في منتصف القرن الثامن الهجري "[1] وتتنوع الخزانات إلى خاصة وعامة لكـن خـزانة القـرويين رغم أنها كانت سلطانية "فقد اتخذت الطابع العمومي منذ تأسيسها ولم تكن خاصة أو نخبوية، بل جعلها مؤسسها لعامة المسلمين[2].

▪ مكناس:

لم يكـن لحاضرة مكناس حضور بارز كبقية الحواضر المغربية قبل العلويين ولعـل الـسبب راجع إلى قربها من مدينة فاس التي كانت لها الريادة العلمية، لكن الوضعية تغيرت مع الأشراف العلويين الذين جعلوها محط اهتمامهم فاتخذها المولى إسماعـيل عاصـمة فعظم عمرانها وكثر رواجها فاتجهت إليها الأنظار وأصبحت مقـصد العلماء والطلبة وأقيمت بها حلقات العلم والدرس، لأن العلم يتزايد بتزايد العمـران كما يقول ابن خلدون: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"[3] وقد استمدت هذه الحاضرة أهميتها من جملة اعتبارات أهمها[4]:

أ–حضور مشيخة مهمة من العلماء في مكناسة، وتتمثل في:

- **شيوخ من أبناء مكناس ممن اهتموا بالعلم، ومارسوا تدريسه، منهم:**
  - محمد بن الحسن المجاصي[5] (ت 1103هـ)
  - محمد بن أبي مدين السوسي (ت 1120هـ)
  - عبد السلام البيجري(ت 1132هـ)
  - محمـد بـن محمـد بـن محمـد بن أحمد بن يوسف الفاسي (ت 1152هـ) [6].

---

(1) خزانة القرويين بين الماضي والحاضر والمستشرف.علي الغزيوي، دعوة الحق، عدد363، يناير 2002م، ص: 30.

(2) نفسه، ص: 30.

(3) المقدمة، ص: 383.

(4) مراكز الدرس والتكوين وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان المولى إسماعيل، مقال بمجلة دعوة الحق، عبد الله المرابط الترغي، عدد328، ماي يونيو 1997م ص: 67 وما بعدها.

(5) انظر ترجمته في نشر المثاني 55/3، التقاط الدرر 262.

(6) نفسه، 105/4.

- محمد بن عبد الرحمان بصري المقرئ (ت 1124هـ) [1] (ت 1150هـ).

- **الشيوخ الوافدون على مكناس:**

حيث " اشتغلوا بالعلم وأداروا مجالسهم به، وهم يمثلون عددا كبيرا "[2] منهم:

علماء دلائيون درسوا بمكناسة، مما نقل إشعاع الزاوية الدلائية إلى الحاضرة الإسماعيلية، منهم:

- أحمد بن يعقوب الولالي[3] (ت 1128هـ).
- الشيخ سعيد العميري (توفي 1131 هـ).
- عبد السلام بن الشاذلي الدلائي (ت 1109 هـ).
- الطيب بن الشاذلي الدلائي (ت 1107 هـ).

وهناك علماء آخرون من غير الدلائيين وفدوا على مكناس نذكر منهم:

- البهلول البوعصامي (ت 1126 هـ) [4].
- ابن عمه محمد بن عبد الرحمن البوعصامي[5].
- أبو بكر الفرجي المراكشي[6] (ت 1133 هـ).
- أحمد الشدادي الكبير[7] (ت 1146 هـ).
- عمر لوقش[8] (ت 1149 هـ).
- الحسن بن رحال المعداني [9] (ت 1140 هـ).

---

(1) نفسه، 57/4.
(2) مراكز الدرس والتكوين.عبد الله المرابط الترغي، ص: 69.
(3) ترجمته في الإتحاف، 340/1.
(4) ترجمته في الإتحاف 128/4.
(5) الأنيس المطرب 174، وترجمته في الإتحاف 118/4.
(6) الإعلام للمراكشي 219/1، أعلام المغرب العربي 261/1.
(7) ترجمته في الإتحاف 341/1.
(8) ترجمته في تاريخ تطوان 167/2-18/3.
(9) نشر المثاني، 294/3.

- عبد القادر بن شقرون المكناسي[1] (ت بعد 1140 هـ).

أثمرت جهود هؤلاء العلماء وآتت أكلها نشاطا فكريا وحركة علمية ذائعة الصيت منطلقها حاضرة مكناس مما لفت إليها الأنظار فقصدها العلماء والأدباء والطلاب، فقامت دولة الأدب وانتعشت حركة التأليف والإبداع.

ب ـ اتخاذ السلطان مكناس عاصمة واهتمامه بمجالس العلم بها:

حيث كان يستقدم العلماء لحضور بعض الدروس كما ذكر صاحب النشر من أنـه "ورد الأمر من السلطان مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، بإشخاص الفقهاء لحضورهم ختم التفسير عند القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين المجاصي. فخرجوا من فـاس إلى مكناسة وحضروا الختم في قبة من دار السلطان، وهيأها لهم بالبساط والفراش الرفيع، وأطعم طعاما كثيرا وفرق الدراهم فكان من مشاهده الجليلة وصنائعه الجميلة[2]. وكان السلطان يلزم بعض العلماء المبرزين ملازمته والتدريس بمسجده مثل سعيد بن أبي القاسم العميري الذي "لما رآه السلطان في نباهته وفصاحته وتحصيله وحسن إدراكه وتفصيله، أعجب به كل الإعجاب، وألزمه ملازمة مسجده والتدريس به، وولاه قضاء حضرته"[3].

ج. كون مكناس مركز جذب للعلماء والطلبة:

مما أنتج حركة علمية وأدبية مزدهرة وأضحت الحاضرة الإسماعيلية تعج بالأدباء والشعراء والكتاب، وممن برزوا في خدمة السلطان المولى إسماعيل: محمد بن محمد القيسي[4]، والشاعر عمر الحراق، والوزير محمد بن الحسن اليحمدي القيم على الخزانة السلطانية التي أنشأها السلطان المولى إسماعيل، والكاتب الأديب السيد الشرقي الإسحاقي صاحب الصلة الحجازية الشهيرة، والكاتب الأديب الشاعر عبد الحق بن

---

(1) وقع بروفنصال في خطأ لما أدرج المترجم بين أصحاب كتب التراجم في القرن 12 هـ 18 م، بسبب كتاب ظن أنه هو مؤلفه. راجع (الحياة الأدبية) ص 206.

(2) نشر المثاني 1357/2.

(3) نفسه 238/3.

(4) ترجمته في الإتحاف 60/4.

عبد الكبير السحيمي الذي فاق أقرانه في الشعر[1]، ومن الشعراء الذين وفدوا على السلطان طلبا للعطاء والنوال الأديب الشاعر سعيد المنداسي التلمساني[2]، والشاعر عبد الله الشنجيطي الشهير بابن رازكة والشاعر محمد بن عمر الولاتي[3]، وغيرهم.

د. ازدهار علوم عديدة بمكناس[4]

- **علم الأنساب:** والأنساب الشريفة خاصة حيث ألف فيها القاضي محمد بن الحسن المجاصي. تقييدين: **الأول** نظم في أشراف المغرب **والثاني** تقييد في الأشراف الجوطيين[5]، وألف محمد بن عبد السلام البيجري (ت 1169 هـ) رسالة في أسمائها: "الإنفاق في القضاء بين النقيب وبين من انتسب إلى بيت النبوة من الأشراف"[6].
- **علوم القرآن:** حيث برز في القراءات ابن درا الشاوي (ت 1150 هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن بصري المقرئ (ت 1124 هـ).
- **علم الأزياج والأوقاف والفلك:** وقد اشتهرت به أسرة المعزاوي المكناسية. ومن أكبر المؤقتين في العصر الإسماعيلي عبد الرحمن بن محمد الفاسي[7]. ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفاسي الشاوي المعزاوي[8] (ت 1169 هـ) وعبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الشاوي المعزاوي (ت 1169 هـ) [9].
- **المديح النبوي:** اهتم بشرح نصوصه علماء مكناسيون خاصة قصيدة الهمزية

(1) مراكز الدرس والتكوين.ص 73.

(2) سعيد بن عبد الله التلمساني المنشأ أبو عثمان شاعر له قصيدة لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم توفي سنة (1088 هـ/1677 م) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة 225/4.

(3) ترجمته في الإتحاف 66/4.

(4) راجع: مراكز الدرس والتكوين ص 73.

(5) انظر الإتحاف 50/4.

(6) انظر المصادر للمنوني 182/1.

(7) انظر الإتحاف 285/5.

(8) نفسه 88/4.

(9) نفسه 331/5.

وذلــك لمــا تتميــز به من صور بلاغية رائعة تمثل البلاغة العربية في أجلى صورها وقد ابتغى شارحوها كمثيلتها البردة: "إلى جانب الفائدة العلمية فائدة عملية، ومنفعة دينية هي البركة"[1].

مــن هــؤلاء الشراح: يحيى بن عبد الواحد الجوطي الشبيهي، محمد المفضل الفلوسي، وقاضي مكناس عبد القادر السجلماسي[2].

وقــد شهدت الحاضرة الإسماعيلية نشاطا علميا وأدبيا متميزا تدل عليه الأسماء العلمــية والأدبية التي أبدعت وألفت في مختلف المجالات العلمية منها والأدبية، ولعل الإطــلاع علــى بعــض المــؤلفات مــثل الأنــيس المطرب لابن الطيب العلمي (ت 1134 هــــ) يميط اللثام عن أعلام أثروا الحياة الثقافية في مكناس لذلك العهد، مــنهم: عمــر الحراق (ت 1141 هــ) ومحمد البوعصامي، وعبد القادر بن شقرون (ت 1143 هــ) وأحمد دادوش...

ومــن الملاحــظ أن "ما هيأه مركز مكناس من عوامل النشاط الأدبي في هذا العــصر، بكثــرة أسماء شعرائه، وكتابه وتآليف رجاله في الأدب وعلومه كان ذا تأثير كــبير في صــياغة الحــركة الأدبــية العامة التي عرفها مغرب المولى إسماعيل وإنجاز معالمها"[3].

- **مراكش:**

مــنذ أن أســس المــرابطون حاضرة مراكش سنة 454 هــ وهي مركز هام اقتــصاديا وثقافيا. وأضحت صلة وصل بين شمال المغرب الأقصى وجنوبه، قال عنها صاحب المعجب "هذه آخر المدن الكبار بالمغرب المشهورة به وليس وراءها مدينة لهــا ذكــر وفــيها حضارة إلا بليدات صغار سوس الأقصى"[4]. ولم تصل إلى قمة ازدهارها وأوج عزها إلا مع المنصور الذهبي. " فغدت المركز الثقافي الأول في الغرب

---

(1) بردة البوصيري قراءة أدبية فولكلورية در محمد رجب النجار، حوليات كلية الآداب الكويت، 1986 م. ص 66.

(2) انظر الإتحاف: 4/317-5/331.

(3) مراكز الدرس والتكوين عبد الله المرابط الترغي، القسم الثالث دعوة الحق عدد 326 ص 77.

(4) المعجب 1/361 .

الإســـلامي إن لم نقل في العالم الإسلامي كله، كاد يكون جميع رجال البلاط وذوي المناصب السامية المدينة العسكرية فيها من رجال الفكر، إلى تكاثر العلماء والطلبة في المســـاجد والمدارس وتعدد المناظرات العلمية والمساجلات الأدبية، واتساع حركة تأليف الكتب وانتساخها أو حملها مع القوافل التي لا تنقطع من الشرق والجنوب"[1].

وقد شهدت المدينة إبان عهد العلويين- في العصر الأول منه خاصة -حركة ثقافية لا يستهان بها، يتجلى ذلك في إقبال الطلبة على الدرس والتعلم حتى إن بعض المجـــالس تغـــص بهم خاصة مجلس الإفراني في التفسير الذي وقع عليه إقبال منقطع النظير ووقع الاحتدام و"المضاربة بمجلسه بين الطلبة، وانقسم عليه طلبة المدينة على قـــسمين قـــسم يحـــبه وقسم يبغضه"[2] ولعل في هذا الصراع المتأجج بين أنصار ومعارضـــي الإفراني دلالة على الحركية التي أضفاها حضوره المتميز على الحاضرة المراكـــشية ممـــا جعل الطلاب ينسلون إليها من كل حدب، وبذلك مدت جسور التواصـــل العلمـــي بـــين حمراء مراكش في شخص ممثلها الإفراني (في حدود سنة 1130)، والـــسوس الأقصى حيث "شاع حينئذ خبره في البلدان والسوس ويكتبون إليه الأسئلة من كل أرض"[3]. ولم تكن هذه الأسئلة في غالبيتها إلا تعجيزية، لكن الإفراني لا يستسلم بل يجيب جوابا مستفيضا مفحما[4].

ومـــن الملاحـــظ ازدهار التعليم في مدارسها ومساجدها ولعل أبرزها الجامعة اليوســـفية الـــتي انتعشت بها سوق العلم". فالتعليم بمراكش كان وليد الأندلس التي وطدت دعامته باليوسفية منذ نشأتها أوائل المائة السادسة لذلك اخصبت مرابعها في عهـــد وجيـــز"[5] ومن العلماء الذين عاشوا بين أحضان هذه الحاضرة وأثروا حياتها العلمية والثقافية بما أنفقوا من علم تدريسا وتأليفا وتوجيها:

- الفقيه الصالح العربي المراني[6].

---

(1) الحركة الفكرية محمد حجي. 378/2.

(2) رحلة الوافد ص 226.

(3) نفسه ص 227.

(4) نفسه ص 227.

(5) الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، محمد عثمان المراكشي. ص: 241.

(6) الإعلام المراكشي 54/5.

- أحمد بن علي المواسي السوسي (ت 1130هـ) [1].
- المؤرخ الأديب محمد الصغير الإفراني [2].
- وأبـــرز ظاهرة تعليمية بمراكش أيام أحمد المنصور الذهبي وهي وفرة العلماء الطـــارئين على العاصمة من داخل المغرب وخارجه، ويأتي في الطليعة علماء فـــاس حتى لا تكاد تجد بها منهم إلا وقد أقام مدة طويلة أو قصيرة بمراكش ودرس فـــيها أمثال: أحمد المنجور، وعبد الواحد الحميدي وأحمد الزموري، وأبي القاســـم ابـــن سودة وأبي القاسم بن أبي النعيم وأبي القاسم بن القاضي وأحمد بن القاضي وأحمد بابا التنبكتي وغيرهم... [3].

○ **من أعلام مراكش:**

- محمد بن يوسف التاملي المراكشي (ت 1048) [4].
- أبو بكر يوسف السكتاني (ت 1063) [5].
- محمد بن محمد الرحماني المراكشي (كان حيا 1070 هـ) [6].
- أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي السوسي[7] (ت 1089) .
- عيسى السكتاني القاضي نزيل مراكش[8] (ت 1062هـ) .
- محمد يوسف التملي [9] (ت 1048هـ).
- أحمد سليمان الرسوكي الفرضي.
- أحمد بن عبد الله بن مسعود الإيلالي.

---

(1) انظر ترجمته في نشر المثاني 356/1.

(2) انظر ترجمته في هذا البحث ص: 59.

(3) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين محمد حجي 382/2 وانظر العلماء الذين قصدوا الحضرة المراكشية في الكتاب نفسه من ص: (382 إلى ص 404).

(4) فهارس علماء المغرب ص 645، سوس العالمة ص: 187.

(5) انظر ترجمته في النشر 66/2، والإعلام المراكشي 215/1.

(6) ترجمته في الإعلام المراكشي 294/5.

(7) المعسول 188/10، انظر ترجمة مستفيضة بالنشر 241/2.

(8) نفسه ص: 647.

(9) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص: 108-نشر المثاني 177/1.

- **تارودانت:**

تارودانت قاعدة بلاد السوس وحاضرته العتيقة المشتهرة بخيراتها وإشعاعها العلمي والثقافي منذ عهود، قال عنها الوزان: "مدينة عظيمة أسسها الأفارقة الأقدمون"[1]. وهي مدينة لا يذكرها المؤرخون الجغرافيون "إلا مقرونة بثروتها العظيمة من أشجار الفواكه والزيتون والصناعات المعدنية ومناسج الثياب ومعاصر قصب السكر وما إلى ذاك مما اشتهرت به هذه المدينة في عصور مختلفة"[2]. بل أصبحت تزاحم الحواضر والمراكز العريقة، فهي "أم القرى والأمصار... ذات القصور المشيدة والدواوين الموطدة والرياض المفوفة والأنهار المطردة والمساجد المزخرفة والمآذن المنخرطة بلآلئ النجوم المشنفة لا يطير تحت جناحها البلد الجديد من فاس الذي هو عند بني مرين... ولا قصبة مراكش التي هي عند الموحدين... وإذا ذكرت المحمدية لف كل منهما رأسه استحياء"[3] وقد شهدت المدينة حركة أدبية متميزة إبان حلول محمد العالم بن إسماعيل بها، حيث استقدم معه علماء وأدباء من حاضرة فاس كمحمد بن أحمد المسناوي وغيره، والتف حوله جماعة من الأدباء السوسيين، فقد كان "عالما مشاركا وأديبا شاعرا ذكر المؤرخون أن والده كان يحترمه لعلمه وفطنته وكان يستشيره في كل شؤون المملكة... وكان عاملا على درعة ومراكش وسوس وعاصمته تارودانت سنة 1111هـ/1699م"[4]. وقد حفظ لنا صورة عن تلك الحركة الأدبية كتاب "**نفحات الشباب أو نزهة الأحباب في ذكريات الأحباب**" وهو كتاب صغير مبتور في آخره[5] وهو على بتره يفيض بفوائد أدبية جمة من مساجلات وقصائد وتواريخ وأيام وأسماء أعلام برزوا في ميدان الأدب. لكن مؤلف هذا الكتاب مجهول، لا نظفر مما خطته يده إلا ما كان من انتسابه إلى تارودانت وميله إلى الأدب. "فوجدتني إذ ذاك فارغ البال ولم يكن لي عيال وبيدي مال وفير وعندي دخل

---

(1) وصف إفريقيا للحسن الوزان، ص 117.

(2) تارودانت في أقلام المؤرخين، عبد القادر زمامة، ص 110.

(3) مناهل الصفا للفشتالي ص 253.

(4) الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، محمد الأخضر ص 147.

(5) المعسول 286/18.

كثير"[1].

ومن أبرز الرواد المترددين على نادي محمد العالم والذين نالوا إعجاب حاشية الأمير: "الأديب الفقيه سيدي محمد بن الحسن الإيلالي، والأديب الفقيه سيدي محمد بن أحمد الرسموكي... وربما كان غيرهم ولكن هؤلاء صفوة تلك الحلبة في سوس وغيرهم إنما يأتي من شعره بقول مأنوس"[2].

وقد عرفت منطقة سوس وحاضرتها تارودانت نهضة تعليمية هامة ازدهرت العلوم المختلفة في مدارسها ومساجدها، وإلا لم تكن هذه المدينة لتشهد أمثال هؤلاء الأدباء والعلماء الواردة أسماؤهم في كتاب النفحات، يقول أحدهم عن مذاكرة بمحضر الخليفة حول مسألة لغوية: " وذلك معلوم عندنا في سوس ضروري، تعد المذاكرة فيه في مجالس الأنس كمثل المذاكرة في الفاعل والمفعول والمضاف والمضاف إليه، وذلك كله ثقيل، لأنه معروف ضروري شبعنا منه في "الموضح" وشروح الألفية كالشاطبي والمرادي وأمثالهما" [3] ولم يسع الخليفة إلا أن يشيد بتكوينهم المتين ونبوغهم المثير للإعجاب، وذلك حيث يقول بعد إنهاء مساجلته: "كفى كفى فقد بالغتم وفقتم فوق ما يراد منكم فلله در مجالس تعلمتوا منها، وأمهات أرضعتكم بلبانها "فعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان، ثم التفت إلى المكناسيين، فقال لهم بالله عليكم: أترون مثل هذه السرعة في مثل هذا الوصف القليل؟ وقد فرعوا فيه ما شاءت لهم قرائحهم، حتى خفت عليهم انشقاق المرائر من كثرة التفكير وهل هناك في المغرب اليوم مثل هذه السرعة في المساجلة؟"[4].

ـ محاولات نقدية:

وفي الكتاب شذرات نقدية وأحكام انطباعية لا ترقى إلى مستوى منهج أو منظور نقدي لأن "الحديث عن النقد الأدبي في المغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري، يخلو من صعوبة، لأن مؤلفات هذه الفترة السالمة من الضياع مازالت

(1) نفسه 287/18.

(2) نفسه ص 287.

(3) المعسول 315/18.

(4) نفسه 18 ص 317.

مخطـــوطة من وجه، ولعدم وجود كتب في النقد الأدبي من وجه آخر"[1]. وكان من عـــادة الأمير الأديب دائما ألا ينتقد إلا من يستجد أقوالهم، فهو لا يلتفت إلى الشعر الغث والذي لا جمالية ولا شاعرية فيه بل متوجه إلى الشعر الرصين الذي يقطر سحرا وبراعة، وقد انصب انتقاد الخليفة لشعر الشعراء الثلاثة على:

اللغة: حيث حبذ الخليفة أن تغير لفظة المخدع بلفظة الخدر في قول السكتاني:

يهنـــئ بعـــض الناس بعضهم به وترقص بالأفراح في المخدع البكر

ويقول الزدوتي:

يـــزين فلـــق الشعر ذكرك مثل يـــزين مـــسك الخـــال سالفة الخد

قال له الخليفة: "لو ذكرت صفحة الخد لكان الخال موافقا، ولكن حين ذكرت السالفة وهي موضع الصدغ، كان الصدغ أولى" [2]

التضمين: لما أنشد السكتاني قصيدته التي جاء فيها:

وقـــد قام ميزان الهزيمة فانثنى عـــن الوالد الحاني ابنه المستحي البر

هـــناك مـــولانا يضيء جبينه حـــبورا كـــأن طافت براحته الخمر

قال الخليفة: أحاجيكم ما هو الأصل في هذا المعنى الذي هو في آخر القصيدة؟ وقد وصفه وصفا دقيقا، فبادر الزدوتي؛ فقال إنه للمتنبي في ميميته المعلومة التي يقول فيها لسيف الدولة:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنـــك في حقـــى الـــردى وهو نائم

تمـــر بـــك الأبطال كلمى هزيمة ووجهـــك وضـــاح وثغـــرك باسم[3]

لكن الخليفة لا يعتبر هذا الأخذ سرقة يؤاخذ عليها الشاعر بل إنه يثني عليه لأنه أخذه أخذا حسنا: " وذلك الوصف مما جعل للقصيدة قيمة عظيمة في نظره [4] وفي

(1) نشاط محمد العالم العلمي والأدبي بتارودانت خلال القرن الثاني عشر الهجري، ضمن ندوة تارودانت حاضرة سوس ص 189.

(2) المعسول 299/18.

(3) ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق عمر الطباع350/1.

(4) المعسول 299/18.

قصيدة الزدوتي مثل ذلك حين قال:

نعـيذك يـا مولاي أن نحسب اللفا عظـيما وذر الـنمل في الوهد كالطود

فقـال له الخليفة: ألم تكن تحفظ قصيدة المتنبي التي أولها: واحر قلباه ممن قلبه شبم [1] قال نعم، قال: إذن نظرت في بيتك هذا إلى قوله:

أعـيذها نظـرات مـنك صـادقة أن تحـسب الشحم في من شحمه ورم

فكـأن الـزدوتي استحيى، فقال له الخليفة "لا بأس، فقد تركت المتنبي وورمه وملت إلى عظمة اللفا وعظمة الطود، فأما أنا فلا أسمي مثل هذا سرقة"[2].

وجملـة القول إن النهضة الثقافية التي عرفتها تارودانت إبان وجود الأمير محمد العالم بها نهضة متميزة لا نجد أبلغ من التعبير عنها سوى ما عبر به الخليفة نفسه حين قـال: "إنـني ما فرحت بالقيادة على سوس كما فرحت بوجود الأدب والشعراء في سوس"[3].

لكن هذه الشعلة الثقافية الوهاجة التي شعت بأشعتها وبريقها على ربوع سوس وسواها خبت وخمدت جذورها بعد مقتل الخليفة محمد العالم وتشتت العلماء والأدباء الملازمين له، إبان إقامته بالمدينة.

2ـ الزوايـا:

نهـضت الزوايا بمهمات جليلة في الثقافة والعبادة والاجتماع بوصفها "المكان الذي يجتمع فيه شيخ مع أتباعه ومريديه وتلاميذه، ومكانا يتخذ للعبادة والتعليم كما يتخذ للإطعام والإيواء، وقد يتخذ للتعبئة والجهاد حين يقتضي الأمر ذلك"[4].

وقد برزت على الساحة جملة زوايا كان لها أبلغ الأثر في التأثير على الأوضاع ورسـم المواقف في الفترة المحددة بين سقوط دولة الشرفاء السعديين إلى حدود وفاة المـولى إسماعيل أو بعدها بعقد من الزمن وهي الفترة التي تهمنا بوصفها الإطار العام للعصر الذي عاش إبانه المؤرخ الأديب محمد الصغير الإفراني. من هذه الزوايا:

(1) ديوان المتنبي، 333/2.
(2) المعسول 300/18.
(3) نفسه 298/18-299.
(4) الشعر الدلائي، عبد الجواد السقاط، التقديم ص 6.

■ الزاوية الدلائية:

لم يعـــرف بالتحديد تاريخ ظهور زاوية الدلاء، إلا أن أحد الدارسين ذهب إلى أنـــه يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن تأسيسها كان في الثلث الأخير من القرن الهجري العاشـــر، حوالي عام 974هـــ و1566م [1]، أما مؤسسها فهو: أبو بكر بن محمد بن ســـعيد الدلائي (ت 1021هـــ) [2] قال عنه محمد بن الطيب القادري: " وحسبك أن المغـــرب لما تداعت قواعده وانهدت أركان الملك به وفسد النظام وماج الناس، كان مـــوئلا لأهل العلم والدين وموردا للضعفاء والمساكين، فاعتصم به الإمام بربوة منه ذات قـــرار ومعين" [3]، أما موقعها فقد وقع فيه اضطراب كبير، لأن الأمر لا يتعلق بـــزاوية واحدة بل زاويتين دلائيتين حيث تقع القديمة في ناحية خنيفرة في سفح جبل "بوثـــور"، أمـــا الحديثة فتقوم على أنقاضها زاوية أيت اسحاق الحالية في الطريق التي تـــربط بين خنيفرة وقصبة تادلا[4]. وغب تأسيس الزاوية عمل أبو بكر الدلائي على تكـــثير العمارة من حولها، حتى أصبحت "من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكـــرا، يقصدها الناس من مختلف الجهات ويلتقي فيها العلماء والطلاب فينالون من التعظـــيم والإكرام ما يجعلهم يرغبون في المقام بها أطول ما يمكنهم من الزمن" [5]، ومن ثم نلحظ أن الزاوية الدلائية اكتسبت أهميتها من جملة أمور:

أ. إطعام الطعام وإكرام الضيوف والزوار إكراما عز نظيره، حتى قيل في ابن مؤسس الـــزاوية محمـــد بـــن بكر بن سعيد: فكانت مراجله دائما تغلي، وطباخه لم يزل يفرغ ويملي[6]:

في جفـــــان كالجــــــوابي وقـــــــدور راســـــــيات

---

(1) الزاوية الدلائية محمد حجي ص 30.

(2) انظر ترجمته في نشر المثاني 112/1، ونزعة الحادي ص 245، التقاط الدرر ص56، والزاوية الدلائية محمد حجي ص 43.

(3) التقاط الدرر ص 56-57.

(4) الزاوية الدلائية ص 37.

(5) نفسه ص: 37.

(6) نفسه ص 46.

هكــــــذا يفعـــــــل دأبـــــا بالوفـــــــود الزائـــــــرات

ب- العـــناية بـــالعلم والعلماء وقيام الدرس والتعليم على قدم وساق، وتوافر مساكن للطلبة وخزانة عظيمة قدرت كتبها بنحو عشر آلاف كتاب[1].

ج- الأخـــذ بالطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد (ت 277هـ) وتعـــد أســـلم الطرق الصوفية وأقربها إلى السنة، مما ضمن لها الانتشار حتى صارت الطـــريقة الـــرسمية في المغـــرب، وهي وإن كانت تماثل الطريقة الناصرية فإن "سند الدلائيين أعلى وأوسع، لأخذهم على شيوخ عديدين وانفرادهم بطريقة الشيخ الجزولي دون الناصريين"[2].

د- أن الـــزاوية الدلائـــية حافظت على استمرار العطاء العلمي والأدبي إبان فترة شهدت فيه المدن انتكاسة في مجال الثقافة بسبب الأحوال المضطربة فقامت بحفظ تراث العلـــوم والآداب الذي كاد أن يضيع، فقامت عليه خير قيام وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزا مهما لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب ومأزرا حصينا للعلوم الإسلامية بالبلاد، وقد تخرج فيها عدد لا يحصى من العلماء الفطاحل والأدباء الأماثل[3].

ومن علماء الزاوية الذين انتصبوا للتدريس بها:

- محمد بن أبي بكر الدلائي (967/1046 هـ) [4].
- عبد الرحمان بن أبي بكر الدلائي (ت 1020 هـ) [5].
- محمد المرابط الدلائي (ت 1089هـ)[6] .
- أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي: (ت بعد 1080) [7].
- المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي[8] (ت 1059هـ) .

(1) نفسه ص 71.

(2) نفسه ص 59.

(3) النبوغ المغربي 284/1.

(4) انظر ترجمته في الزاوية الدلائية ص76 النشر 339/1 التقاط الدرر ص 104.

(5) نفسه ص81.

(6) نشر المثاني 236/2.

(7) أورد صاحب الزاوية الدلائية سنة 1051هـ.

(8) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 124، بنشر المثاني 43/2- الزاوية الدلائية ص83.

- أبو عمرو بن محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1069 هـ) [1].
- الطيب بن المسناوي الدلائي (ت 1077هـ) [2]:
- الشرقي بن أبي بكر الدلائي: (ت 1079هـ) [3].
- محمد بن محمد الشاذلي الدلائي (ت 1103هـ) [4].
- محمد الشاذلي (ت 1107هـ) [5].

2. الأساتذة من غير أبناء الزاوية:

لم يقتصر التدريس بالزاوية على أبنائها بل شارك فيه أساتذة وشيوخ قدموا من خارج الزاوية يبذلون علمهم للطلبة المتشوقين ويحظون بالترحيب والتعظيم، منهم:

- أحمد بن القاضي (ت 1025هـ) [6].
- الحسن الدرعي (ت 1006هـ) [7]:
- أحمد بن عمران الفاسي (ت 1065 هـ) [8].
- حمدون الأبار[9] (ت1071هـ):
- محمد بن سودة[10] (ت 1076 هـ):
- محمد بن سعيد المرغيثي[11] (ت 1089هـ):

(1) الزاوية الدلائية ص84 وانظر ترجمته في نشر المثاني 38/2.

(2) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص170.

(3) نفسه ص85.

(4) التقاط الدرر ص 263.

(5) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 269 .

(6) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 70/69، نشر المثاني 213/1، الزاوية الدلائية ص 86.

(7) اختلف في اسمه فالقادري في التقاط الدرر ص 29 ذهب إلى أنه الحسن بن أحمد والإفراني في الصفوة: 8 سماه علي بن محمد الهداجي، والقادري في نشر المثاني 63/1 سمى أباه أحمد انظرالهامش 3، الدرر المرصعة ص 147.

(8) الزاوية الدلائية ص 94.

(9) أورد حجي في الزاوية الدلائية اسمه هكذا "الأبار"ص: 95، بينما صاحب التقاط الدرر سماه "اللبار" ص: 148 وكذلك في نشر المثاني 142/2.

(10) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص166.

(11) توجد ترجمته في التقاط الدرر ص: 206-207، نشر المثاني 241/2.

3. تلاميذ الزاوية الدلائية:

أخـــذ عن علماء الزاوية طلبة عديدون، لا نعرف منهم إلا القليل عدا ما ذكره المؤرخون أو أصحاب التراجم من أشهرهم:

- الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ) [1].
- أحمد المقري (ت 1041هـ) [2]:
- العربي الفاسي (ت 1052هـ) [3]:
- الأخوان العكاريان: محمد (ت 1092 هـ) علي (ت 1118هـ):
- محمد بن عبد الرحمن الصومعي[4] (ت 1123هـ) .
- أحمد بن يعقوب الولالي[5] (ت 1128هـ):
- أحمد القادري[6] (ت 1133هـ):
- محمد بن مسعود المراكشي (ت 1090هـ). [7]:
- على بن عبد الواحد الأنصاري (ت 1054هـ):

■ الزاوية الناصرية:

بـــدأت هـــذه الزاوية نشاطها بعد أن حل بها محمد بن ناصر الشيخ في كنف الشيخين عبد الله بن حسين وأحمد بن إبراهيم الدرعي عام 1040هـ[8] وحل محلها في الـــزاوية يدرس العلوم المختلفة كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف و"هو آخر من أقرأ كتاب سيبويه بالمشرق والمغرب"[9] .

وقد اشتهرت الزاوية وبلغ صيتها مبلغا عظيما، فقصدها الشيوخ مثل: محمد بن

(1) انظر ترجمته في المبحث المخصص لشيوخ الإفراني من هذا البحث، ص 49.

(2) ترجمته في التقاط الدرر ص94، الزاوية الدلائية ص: 108.

(3) الزاوية الدلائية ص 113.

(4) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص307، نشر المثاني 211/3، والزاوية الدلائية ص 121.

(5) انظر ترجمته في نشر المثاني 229/3، والتقاط الدرر ص 312.

(6) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 319 ونشر المثاني 247/3.

(7) الزاوية الدلائية ص 126.

(8) مراكز الدرس والتكوين القسم الأول ص 84.

(9) نفسه ص 85 .

سعيد المرغيثي الذي درس بها وأفاد الطلبة، وبلغ من سمعته ومكانته العلمية والدينية أنه كان يخاطب السلاطين والولاة والقضاة ويكاتبهم باذلا لهم النصح والتوجيه مجتهدا في تصحيح العقيدة ونشر السنة، ولهذا قصده أبو علي اليوسي وأبو العباس التستاوتي، وبهلول العصامي، ومبارك الغرفي العنبري والقاضي عبد الملك التجموعتي وغيرهم[1] كما اجتهد في التربية والتوجيه.

ولم تتوقف الزاوية عن بث إشعاعها العلمي والصوفي بعد رحيل الشيخ محمد بن ناصر سنة 1085هـ بل استمرت مع خلفه الشيخ أحمد بن ناصر[2] وأصبح الإنتاج العلمي والأدبي أكثر غزارة وظهرت بمنطقة درعة نهضة علمية متميزة لفتت إليها أنظار العلماء والطلبة فنسلوا إليها من كل حدب وتوافدوا على مجالسها العلمية المتنوعة من سوس والأطلس وتافيلالت.

ولعل العوامل التالية وراء هذه الحركة العلمية المزدهرة[3].

1. نشاط حركة التدريس:

ولم يكن ذلك متيسرا لولا كثرة الشيوخ وتدفق الطلبة على حلقات الدرس وهمة العلماء العالية في الإفادة، وقد شملت هذه الحركة فنونا علمية عديدة كاللغة والأدب والحديث وغيرها.

ومن العلماء المدرسين عبد الله بن ناصر أخ أحمد بن ناصر[4] ، وأبو إسحاق إبراهيم الدرعي[5] والشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر السويدي المكناسي [6] وغيرهم.

2. إنشاء مكتبة الزاوية الناصرية [7]:

أنشئت هذه المكتبة لتمكين الطلبة من التبحر في العلوم المختلفة وتعاقب على

(1) انظر الدرر المرصعة ص 341 - 342.
(2) انظر ترجمته في الدرر المرصعة ص 57، الحياة الأدبية ص 172.
(3) انظر مراكز الدرس والتكوين ص86 .
(4) انظر ترجمته في الدرر المرصعة ص 230.
(5) نفسه ص 131.
(6) نفسه ص 248.
(7) انظر مراكز الدرس والتكوين، القسم الأول ص88.

رعايتها وتزويدها بالكتب والمصنفات شيوخ الزاوية وقد "قامت المكتبة الناصرية أول مرة مع الشيخ محمد بن ناصر فجمع فيها من الكتب بالشراء والانتساخ، وساهم أول مـــرة باستنساخه هو مجموعة من المؤلفات في اللغة والنحو والأدب، ما يزال بعضها قائما إلى اليوم في خزانة الناصريين"[1].

3. الرحلات الجماعية إلى الحج[2]:

ارتـــبط المغاربة بالبقاع المقدسة بروابط قوية وتعلقوا بها أيما تعلق لعامل البعد الذي ألهب مشاعرهم وأشواقهم وجعل لفعل الحج عندهم مدلولات عميقة. وكانت هذه الرحلات الحجازية فرصة للاستفادة ولقاء الشيوخ والتتلمذ عليهم ونيل إجازاتهم مما يسر حدوث تواصل ثقافي بين المغرب والمشرق.

وخلفت هذه الرحلات إنتاجا أدبيا هاما تمثل في القصائد التي تطفح بالمشاعر الفياضة حيال تلك البقاع الطاهرة، والرحلات التي ضمنها مؤلفوها من رجال الزاوية مجريات الرحلة ومشاهداتهم إبانها.

ومن هذه الرحلات:

- رحلة الشيخ محمد بن ناصر عام 1070 هـــ[3].
- رحلة أحمد بن ناصر الأولى عام 1096 هـــ قال عنها صاحب الدرر المرصعة: " وله فيها رحلة جليلة صغيرة الحجم غزيرة حسبما وقفت عليه بخط الإمام أبي العباس الجزولي"[4].
- رحلته الثانية (عام 1109هـــ).
- رحلـــته الثالثة عام 1121هـــ، وقد سجل أحمد بن ناصر أحداثها في رحلته الموسومة بالرحلة الناصرية.

4. التأليف:

ازدهـــرت عملية التأليف في الزاوية الناصرية، وخلف علماؤها وأدباؤها تراثا

(1) نفسه ص 88 .

(2) الدرر المرصعة ص 357.

(3) نفسه، ص66.

(4) انظر مقال مراكز الدرس والتكوين ص 92.

فكـــريا وعلميا وأدبيا غزيرا، وللإنتاج الأدبي نصيب لا يستهان به ضمن هذا التراث، وقد أثرى هذه الحركة التأليفية علماء من أبناء بني ناصر وآخرون من غير أبنائهم[1].

5. ازدهار التأليف في الأدب بالزاوية:

لما كانت الزاوية الناصرية مقصد العلماء وطلاب العلم من بقاع شتى كان من الطبيعـــي أن تنـــشأ عن ذلك أعمال أدبية يقدمها الوافدون بين أيديهم تحية أدبية أو يـــرفقون إلى علماء الزاوية قصائد مدح تشيد بفضائلهم وما ينهضون به من مهمات جـــسام في مجال الدرس والإرشاد، أو رثاه للشيوخ الذين قضوا وخلفوا آثارا وتلاميذ تشهد بطول باهم وأخلاقهم في بذل العلم.

من تلك الأعمال قصيدة العلامة اليوسي الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر، وقـــصيدة الـــشيخ عـــبد الملك التجموعي في تهنئة الشيخ محمد بن ناصر بعودته من الحج[2]، ومنها أشعار محمد الدقاق[3] والصغير الإفراني[4] وأحمد بن موسى بن ناصر ومحمد الحوات[5].

وفي مجـــال النثر نجد الرسائل التي تبودلت بين علماء الزاوية وغيرهم وهي في مختلف المواضيع والأغراض.

ثم الشروح الأدبية التي ألفها بعض العلماء منها:

- شرح اليوسي لقصيدة التهاني التي مدح بها الشيخ محمد بن ناصر.
- شرح محمد المكي بن ناصر لقصيدة النسيم العاطر لأخيه أحمد بن موسى في مدح الشيخ أحمد بن ناصر.
- شرح منظومات: مثل شروح الغنيمة والوسيلة.

- **الزاوية الشرقاوية:**

أســـسها الـــشيخ أبو عبيد محمد الشرقي بأبي الجعد (ت 1010هـ)، وكان لها

(1) انظر الدرر المرصعة صص 12-80.

(2) انظر القصيدة كاملة في الدرر المرصعة ص 397.

(3) ترجمته في المصدر نفسه ص 85.

(4) انظر حديثا مفصلا في ترجمته بهذا البحث ص 59.

(5) انظر ترجمته في الإعلام للمراكشي 161/2، مؤرخو الشرفاء بروفنصال ص119، التقاط الدرر ص 438 نشر المثاني 14-174.

صيت في أواخر القرن الهجري العاشر، لكنها انكسفت بعد وفاة مؤسسها لتعود إلى الظهور في عهد الشيخ محمد المعطي الشرقي (ت 1180هـ) [1]، وتبلغ أوج ازدهارها ونشاطها مع الشيخ محمد الصالح الشرقي (ت 1092هـ) [2]. "فأحيا الطريقة الصوفية بها، وعمر مجالسها بالقراءة والعلم وهيأ لها الحضور الواضح في عصره وبين الزوايا الشهيرة آنذاك، لتصبح مقصد الشيوخ والطلاب من أهل العلم والانتساب والبركة"[3]. وقد اشتغل الشيخ الصالح الشرقي بالتدريس حتى اشتهرت الزاوية بذلك وقصدها طلاب كثر، وكان يتغلب على الملل الذي يدب إلى الطلبة عبر تتالي الدروس إلى الترويح عنهم بحكايات يرويها ومضحكات يلقيها عليهم فيتجدد نشاطهم ويذهب ما بهم من فتور، وهذا ما يسميه العلماء بالإحماض.

تخرج على يده طلبة عديدون منهم:

- ولده محمد المعطي صاحب كتاب "ذخيرة الفن والمحتاج في صاحب اللواء والتاج"[4].
- عبد الخالق الشرقي (كان حيا عام 1139) مؤلف كتاب المرقي[5].
- الأديب المؤرخ أبو العباس أحمد بن فتوح التازي، (توفي أواسط القرن الثاني عشر الهجري).
- الشاعر محمد العربي الإسحاقي (كان حيا سنة 1180هـ).

هؤلاء غيض من فيض مما أخذوا بالزاوية ونهلوا من معين علومها، حتى صاروا أهلا للعطاء والإفادة بفضل جهد أساتذتهم الشيوخ والعلماء الذين كان بعضهم من الزاوية وآخرون من الوافدين منهم:

- أبو علي بن رحال المعداني: (ت 1140هـ) [6] وقد وقع خلط بينه وبين

---

(1) انظر ترجمته في الإعلام للمراكشي 314/5 دليل بنسودة 303/2، فهارس علماء المغرب ص 654، التقاط الدرر ص 438.

(2) مراكز الدرس والتكوين، القسم الثاني، دعوة الحق، العدد 327 ص 113 .

(3) ترجم له: صاحب الحياة الأدبية ص 288.

(4) دليل بنسودة 220/1 .

(5) انظر ترجمته في نشر المثاني 294/3، التقاط الدرر 338، مؤرخو الشرفاء 12.

(6) الحياة الأدبية لمحمد الأخضر ص 205.

الهداجي المعداني، [1] "فقيه المغرب في عهده وشارح مختصر خليل"[2].

- عبد الوهاب ابن الشيخ المكناسي (ت 1150هـ)، من كبار فقهاء مكناس[3]، لبث في الزاوية مدة يدرس.

- محمد الصغير الإفراني (توفي بعد 1156 هـ). ذكر في كتابه "نزهة الحادي" أن الصالح الشرقي حفزه وشجعه على إتمام كتابه، قال عنه: "فهو الذي أعاد لفكري قوة النشاط، ونشر عليه بساط الانبساط فانقشع عني سحاب الكسل وانجاب، وناديت فكري- مع ضعفه- للتأليف فأجاب"[4] وقد أقام فترة بالزاوية و"لا يبعد أن يكون قد تعاطى التدريس أثناءها"[5].

- عبد القادر بن شقرون المكناسي (ت 1149) الطبيب.

- محمد بن قاسم بن زاكور العالم الشاعر (ت 1120هـ)، أقام بالزاوية الشرقاوية مدة[6].

- أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتي، من أقطاب الطريقة الناصرية (ت 1127هـ) [7].

- العياشي التستاوتي (ت 1134هـ) [8].

هذا غيض من فيض من العلماء الوافدين على الزاوية وعمروها علما ومعرفة.

- **الزاوية العياشية:**

أسسها محمد بن أبي بكر العياشي[9] (ت 1067هـ) "له أخذ في الطريق عن جماعة منهم سيدي محمد بن أذفال دفين درعة وأدرك أبا الطيب الميسوري بالزمن ولم

---

(1) مراكز الدرس والتكوين ص 115.

(2) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 440، الإتحاف لابن زيدان 397/5.

(3) نزهة الحادي ص 436.

(4) مراكز الدرس والتكوين ص 115.

(5) انظر ترجمته في التقاط الدرر 303، مؤرخو الشرفاء ص 287، النبوغ 313/1.

(6) انظر نشر المثاني 227/3.

(7) انظر ترجمته في فهارس علماء المغرب ص 663 .

(8) انظر ترجمته في نشر المثاني 12-83، اقتفاء الأثر ص 103.

(9) التقاط الدرر ص 139-140.

يلقه... وكفر من حسناته ولده وتلميذه أبو سالم عبد الله صاحب الرحلة الجليلة"[1].

وقد خلفه بالنهوض بأمور الزاوية قريبه ابن عبد الجبار (ت 1082هـ)، ومع "إطلالة عصر المولى إسماعيل كان بزاوية آيت عياش عدد وفير من العلماء الذين اكتمل عندهم النصاب العلمي رواية ودراية، فأقاموا مجالسهم العلمية بالزاوية وأصبحوا مقصد كثير من أصحاب الرواية والإسناد من أهل فاس وغيرها"[2]

وقد شهدت الزاوية حركة تعليمية هامة نهض بها علماء كثر من رجال الزاوية منهم:

- أبو سالم العياشي[3] (ت 1090هـ)، كان مهتما بالرواية والإسناد فتتلمذ عليه كثيرون وأجازهم نثرا ونظما، وله همة وعزم في بذل العلم مما كان له أبلغ الأثر في تنشيط الحركة العلمية في الزاوية وغيرها من مراكز العلم بالمغرب.
- محمد بن محمد عبد الجبار العياشي (ت 1090هـ): درس بالزاوية وخرج عددا من الطلبة.
- محمد بن يوسف العياشي (ت 1111هـ): درس في مسجد الزاوية واشتغل بالإضافة إلى ذلك القضاء والفتوى، وله مشاركات أدبية[4].
- محمد بن عبد الرحمن العياشي (ت 1100هـ): تميز بتحصيله العلوم على يد شيوخه بالزاوية وشيوخ مشارقة بمصر، وكان له اهتمام بعلوم عدة منها التفسير والحديث والفقه والنحو والمنطق والبيان والحساب والعروض والتصريف.

ومما يدل على الحركة العلمية المتميزة التي عرفتها الزاوية تلك المؤلفات العديدة التي خلفها علماؤها، ومنهم:

1. أبو سالم العياشي[5] .

---

(1) مراكز الدرس والتكوين عبد الله المرابط الترغي، دعوة الحق عدد 327 ص 120.

(2) انظر التقاط الدرر ص212، نشر المثاني 254/2.

(3) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 280 .

(4) انظر المؤلفات في مراكز الدرس والتكوين القسم الثاني ص 125.

(5) نفسه، ص 126.

2. محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت 1100هـ):
3. محمد بن يوسف العياشي (ت 1111هـ) .
4. عمر بن عبد الكريم العياشي (ت 1122هـ) .
5. عبد العالي بن أحمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي [1] (ت 1126هـ) .
7. محمد بن حمزة بن أبي سالم (ت 1135هـ) [2].

ج- ثقافة العصر:

نشطت في هذا العصر علوم جمة وسمته بميسمها، وأسبغت عليه طابع الشمولية، وسرت في جسد مغرب القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ثلاثة شرايين تغذيه بصنوف المعارف وألوان الثقافات، هي:

1- الثقافة النقلية والفقهية.
2- الثقافة العقلية واللسانية.
3- الثقافة التاريخية والأدبية[3].

1. الثقافة النقلية والفقهية:

أولى المغاربة اهتماما كبيرا للعلوم الدينية بوجه عام من فقه وأصول، وحديث وسيرة وقراءات وغيرها، وعكف عليها العلماء تأليفا وشرحا وتحشية، وما ذلك إلا لأنها تتصل بمصدري التشريع الإسلامي (القرآن الكريم والسنة النبوية) اتصالا وثيقا.

أ- السيرة النبوية:

شغف العلماء المغاربة جلهم بالتأليف في هذا المجال: إما معرفين بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أو مستخلصين العبر والعظات، دافعهم إلى ذلك شوق عظيم إلى تلك البقاع الطاهرة في بلاد الحجاز حيث درج النبي صلى الله عليه وسلم وتلقى الرسالة وجاهد وصابر وبلغ الرسالة على الوجه الأكمل حتى أتاه اليقين. وممن ألف في هذا المجال:

---

(1) نفسه، ص 126.
(2) انظر هذا التقسيم في الشعر الدلائي لعبد الجواد السقاط ص61، وهناك تقسيم آخر في "كتاب الإفراني وقضايا الإقامة والأدب". لمحمد العمري ص 53.
(3) انظر ترجمته ومؤلفاته في التقاط الدرر ص297.

- أبو الفضل مسعود بن محمد جموع (ت 1119هـ)، له:
  - نفائس الدرر في سيرة خير البشر في سفرين.
  - الروضة الوسطى.
  - الروضة الصغرى كلاهما في السير[1].

- أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت 1120هـ):

عرف بمداح النبي لكثرة قصائده في هذا الباب وهو من شيوخ الإفراني. له:
  - معراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول.
  - مناهل الصفا في جمال ذات المصطفى.
  - مناهل الشفا في رؤية المصطفى.
  - مقامات عنونها بـ" الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية"[2].

- محمد بن عبد الرحمن الدلائي (ت 1142هـ). له مؤلفات هي:
  - زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق وما يستتبع ذلك من النكت والحقائق.
  - فخر الثرى بسيد الورى.
  - سواكب الأفضال في كواسب الأفعال.
  - الزهر الندي في الخلق المحمدي[3].

- أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (ت 1146هـ).

اشتهر بالشروح وله في مجال السيرة:
  - شرح على الهمزية.
  - شرح على البردة.
  - حاشية على الكلاعي[4].

مـؤلفات العلمـاء عديدة في السيرة إلا أن المجال لا يسمح باستقصاء أسمائهم

.

(1) انظر التقاط الدرر ص 303.

(2) انظر الشعر الدلائي عبد الجواد السقاط ص 62.

(3) راجع التقاط الدرر ص 360.

(4) التقاط الدرر ص 104.

ومؤلفاتها وما ورد يدل على عناية العلماء آنئذ بهذا الميدان.

ب ـ الحديث النبوي:

دأب العلماء المغاربة على العناية بالحديث النبوي الشريف واستفرغوا جهدهم في التألـــيف والتدريس، وحظيت المصادر الحديثية بإقبالهم كالصحيحين وموطإ الإمام مالـــك ومـــسند الإمام أحمد وغيرها، وكان ختم صحيح الإمام البخاري محل احتفاء العلماء والطلبة والشعراء الذين يخلدونه في أشعارهم، ومن العلماء المشتغلين بهذا العلم الجليل:

- محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ).

صرف همته إلى العناية بالحديث، فكان يدرسه ولا يمل من ذلك، فهو "حافظ دراك متوسع في التفسير والحديث والكلام"[1]. له كتاب عن: الأربعين حديثا نبويا.

- أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي (ت 1052هـ) [2]:

هو "نادرة الزمان حفظا وفهما وإتقانا"[3]. له تآليف منها: منظومتان في ألقاب الحديث سمى الأولى نظم القارب الحديث، وسمى الثانية: نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر[4].

- عـــبد الـــرحمن بن محمد الفاسي (ت 1036هـ) [5]، له حاشية على صحيح البخاري.
- محمد بن عبد الرحمان بن زكري[6] (ت 1144هـ)، من مؤلفاته في الحديث:
  - تعليق على صحيح البخاري.
- محمد بن الطيب الشرقي (ت 1170هـ).

من كبار اللغويين والمحدثين. "ليس في المغرب فقط ولكن في العالم العربي كله في

(1) نفسه ص 115.

(2) نفسه ص 115.

(3) نفسه هامش رقم 8 صص 115-116.

(4) انظر ترجمته في التقاط الدرر صص 85-86.

(5) نفسه، صص 356-357.

(6) الحياة الأدبية في المغرب.ص 258.

القرن الثاني عشر"[1]. من مؤلفاته في الحديث:

- حاشية على شرح القسطلاني على الصحيح.
- حاشية على شمائل الترمذي.
- شرح سيرة ابن الجزري.
- شرح سيرة ابن فارس.

- الحسن اليوسي (ت 1102 هـ):

العلامة المغربي الذي بلغ صيته المشرق، وألف في علوم عدة، منها في الحديث:

- رسالة في العلم النبوي.

* محمد الصغير الإفراني (1080- بعد 1155 هـ)

رغم تضلع الإفراني في العلوم الشرعية فإنه لم يترك إلا أثرا واحدا في الحديث هو:

- فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث[2].

جـ الفقه والأصول والتوحيد:

هذا باب من أبواب العلم ألف فيه المغاربة تآليف ومصنفات كثيرة هي إما مؤلفات في موضوع معين في الفقه أو الأصول أو التوحيد، وإما شروح وتعاليق وإضافات لمؤلفات أخرى مشرقية غالبا، وممن عرفوا برسوخ القدم وطول الباع في هذه العلوم:

- الحسن بن رحال المعداني (ت 1140هـ).

حلاه صاحب التقاط الدرر ب "الفقيه الكبير حافظ زمانه صاعقة المطالعة والتدريس"[3] ووصفه بقوله "له عارضة كبيرة في الفقه واتساع في النوازل وصبر لطول مجلس الإقراء فيصبر من طلوع الشمس إلى الزوال في مجلس درسه ولا يضجر، ويجيب عن كل ما يلقى إليه. مع كثرة الباحثين، وذلك بالمدرسة المتوكلية"[4]. له:

-

(1) انظر حديثا عنه في المرجع نفسه ص 233.

(2) التقاط الدرر ص 338.

(3) التقاط الدرر، ص 335.

(4) نفسه ص 339.

- شرح على خليل من النكاح إلى تمامه في عدة أسفار.
- حاشية مفيدة على شرح الشيخ ميارة على تحفة ابن عاصم.
- الإرفاق بمسائل الاستحقاق.

– أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي (ت 1052هـ)

ألف تآليف عدة في هذا الباب وله "ملكة في جودة التأليف والأجوبة"[1]. من مؤلفاته في العقائد والفقه:

- نظم "مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد" في العقائد.
- نظم "تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان" في العقائد أيضًا.
- تقييد في وضع لفظ إله.
- سهم الإصابة في حكم طابة.

– محمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ).

أحد العلماء البارزين في الأسرة الدلائية، ألف في علوم عديدة ومنها الفقه، وله فيه كتب:

- نصرة القبض في الرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض.
- جواب عما يقع في زمن المسغبة من كثرة السؤال.
- القول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف.
- صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة.

وفي الأصول نجد: نظما لورقات إمام الحرمين بعنوان: معراج الوصول إلى سماوات الأصول لمحمد بن زاكور[2] (ت 1120هـ).

حاشية على جمع الجوامع لأحمد بن المبارك اللمطي[3] (ت 1156هـ).

تأليف في الأصول للشرقي بن أبي بكر الدلائي (ت 1079هـ).

---

(1) نفسه ص 115.

(2) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 303.

(3) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص393 والنبوغ 278/1.

د ـ التفسير والقراءات:

اهتم المغاربة بالعلوم الإسلامية التي تخدم القرآن الكريم، وتفسره وتكشف مواطن إعجازه، ففي التفسير نجد مؤلفات منها:

- تفسير بعض الآيات القرآنية محمد بن زكري (ت 1144هـ).
- الفتح والتيسير في آية التطهير لمحمد بن الطيب القادري (ت 1187هـ).

وغيرها كثير. وفي **القراءات:**

- كتاب الإيضاح لما ينبهم على الورى في قراءة عالم أم القرى.
- بيان الخلاف الشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه في التنزيل والبرهان وما جرى به العمل من الخلافات الرسمية في القرآن لعبد الرحمان ابن القاضي.
- تأليف في قراءة ابن كثير له كذلك.
- منظومة على رسم المكي في القرآن، له أيضا.
- منظومة في القراءات التسع، له أيضا.
- نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع إدريس بن محمد المنجرة (ت 1137هـ).
- منظومة في القراءات مع شرحها له أيضا، وهو "شيخ المقرئين بفاس وبالغرب كله"[1].
- حواش على شرح التنسي المسمى بالطراز في شرح ضبط الخراز المعروف بمورد الظمآن في رسم القرآن، لعبد الرحمان بن إدريس (ت 1179هـ).
- حواش على فتح المنان لعبد الواحد بن عاشر الأنصاري له أيضا.

هذا نزر يسير مما ألف وما شاع وتدوول بين العلماء والطلبة في التفسير والقراءات.

---

(1) التقاط الدرر ص 332.

هـ ـ التصوف:

طغى التصوف في هذا العصر وعرف به علماء عديدون حتى نعتوا في تراجمهم بالصوفيين وتنتمي "الطرق الصوفية في هذا العصر إلى مرحلة ما بعد الجزولي، أي التابعة لمدرسته أو مدرسة زروق الصوفية"[1] وعندما يتم الحديث عن التصوف إبان هذه الفترة، فإن ذلك لا يعني أن ثمة فصلا بينه وبين الاتجاهات الأخرى، فالمتصوفة كانوا فقهاء وعلماء ومنهم زعماء زوايا مثل الناصرية والشرقاوية والدلائية والفاسية وغيرها[2]، وأن الأمر لا يعدو كونه فصلا منهجيا لا غير.

بيد أن الإحاطة بأسماء المتصوفة وحصر مؤلفاتهم مما لا يتسع له المقام وحسبنا أن نقف على بعضها:

- محمد بن ناصر الدرعي (ت 1085هـ)، له في التصوف:
  - دلائل الخيرات سماه غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب.
  - كتاب أذكار وأوراد في عمل اليوم والليلة.

أنظام منها:

مساعدة الإخوان وهي قصيدة رائية موجهة للمبتدئين من المريدين.

  - الوسيلة وهي قصيدة لامية في التصوف.
  - سيف النصر، أرجوزة.

- أبو سالم العياشي (ت 1090هـ)، من مؤلفاته في هذا الميدان:
  - نظم أصول الطريقة أحمد زروق.
  - إظهار المنة على المبشرين بالجنة.
  - سوق العروس وأنس النفوس.
  - تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية.

---

(1) التيار الصوفي في الأدب خلال العصر العلوي، حسن جلاب مجلة دعوة الحق عدد 316 ص 86.

(2) انظر جردا بأسماء رجال التصوف في العصر العلوي الأول في مقدمة تحقيق التقاط الدرر ص 103.

- الحسن اليوسي (ت 1102)، له:
  - رسالة في نصح المسلمين.
  - رسالة إلى الصوفيين.
  - مفتاح الوصول.
- محمد المهدي الفاسي[1] (ت 1109هـ)، له:
  - ثلاثة شروح لدلائل الخيرات.
  - ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع، ومن لهما من الأتباع.
  - تحفة أهل الصديقية، في الطريقة الجزولية والزروقية.
  - الرصاصة المطفية في الذب عن أهل المخفية.
  - الألماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع.
- محمد المسناوي الدلائي (ت 1186هـ)، من مؤلفاته في التصوف:
  - جهل المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر.
  - فوائد في التصوف.
- محمد بن زكري (ت 1144هـ)، له:
  - شرح النصيحة الكافية لزروق.
  - شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله.
  - شرح الصلاة المشيشية.
  - الفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة.

وقد اهتم المغاربة في مجال التصوف بشرح المؤلفات وكتابة حواش عليها، مثلما هو الحال في: الصلاة المشيشية، والحزب الكبير للشاذلي، ودلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي[2].

2. الثقافة العقلية اللسانية:

كان عصر الإفراني عصر تنوع واختلاف، إذ رغم سيادة الثقافة النقلية الفقهية كانت الثقافة العقلية ملموسة، ونالت حظها من الاهتمام والعناية لكن بدرجة أقل، مما

(1) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 272.

(2) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 272.

يفيد أن الثقافة السائدة آنئذ لم تكن كلها بلون واحد بل كانت متعددة الأوجه والجوانب.

ومن العلوم الرائجة في مجال الثقافة العقلية:

أ ـ المنطق:

للمنطق أهمية جليلة بين العلوم العربية الإسلامية فهي التي تستعين به ذلك أنه "لا يحتاج لأي علم من العلوم، بينما العلوم الأخرى تحتاج إليه مما جعل بعض المناطقة ينظرون إليه باعتباره المدخل لكل العلوم"[1]. ألف فيه:

– أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي، له:

- نظم الطالع المشرق من أفق المنطق.
- منظومة تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان.

– الحسن اليوسي، له:

- شرح على السلم المرونق الأخضري.
- شرح أم المنطق أو مزامر المنطق للعزيز بن يوسف الفاسي.
- شرح على الطالع المنتشر (لم يكمله).
- القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي.
- النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول[2].

– عبد السلام بن الطيب القادري (ت 1110هـ). له:

- نظم سماه: "تنبيه المعرضين عن آيات السماوات والأرضين".
- النسيم المعبق في توجيه الخلاف في المنطق.

ب ـ الطب:

برز فيه أطباء مؤهلون ذاع صيتهم منهم:

– أبو عبد الله أدراق[3] (ت 1070هـ).

(1) أثر المنطق في البلاغة العربية محمد الواسطي مجلة فكر ونقد، عدد 41 شتنبر 2001 ص 63.

(2) انظر عبقرية اليوسي ص 114.

(3) انظر ترجمته في التقاط الدرر ص 146.

- عبد الوهاب أدراق[1] (ت 1159هـ)، له:
  - ♦ قصيدة النعناع في ثلاثين بيتا.
  - ♦ ذيل لأرجوزة ابن سينا الشهيرة.
  - ♦ أرجوزة في حب الإفرنج.
  - ♦ هز السمهري على من نفى عيب الجذري.
- شرح كتاب النزهة للشيخ داود الأنطاكي[2].

ج ـ التنجيم:

اهتم بالتنجيم جملة علماء منهم من ألف فيه وصنف ومنهم من اقتصر على الشرح، والتعليق، منهم:

- محمد بن سليمان الروداني[3] (ت 1094هـ)، ألف:
  - ♦ رسالة سماها النافعة على الآلة الجامعة يبين فيها كيفية استعمال الكرة التي صنعها وسماها الآلة الجامعة النافعة.
  - ♦ منظومة في الفلك وشرحها.
- محمد بن زكري (ت 1144هـ)، له كتاب:
  - ♦ - "المراصد" في الفلك.

- أحمد بن حميد المطرفي (ت 1001هـ)، له شرح ل: روضة الأزهار للجاذري في التوقيت، وشرحها أيضا أبو زيد البوعقيلي (ت 1013هـ) وأحمد بن يعقوب الولالي (ت 1128هـ).
- محمد بن عبد السلام بناني الفاسي (ت 1163هـ):
  له شرح لمنظومة أبي زيد الفاسي في الاسطرلاب.
- محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي (ت 1156هـ)،
  له شرح على نظم المقفع لمحمد بن سعيد السوسي المرغيثي.

---

(1) انظر ترجمته في الحياة الأدبية للأخضر ص 239.

(2) نفسه ص 240.

(3) انظر ترجمته في: التقاط الدرر ص، 229، نشر المثاني: 81/2، النبوغ: 284/1، الحياة الأدبية: ص 106. الفكر السامي للحجوي: 115/4-116.

إلا أن هذه العلوم العقلية لم تكن بارزة في الساحة الثقافية بل ظلت محدودة تسير في ركاب الثقافة الفقهية التي كانت مهيمنة، ومن الدارسين من ذهب إلى أنها "أفل نجمها قبل هذا العصر"[1].

اللغة وعلومها:

الاهتمام باللغة العربية وعلومها يقع في صميم العناية بالكتاب والسنة لما لها من أهمية جوهرية في تبين مقاصدهما ومعانيهما، وحفظ الأفهام عن الزيغ والانحراف والألسنة عن الخطأ واللحن.

وقد ألف العلماء في اللغة وما يتعلق بها من نحو وصرف وبلاغة وعروض مؤلفات عديدة تنجم عن العناية باللغة، ومنها:

أ ـ في النحو:

- حاشية على التسهيل، لمحمد بن سليمان الروداني.
- حاشية على التوضيح.
- رسالة حول من لا يحسن النحو والصرف لليوسي.
- الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل، والفاعل على المفعول لمحمد بن زاكور.
- شرح المقصور والممدود لابن مالكل بعنوان الجود بالموجود لابن زاكور أيضا.
- رسالة في معنى "لو" الشرطية، لأبي سالم العياشي.
- شرح فريدة السيوطي لابن زكري شيخ الإفراني وهي من بين أهم ما ألف في هذا الباب.

ب ـ في اللغة:

- إضاءة الراموس محمد بن الطيب الشرقي (ت 1120هـ).
- إضاءة الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس لأحمد الهلالي السجلماسي (ت 1175هـ).

(1) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب محمد العمري، ص 61.

ج ـ في الصرف:

- شـــرح المكـــودي في التصريف للقاسم بن محمد المدعو بابن القاضي (ت 1022هـــ).
- فتح اللطيف على البسط والتعريف في شرح التصريف.

د ـ في البلاغة:

- حاشية على المطول التفتازاني الشرقي بن أبي بكر الدلائي.
- مختصر تلخيص المفتاح وشرحه لمحمد بن سليمان الروداني.
- شرح تلخيص المفتاح أحمد بن يعقوب الولالي.
- ياقوتة البيان وتعليق عليها لمحمد الصغير الإفراني، وهي موضوع هذا البحث، " والإفراني من القلائل الذين ألفوا في قضية بلاغية"[1] في هذا العصر خاصة.

هـ ـ في العروض:

- جدول في العروض لمحمد بن سليمان الروداني.
- شـــرح الخزرجية بعنوان: "النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية" لابن زاكور.

ولعـــل هذا الجرد الموجز يجلي جانبا من اهتمامات مثقفي هذا العصر في مجال اللغة وما يتصل بها من العلوم، لكن جهودهم في ميدان اللغة إنما تظهر بجلاء في الجانب التطبيقي كما نجد في شرح ديوان "الحماسة لابن زاكور"[2] وكما هو الشأن في المسلك السهل الذي يعد "أوسع وأجرأ محاولة عرفها العصر في تطبيق البلاغة على دراسة النصوص الأدبية"[3].

3. الثقافة التاريخية والأدبية:

أ-التاريخ:

أولى المغاربة عناية خاصة للتأريخ لأنه "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها

---

(1) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص 74.

(2) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب، ص 73.

(3) نفسه ص 75. والعنوان بتمامه هو المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل الإسرائيلي، تحقيق: محمد العمري سنة 1997م.

دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق"[1] وكان أكبر اهتمامهم منصبا على التراجم والأنســـاب، أما الأدب فقد ضربوا فيه بسهم وافر، ولعل حشد الأدباء الذين برزوا في هذا العصر وخلفوا ابداعات متنوعة ما بين أشعار ورسائل ومقامات ورحلات لخير دليل على ذلك، ففي الثقافة التاريخية نجد:

مـــؤلفات مـــنظومة ومنـــشورة ألفها علماء عديدون ليخلدوا بين دفاتها أخبارا وأحداثا وشخصيات تركت بصماتها في مجالات علمية متنوعة، منهم:

* محمد المسناوي الدلائي: (ت 1059هـ)، له:
- تقييد مشتمل على فروع بني عمران.
- جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر.
- نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق.
- جواهر السماط في مناقب عبد الله الخياط[2] .

* محمد بن المهدي الفاسي (ت 1109هـ)، ألف:
- العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد.
- سمط الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر.
- كفاية المحتاج من خبر صاحب اللواء والتاج والمعراج[3].
- داعي الطرب باختصار أنساب العرب[4].

* عبد السلام بن الطيب القادري الحسني (ت 1110هـ).

قال عنه القادري "الشيخ العلامة، الحافظ الدراكة النسابة... "[5]. من مؤلفاته:
- الأشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف.
- الدرة الخطيرة في مهم السيرة.
- اللئالي الجليلة في مهم السيرة العلية.

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص 4.

(2) سلوة الأنفاس 208/1، 256، 287. 145/2، 182، 195. 58/3، 184، 237.

(3) انظر الحياة الأدبية ص 139.

(4) انظر التقاط الدرر ص 273.

(5) نفسه ص 275.

هذه "كلها أنظام منها المطول ومنها المختصر"[1].

- الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني.

- العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر.

* أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (ت 1145هـ):

من الكتاب المتمرسين والمنشئين المتفردين، له من التآليف في مجال التراجم:

- جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي.

- تقييد في التعريف بسيدنا الجد.

- تقييد في التعريف بالشيخ أبي عبد الله المسناوي الدلائي[2].

* **محمد الصغير الإفراني (ت بعد 1155هـ):**

أحد العلماء الذين عرفوا بعنايتهم بالتاريخ حتى لم يعد اسمه يذكر إلا مقرونا بالمؤرخ، حلاه صاحب التقاط الدرر ب" العالم الأديب الإخباري النجيب"[3] خلد اسمه في مجال التأليف بكتاباته التاريخية الهامة التي صورت الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في مغرب القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، منها:

- الظل الوريف أو روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف.

- درر الحجال بالتعريف بسبعة رجال الصلحاء المشهورين بمراكش.

- المغرب في أخبار المغرب، وهو مفقود.

- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، وهو تاريخ للدولة السعدية حتى نهايتها والدولة العلوية حتى وفاة المولى إسماعيل.

- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.

ولم يكن اهتمام الإفراني بالتاريخ مجرد مكمل لثقافته المتنوعة بل عنصرا مؤصلا في نفسه متمكنا، يقول: " وإني لم أزل – مذ علقت تميمة التمييز في عضدي وجعلت سوار الطلب في زندي – متشوقا إلى أخبار الدولة السعدية وسائلا هل استنشق أحد

(1) نفسه ص 275.

(2) التقاط الدرر ص: 360.

(3) نفسه، ص: 348.

نفحاتها الوردية، فلما لم أجد إلا مجيبا ب"لا" تيقنت أن رسم العلم قد غيره البلى"[1].

واهتم المغاربة بتدوين مشاهداتهم وأحداث أسفارهم وتنقلاتهم مما حفلت به كتب الرحلات نحو الشرق لأداء مناسك الحج أو للسفارة، وتتضمن الرحلات إضافة إلى المعلومات التاريخية فوائد علمية وجغرافية واجتماعية وفي ثناياها نصوص أدبية، من هذه الرحلات:

- النفحة المسكية في السفارة التركية، لعلي بن محمد التمكروتي (ت 1003هـ).
- الرحلة العياشية لعبد الله بن محمد العياشي(ت 1090هـ).
- رحلة الشيخ محمد بن ناصر (ت 1071هـ).
- رحلات أحمد بن ناصر الدرعي الأولى والثانية والثالثة.
- رحلة الوزير في افتكاك الأسير، للوزير محمد الغساني الوزير، هدفها هو استرجاع كتب الخزانة الزيدانية.
- رحلة عبد المجيد بن علي الزبادي (ت 1163هـ).
- محمد بن عثمان المكناسي(ت 1213هـ).

إلا أن هذه الرحلات المؤلفة في هذا العصر يغلب عليها الطابع الديني إلى حدود نهاية القرن الحادي عشر وستصطبغ بصبغة أدبية ابتداء من القرن الثاني عشر "عندما يتسع أفقها بامتداد الأسفار إلى أوربا والاتصال بحضارة جديدة ومدهشة."[2]

ب ـ الأدب:

انتعش الأدب وأضحت سوقه نافقة بما توفر لها من الأسباب والدواعي فُصل فيها القول قبل[3].

أما الأدب فيُتلقى بطريقتين:

1- في المدارس الصغرى وبعض الزوايا كما نجد عند الوجاري الذي " درس بسطح المدرسة الرشيدية، ثم احتال عليه تلاميذه إلى أن صار يدرس بمسجد

---

(1) نزهة الحادي ص: 26.

(2) الحياة الأدبية، ص: 80.

(3) انظر ص: 15 من البحث.

الأندلس"[1].

2- بين أفراد العائلة "سواء في الزوايا أو في الحياة العائلية الخاصة خارج الأوقات الرسمية للتدريس"[2] قال اليوسي دخلت يوما على أستاذنا الإمام أبي عبد الله بن ناصر، وكان يوم جمعة، فوجدته في روضة الأشياخ، وإذا هو يقرر لأولاده ديوان الشعراء الستة ويطرر على النسخة ما يحتاج من شرح الغريب ونحو ذلك "[3].

بيد أن الاهتمام بالأدب لم يُفسح له في مجال الدرس حيز واسع بحيث نلمس أدبا خالصا بل اقتصر على "شواهد بلاغية وعروضية ونحوية وأخبار ونكت وأمثال يستأنس بها المدرس "[4]، فالوجاري (ت 1142هـ) كان " يقتصر على تحقيق مهمات المسائل وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والشوارد والغرائب، ويلقيها في مجلس درسه وكانوا يستحسنون ذلك منه جدا"[5].

ولم يحظ غالبية الأدباء أمثال الحاج محمد الشرقي وأحمد عمور وعلي مندوصة وغيرهم في هذا العصر بالمكانة عينها التي حظي بها الفقهاء والمتصوفة، بل عاشوا عيشة المغمورين ومن عُرف منهم واشتهر كانت شهرته مبنية على علوم أخرى غير الأدب من فقه وتفسير وحديث وتصوف ولغة وعروض.. "[6].

أما المؤلفات المتداولة في هذا العصر في ميدان الأدب فيمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام [7] هي:

1ـ كتب الأدب العامة:

- زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي.
- المحاضرات له أيضا.
- سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي لعلي مصباح الزرويلي.

---

(1) التقاط الدرر، ص: 344.
(2) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص: 77.
(3) المحاضرات ص: 168.
(4) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص: 78.
(5) التقاط الدرر ص: 344.
(6) انظر الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.هامش 75، ص: 79.
(7) نفسه ص: 79.

- أنس السمير في نوازل الفرزدق وجرير: للمؤلف نفسه.
- الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب محمد بن الطيب العلمي.
- تحفة الأريب ونزهة اللبيب أبي مدين الفاسي.

2. شروح النصوص الأدبية:

منها:

- عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لمحمد بن زاكور.
- نيل الأماني في شرح التهاني للحسن اليوسي.
- مقياس الفوائد في شرح الفوائد له أيضا.
- شرح رائية الشريشي لأبي مدين الفاسي.
- المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل الإفراني.
- شرح رائية اليوسي في رثاء الزاوية الدلائية محمد بن أحمد الشاذلي ومحمد البكري الدلائيين.
- شرح بانت سعاد أبي الحسن بناني.

وهذه الشروح "منها ما هو لغوي تعليمي يهدف إلى التبسيط كنيل الأماني ومنها ما هو أدبي يسهر لاقتناص المتعة الفنية كالمسلك السهل"[(1)].

3. دواوين الشعر:

وهي كثيرة تنم عن اهتمام بارز بالشعر، منها:

- ديوان أبي العباس أحمد الدغوغي شاعر الزاوية الدلائية.
- ديوان أبي زيد عبد الرحمان بن محمد التمنارتي السوسي الجزولي.
- ديوان أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي.
- ديوان محمد المرابط الدلائي.
- ديوان أبي سالم العياشي.
- ديوان أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي.
- ديوان أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي.
- ديوان أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور سماه "الروض الأريق في بديع

(1) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص 81.

التوشيح ومنتقى القريض".

- ديوان علي بن أحمد مصباح الزرويلي اليصلوتي.
- ديوان التافنكولتي(1).

مما يلاحظ على شعر هذه الفترة(2):

- الاتسام بالكمية أكثر من الاهتمام بالجمالية.
- عدم جمعه في دواوين معلومة إلا ما كان من بعض الدواوين التي جمعها أصحابها أو بعض أفراد عائلاتهم بعدهم.

4. النثر الفني: ألفت فيه مؤلفات عدة منها:

- الحلل السندسية في مدح المقامات الأحمدية، وهي مقامات على منوال مقامات الحريري.
- مقامة الحلاق محمد بن الطيب العلمي، "ليست كالمقامات الأخرى، لأنها لا راوي لها يروي أخبار البطل، وإنما يحكي قصتها بعض الظرفاء الثقات"(3).

وثمة أعمال أدبية أخرى أبدعتها أقلام الأدباء وضمنتها صنعة بديعية كما هو الحال في الوسائل والخطب ومقدمات الكتب وغيرها.

وقد تميز الاهتمام بالأدب في هذا العصر بظهور جيلين من الأدباء "ساهما معا في انتعاش الأدب والثقافة الأدبية مساهمة متميزة تدل على تطور في اتجاه الأدب الخالص"(4).

فالجيل الأول يتكون من شيوخ أمثال الحسن اليوسي ومحمد المسناوي وأحمد بن عبد الحي الحلبي وأبي سالم العياشي وابن سليمان الروداني وغيرهم، ويتميز هذا الجليل باتساع ثقافته الدينية وميله إلى التصوف إلى جانب الثقافة الأدبية. أما الجيل الثاني فيتكون من الأدباء الشباب الذين غلب عليهم الأدب أو التاريخ فاشتهروا به مثل ابن زاكور والعلمي وعلي مصباح الزرويلي والإفراني وعدد وافر من الشعراء المغمورين مثل محمد الشرقي وعلي مندوصة ومحمد التفنكلتي وغيرهم(5).

---

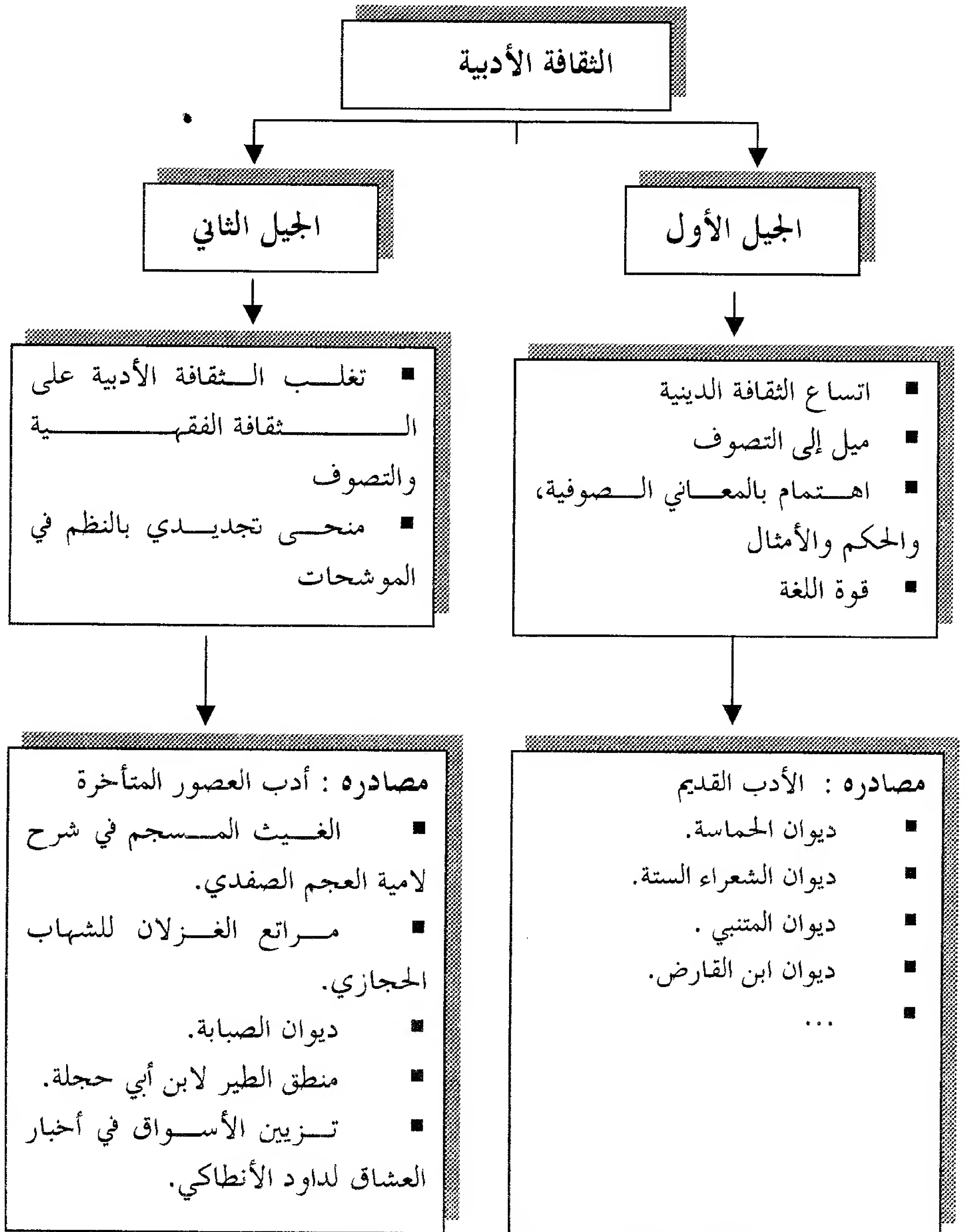
(1) رحلة الوافد ص 220.

(2) انظر جردا لدواوين الشعراء في "الشعر الدلائي" من ص 74 إلى 79.

(3) انظر الشعر الدلائي ص 74. (4) الحياة الأدبية.ص 191.

(5) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.(بتصرف) ص: 64.

ويتبين هذا من خلال هذه الخطاطة:



المبحث الثاني: ترجمة المؤلف

تسنم محمد الصغير الإفراني[1] مرتبة عالية مؤرخا وأديبا وبلاغيا بيد أنه لم يحظ بالاهتمام المناسب لمكانته تلك، حيث لم يخصه بالترجمة إلا بعض أصحاب التراجم مثل محمد بن الطيب القادري وهو ليس كافيا لإضاءة بعض جوانب حياته التي لفها الغموض، أما المحاولة التي قدمت معلومات هامة عن حياة الإفراني، وأماطت اللثام عن بعض تفاصيلها فهي لأبي الربيع سليمان الحوات (ت 1231هـ)، وتسعف المعلومات والأخبار المبثوثة في مؤلفات معاصريه في التعرف أكثر على مجريات حياته مثل الرياحين الوردية[2] والدرر المرصعة[3] لمحمد بن موسى الناصري ورحلة الوافد[4] محمد بن إبراهيم الزرهوني.

---

(1) ترجم له:

- محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر، نشر المثاني 439.
- سليمان الحوات، نقلها العباس بن إبراهيم في الإعلام 54/5.
- ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء ص 89.
- كارل بروكلمان: القسم التاسع، العصر العثماني ص 465.
- عبد السلام بنسودة:، دليل: 153/1، 242.
- محمد المختار السوسي، المعسول، 205/10.
- محمد المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، 5.
- عبد الوهاب بمنصور، ، مقدمة روضة التعريف.
- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، 288/1-296/2.
- محمد الأخضر: الحياة الأدبية، 229.
- خير الدين الزركلي: الأعلام 67/7.
- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، 598/2، 688.
- العباس بن إبراهيم، المراكشي، الإعلام، 50/6.
- عبد اللطيف الشاذلي، الإفراني معلمة المغرب، 551/2.
- محمد حجي، الزاوية الدلائية، ط1، 1964، ص 272.
- محمد المنوني المصادر العربية لتاريخ المغرب 159/1.

(2) الرياحين الوردية ص67-68.

(3) الدرر المرصعة ص91-96.

(4) رحلة الوافد 194-197.

1ـ اسمه ونسبه:

اسمـــه كمـــا خطه بيده "محمد الملقب بالصغير بن محمد بن عبد الله الإفراني نجارا المراكـــشي دارا"[1] وكنيته "أبو عبد الله"[2]، أما الاختلاف في نسبته ما بين الإفراني والوفـــراني واليفراني فمرده إلى الاختلاف حول أصله، فمن المؤرخين والدارسين من ينـــسبه إلى إفران وهو كما ذكر العلامة محمد المختار السوسي "وادي إفران المسمى وادي الأدبـــاء"[3]، ويعـــزز هـــذا الاتجاه ما أورده صاحب السعادة الأبدية في قوله "والإفـــراني بالألف واللام نسبة لإفران قبيلة بسوس لا بالياء كما ذكره بعضهم"[4]، ومنهم من ينسبه إلى قبيلة بني يفرن كما وقع لبعض المؤرخين[5].

2 ـ أسرته:

عرفت أسرة المؤلف بالعزية قال عنها المؤرخ محمد المختار السوسي: "نسبة إلى إذ عزي أسرة بتانكرت، ترفع نسبها إلى أبي بكر الصديق، وهي أخت الأسرة التي تقطن في أمانوز، ومن هذه الأسرة: الإفراني المؤرخ صاحب الصفوة ونزهة الحادي، وقد ولد ونشأ بالحمراء وقد مضى في الأسرة من رجالات العلم والأدب البشير العزيبي المتوفى بعد صدر هذا القرن"[6].

ولهـــا مدرســـة مشهورة بمدرسة تنكرت قال عنها محمد المختار السوسي: "ربما كانت مؤسسة قبل الأستاذ سيدي محمد أباراغ الحي سنة 856هـ يدرس فيها لكننا لا نعـــرفها إذ ذاك إلا بهـــذا الأستاذ، تم تتابعت فيها الدراسة إلى الآن، وهي اليوم في يد شـــيخنا ســـيدي الطاهـــر بن محمد الأديب الكبير وأولاده النجباء الأعلام"[7]، ومن

---

(1) المسلك السهل، تحقيق محمد العمري، ص51.

(2) انظر الدرر المرصعة ص91، ووردت في مصادر أخرى.

(3) سوس العالمة، ص156.

(4) ص 64.

(5) انظر الإعلام للمراكشي ص50، وإيراده لكلام الحوات عن الإفراني.

(6) سوس العالمة، ص 141، راجع لمزيد من التفصيل بحث الأستاذ المرحوم عبد الله درقاوي حول الطاهر الإفراني حياته وشعره، نال به دبلوم الدراسات العليا سنة 1984-1985م بكلية الآداب الرباط.

(7) نفسه ص156.

علمائها وأدبائها الطاهر بن محمد الإفراني، "مفخرة الجنوب"[1]، له مجموعة أشعار جمعها ابنه محمد بن الطاهر في نحو مجلدين[2].

3 ـ ولادته:

اختلف في تحديد تاريخ ولادة الإفراني بين المؤرخين، حيث ذكر بروفنصال أنه ولد بمراكش سنة 1080هـ[3]، وهو المذهب عينه الذي ذهب إليه صاحب الإعلام[4]، أما العمري فقد ناقش هذه المسألة وخلص إلى أن تحديد وضبط سنة الميلاد من العسير جدا وما يمكن قوله: أنه ولد "في السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر"[5].

وثمة من اعتبر الإفراني من "الشخصيات الفكرية المغربية الفريدة التي كثر الخلاف حول تفاصيل ترجمتها، أولا: الاسم، ثانيا: سنة الولادة، ثالثا: الوفاة، رابعا: ظروف هجرة أسرته إلى مراكش وانتقاله إلى فاس"[6].

4ـ تلقيه وشيوخه:

نشأ المترجم في مراكش، وبها تلقى تعليمه الأول، وفتح عينيه على مجال الدرس والعلم الذي سيشرع أمامه آفاقا شاسعة من الإنتاج العلمي الرصين والمتنوع، وما من شك في أن المكانة التي تبوأها وتسنمها بين أقرانه وفي وسطه الثقافي يدين فيها لشيوخه الذي لمسوا فيه مخايل النبوغ والشفوف، وعملوا ما في وسعهم لمساعدته على إتمام رحلته العلمية بما أحاطوه به من التشجيع والتحفيز فأعطوا بذلك مثالا لما يجب أن يسود بين الشيخ والتلميذ من علاقة.

فمن شيوخه:

- أحمد بن علي المواسي السوسي (ت 1130هـ):

---

(1) نفسه ص209.

(2) نفسه ص209.

(3) مؤرخو الشرفاء ص89.

(4) انظر الإعلام للمراكشي 50/6.

(5) المسلك السهل، مقدمة العمري ص54.

(6) من مؤرخي الأشراف، اليفراني صاحب النزهة، محمد مزين، المناهل، عدد 36، يوليوز 1987 ص207.

وكـــان هذا الشيخ متصوفا جال في أنحاء المغرب، وعنه تلقى الإفراني مبادئه الأولى بمراكش التي استقر بها بعدما حج ولبث بفاس مدة، وله تأثير في حياة الإفراني العلمية. إذ كان "هذا الشيخ يشجعه ويرفع معنوياته ويعده بالمستقبل الزاهر"[1]. قال عـــنه الإفـــراني: " وقد لازمته مدة ورافقته حضرا وسفرا، وانتفعت بمجالسته وشملني دعاؤه وأخبرني وأنا في إبان الحداثة: سوف أراك تهتز على كراسي مراكش ومنابرها، فحقـــق الله رجـــاءه، وصدق فراسته، وبعث له بعض الأشياخ من فاس رسالة بليغة فكلفـــني أن أجـــيب عنها، وأنا إذ ذاك في مبادئ الطلب، فقلت له: يا سيدي، أنا لا أفهـــم غالب ألفاظ هذه الرسالة، فكيف أطيق الجواب عنها؟ فقال لي: "أجب عنها، والله يفتح عليك، فأجبت عنها بجواب حسن، فدعا لي، ومن ثم سهل الله علي صناعة الإنشاء حتى صارت المعاني تتزاحم على قلمي إذا رفعته والحمد لله على ذلك"[2].

هـــذا الـــنص على طوله يفصح عن معطيات هامة منها أن الإفراني في مستوى كـــتابة رد علـــى رسالة أحد الأشياخ مع أنه لا يزال في بداية الطلب مما يؤكد نبوغه وموهبـــته الأدبية الفذة، إذ لا يستطيع النهوض بما أقدم عليه إلا من تدرج في مراقي التعلم والأخذ. وإذا اطلعنا على ما أورده صاحب رحلة الوافد حين قال: " وقد كنت عـــام ثمانية عشر (1706م) مع السيد الصغير الإفراني المذكور بمدرسة مولاي الرشيد بفاس البالي زمان قراءتنا فيه إلى أن خرجت منها وتركته بها فسبحان من يعطي ما شاء لمـــن شاء بلا منة، ووجدته حينئذ له ختمة في القرآن ولما ختمته بدأ فيها ألفية ابن مالـــك وأدرك العلوم في مدة عشرة أعوام والحمد لله"[3] نلمس مدى الغموض الذي يلـــف هذه المرحلة من عمر الإفراني، إذ أنه لم ينه بعد حفظ القرآن الكريم، وهو يرد على رسالة بليغة ردا حسنا.

ولا نعلم ظروف انتقاله إلى فاس رغم أن الإفراني مولع بالتاريخ، فلا نكاد نظفر بمعلومات عن حياته إلا ما ورد في بعض مؤلفاته مما لا يقدم صورة متكاملة عنها.

---

(1) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص86.

(2) صفوة من انتشر، مخطوط خزانة الإمام علي بتارودانت رقم: 60، ص: 260.

(3) رحلة الوافد ص227.

ومن شيوخه بمراكش: **الفقيه الصالح ابن العربي المراني**[1].

وفي سنة 1130هـ (1718م) رجع الإفراني من فاس إلى مراكش " وتصدر لقراءة التفسير وصحيح الإمام البخاري"[2].

وقد لبث في فاس اثنتي عشرة سنة تزود فيها بعلم وافر في مختلف الفنون على يد شيوخ أجلاء منهم:

- **أبو مروان التجموعتي** (ت 1118هـ)[3].
- **أحمد بن عبد الحي الحلبي** (ت 1119هـ)[4].
- **سعيد بن أبي القاسم العميري** (ت 1131هـ)[5].
- **العربي بن أحمد بردلة** (ت 1133هـ)[6].
- **محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي** (ت 1134هـ)[7].
- **أبو عبد الله المسناوي** (ت 1136هـ)[8].
- **الحسن بن رحال المعداني** (ت 1140هـ)[9].
- **محمد بن زكري** (ت 1144هـ)[10].

ولعل من أسباب استقرار الإفراني بالحاضرة العلمية (فاس)[11]:

- العلاقات الحميمية التي ربطته ببعض الأساتذة مثل محمد بن عبد الرحمان الفاسي.
- صلته ببعض ذوي النفوذ الديني والاجتماعي مثل أحمد بن عبد الوهاب الوزير

---

(1) الإعلام للمراكشي 54/5.

(2) رحلة الوافد ص226.

(3) التقاط الدرر ص 295.

(4) نفسه ص 302.

(5) نفسه ص 314.

(6) نفسه ص 318.

(7) نفسه ص 323.

(8) نفسه ص 327.

(9) نفسه ص 338.

(10) نفسه ص 356-357.

(11) انظر الإفراني وقضايا الثقافة والتراث.ص90.

الغساني وغيره.

- مواهبه العلمية والأدبية.
- ارتباطه بأدباء شبان منهم: محمد بن الطيب العلمي، ومحمد بن الطيب بن مسعود المريني، وعبد السلام جسوس.

5. تصدره للتدريس:

عاد الإفراني من فاس حيث استكمل دراسته في جامع القرويين، وتزود بعلم وأدب يؤهله لأن يتصدر للتدريس وينفق منه على طلبته بسخاء، وافتتح درسه الأول في التفسير وحاول الاجتهاد فيه واصطدم بمعارضة قوية فتت في عضده وأصابته بالخيبة وكان بذلك كمن "ألقى حجرا في بركة راكدة ليزعج سكينتها فثار في وجهه علماء مراكش وطلبتها متهمين إياه بالزندقة والجهل"[(1)].

وقد صور رفيقه في الدراسة محمد بن إبراهيم الزرهوني هذه الأحداث بقوله: "حين رجع من فاس لموضعه بمراكش، وذلك عام ثلاثين بعد المائة والألف (1718م) وتصدر لقراءة التفسير وصحيح الإمام البخاري، واجتمع عليه طلبة الحمراء بكثرة البحث والجدال في مجلس إقرائه وتدريسه، ورموه بالزندقة والجهل بأحكامها، وعدم توفر شروطها حينئذ ورفعوا أمره للقاضي بوعبدلي سيدي محمد بن أحمد والخليفة بوحفرة المذكور، وقالوا إن التفسير متى قرئ بمراكش يكون به الجوع لا محالة. وقال لهم الفقيه لا قائل بهذا. فإن ادعيتم بزعمكم عدم توفر شروط ذلك فليحضر علماؤكم وحذاق طلبتكم مجلسنا. وانقسم عليه طلبة المدينة على قسمين: قسم يحبه وقسم يبغضه. واتفق رأيهم على أن يحضر مجلسه كل يوم سبعة من نبلاء فقهائهم الحذاق يبحثونه، فمن عجز عند المناظرة فليخرج الآخر لعلهم يغلبونه، واستمروا على ذلك، فلم يقدروا له على شيء من حفظه وبلاغته.

وكان رضي الله عنه فقيه عصره وفريد دهره، كان ذا حفظ وإتقان وفصيحا وخطيبا تضرب به الأمثال، قد بهر أقرانه من نباهته حتى وقعت المضاربة بمجلسه بين الطلبة، وبلغ ذلك للحاكم وندبهم على ترك قراءة التفسير والاقتصار على ما يتعاطاه الناس في الحديث وكتب الفقه وغير ذلك لئلا تزيد المشاحنة فيما بينهم وامتثل أمره،

---

(1) نفسه، ص: 93.

ورجع لتدريس صحيح البخاري، وبقوا معه فيه كذلك، ولم يجدوا فيه ما يقولون... وبقوا معه مدة من عام على تلك الحالة ولم يزد له ذلك منهم إلا النشاط القوي. وحسده طلبة المدينة على ما خوله الله"[1] مكرر.

يعرض هذا النص أحداثا هامة لها أبعاد ودلالات تبرز سيطرة الجمود الفكري عند فقهاء مراكش، وقد بلغ مداه باتهام الإفراني بالزندقة، هذه التهمة التي يلجأ إليها الفقهاء وذوو السلطة ضد مناوئيهم ومخالفيهم في الرأي و"هذه الكلمة تعني عند المغاربة إما تعاطي الفلسفة أو الانحراف الخلقي والميل إلى المجون، وربما كان المعنى الثاني هو المعنى المقصود في اتهام الإفراني وذلك بالنظر إلى ما يحتوي عليه كتاب المسلك السهل من تماجن"[2].

وقد حمل الإفراني على خصومه حملة شديدة صاغ معانيها في قصيدة له منها: [الوافر]

إلى كم يهتك الحساد عرضي ... وجفني عنهم بالحلم مغض
وما ذنبي إليهم غير أني ... رفعت عنهم بغير خفض
يرون العلم في حبُس وشيب ... وذاك عليهم بالجهل يقضي
وهل في خطة الأحباس شيء ... سوى غضب الإله وهتك عرض
وكم من أشيب كالبغل يمشي ... ولحيته اللجام له، بركض
فقل لشيوخ مراكش هلموا ... بإنصاف لتصطبحوا بروض
ولا يحملكمُ كوني صغيرا ... على إنكار مرتبتي وبغضي
فإن العلم نور الله، يعطي ... إنارته لبعض دون بعض

لكن الإفراني لم يستطع الانتصار على خصومه إذ عملوا على زحزحته عن كرسي مادة التفسير، مما ولد لديه أزمة شديدة، تحدث عنها في كتابه"نزهة الحادي" الذي كلما رام تهذيبه عاقته العوائق، يقول: " ولما ألمت بنا تلك المصيبة الفادحة ورمتنا بأسهمها التي هي في عرض الدين قادحة، غادر فكري شجاها، عافيا غير معافى

(1) مكرر، رحلة الوافد ص226.
(2) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص95. وانظر رد الإفراني على مناوئيه في المسلك السهل ص: 143.

واستولى على ما صيرت به أحاديث النشاط ضعافا وأحاديث الكسل صحاحا لطافا، واشتغلت الجوانح والجوارح، برعي أحزان همل وسوارح، ونبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران، حتى نسجت عليها عناكب النسيان وصرت إذا وجهت الوجهة لإكمال تلك النزهة، أنشد لسان حال الجد العاثر.

هــذا زمــان دراهــم لا غيرهــا فــدع الدفاتــر للــزمان الفاتــر[1]

6ـ مؤلفاته:

انهمك الإفراني في التأليف والبحث رغم الظروف الصعبة المحيطة به بل أصبحت هــي عيــنها شاحذة لهمته، وقادحة لزناده، فسعى إلى إثبات ذاته وتحدي حساده وخــصومه، وقــد ألف مجمل مؤلفاته في الفترة بين سنة 1130 و1139 وهي بحق أخصب مراحل حياته الفكرية، وتدل مؤلفاته المختلفة على تنوع ثقافته التي تتحدد في ثلاثة محاور[2]:

- الأدب عامة ويتضمن اللغة والنحو والتاريخ.
- الدين: وفيه القرآن والحديث والتصوف والإلهيات والفقه.
- العلم: الرياضيات والفلك.

بــيد أن أغلب مؤلفات الإفراني تقع في المحور الأول، أما الثاني فلم يترك فيه ســوى مؤلف واحد هو: فتح المغيث بحكم الحسن في الحديث " وعلى صغر هذا المؤلــف فإن الإفراني اعتمد فيه أكثر من عشرين مصدرا، وهو يعتبر إنتاجا أصيلا بالقــياس إلى تآلــيف هذا العصر التي لا تخرج عن نطاق الشروح والحواشي"[3]. وللإفــراني أجوبة فقهية وفتاوى ذكرها صاحب رحلة الوافد بقوله: " وقد جمع فيه خمــسة وعــشرين مسألة، كل واحدة منها تساوي رحلة"[4]. وفي المحور الثالث لم تعرف له غير نقول في الطب والجغرافيا والطبيعة.

أما المجال الذي عرف به الإفراني وألف فيه تآليف غاية في الإفادة:

(1) النزهة ص: 435-436.

(2) انظر الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص103.

(3) نفسه ص105.

(4) رحلة الوافد، ص227.

1. التاريخ والتراجم:

ألف فيه:

- نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي:

تحدث فيه الإفراني عن نسب السعديين وما أحاط توليتهم الملك وأخبار سلوكهم الأولين وعلاقة المنصور بالعلم والعلماء والحركة الثقافية في عصره[1]. وخصص حيزا من الكتاب للحديث عن الثورات التي اندلعت عقب وفاة المنصور، وكانت خاتمة الكتاب مركزة على ذكر نسب العلويين حتى عهد المولى إسماعيل.

واعتبر بروفنصال أن"نزهة الحادي كافية لتحل مؤلفها الإفراني محلا مرموقا بين رجال الأدب المغاربة"[2].

- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر:

انتهى من تأليفه سنة 1137هـ/1724م، ويتضمن تراجم علماء وفقهاء القرنين الحادي والثاني عشر للهجرة ويتسم كتاب الصفوة: "بنفس الجدية والاستقامة والتثبت التي يتسم بها ذلك الكتاب المخصص للدولة السعدية ويؤكد من جهة أخرى ما يحظى به في المجال التاريخي من تقدير واعتبار"[3]. وقد تنبه المستشرق "**كوديرا**" إلى أن "الكتاني لم يذكر في سلوة الأنفاس، إلا ثمانية من الخمسة والسبعين علما من أعلام القرن الحادي عشر الهجري المذكورين في الصفوة"[4].

- روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف أو الظل الوريف في التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف:

شجعه على تأليفه حاكم مراكش حسبما ورد في مقدمته، يقول: " وبعد فهذا كتاب ضمنته أخبار هذه الدولة السنية، المولوية الإسماعيلية، وسميته، لما هذبت أبوابه البهية، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف، ولك أن تسميه الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، والذي حداني إلى تصنيفه، ورغب في الظفر

(1) النزهة ص436.

(2) مؤرخو الشرفاء ص217.

(3) نفسه ص217.

(4) نفسه ص218.

بتنسيقه ريحانة الوزراء، وإنسان عين الأمراء.. أبو الغنائم غازي بن أحمد.. فهو الذي نبه ذهني لهذه المفخرة من الذهول"[1]. كان تأليفه سنة 1133هـ وتأخر إخراجه إلى سنة 1146هـ، بعد وفاة المولى إسماعيل بسبع سنوات.

- **درر الحجال في مناقب سبعة رجال** أو زبدة الأوطاب في مناقب الأقطاب: لم يتممه، وهو من مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا وسبعة أسماط، أنهى السمط الأول في ترجمة القاضي عياض[2].

- **المغرب في أخبار ملوك المغرب:**

هو في حساب المفقود ولا نعرف عنه إلا ما تناقله بعض المؤرخين[3].

- **طلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري:**

ذكره الإفراني في المسلك السهل في حديثه عن الخلاف حول إسلام بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال[4].

- **الوشي العبقري في ضبط لفظ المقري:**

فرغ منه سنة 1156هـ، ذكره الكتاني في فهرس الفهارس[5].

- **تقديم أو خطبة واسطة العقدين** في ترتيب الكناشتين السعيدين:

تلخيص لكناشتي المولى إسماعيل ومقدمته عن فضل التاريخ وظروف التلخيص[6]. ولعل في اختيار السلطان إسماعيل للإفراني للتقديم لكناشتيه دلالة على المكانة العلمية التي تبوأها دون غيره.

- **تقريظ رسالة لمحمد بن عبد المؤمن سماها: تنقية النفس:**

ذكرها المراكشي في الإعلام وهي في مخاطبة محمد الشرقي، وهي مؤرخة بسنة 1155هـ[7].

---

(1) روضة التعريف ص6-8.

(2) انظر الإعلام للمراكشي 57/5.

(3) ذكره ابن سودة في دليل المؤرخ 164/1.

(4) المسلك السهل ص68. وانظر الإعلام للمراكشي 54/5.

(5) نفسه ص15/2.

(6) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 478/2.

(7) الإعلام 59/5.

2. الأدب:

كلف الإفراني بالأدب والبلاغة وضرب فيهما بسهم وافر منذ أول طلبه، ولعل أول كتاب ألفه في هذا المجال لدليل على تضلعه وتمكنه، وهو كتاب:

- **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل** الذي يعد في المجال التطبيقي: "أوسع وأجرأ محاولة عرفها العصر في تطبيق البلاغة على دراسة النصوص الأدبية"[1]. وهو كما وصفه أحد الدارسين "أطروحة أنهى بها سنوات الغربة... تدل على كفاءة ومعرفة في اللغة والأدب، واطلاع واسع على الثقافة العامة" [2]. وقد أنهى تأليفه في أول رجب من سنة 1128هـ بالمدرسة الرشيدية بفاس[3].

- **تعليق على أرجوزته المسماة "ياقوتة البيان"**، وهو موضوع هذا العمل، شرح فيه أرجوزته في الاستعارة والمجاز عامة أبياتها اثنان وستون بيتا بخلاف ما أورده بعض الدارسين من أن أبياتها ثلاثة وستون[4]، في صفحات تنيف على العشرين أو تقل حسب النسخ.

- الإفادات والانشادات:

ورد ذكره في الإعلام، قال فيه أبو الربيع سليمان الحوات: "وهو تأليف لا كفاء له في الحسن"[5] وهو مفقود.

- أشعار متفرقة:

خلف الإفراني أشعارا موزعة بين المصادر وقد ورد بعضها في الدرر المرصعة للناصري الذي سلمه الإفراني كراسة من نظمه بينها قصيدة مدح بها الشيخ محمد بن ناصر مطلعها[6] مكرر:

أبدى الربيع من الاقاح ألوانا ورنح الزهر أدواحا وأفنانا

---

(1) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب.ص75.

(2) نفسه ص93. وانظر حديثا مفصلا عن الكتاب في تحقيق محمد العمري له سنة 1997، والحياة الأدبية ص234.

(3) انظر الإفراني وقضايا الثقافة والأدب ص87-88.

(4) انظر مقدمة تحقيق المسلك السهل في توشيح ابن سهل ص: 14.

(5) الإعلام 54/5.

(6) مكرر الدرر المرصعة ص94.

و من شعره مفتخرا[1]:

أنـــا أشـــعر الـــشعراء غير مدافع ... مـــن قـــال لـــست بشاعر يأتيني
فكـــري هو البحر الخضم شبيهه ... والبحـــر مـــأوى الجوهر المكنون

7ـ وفاته:

اخـــتلف الذين ترجموا للإفراني حول سنة وفاته اختلافا كبيرا حتى وصل الفرق بين هذه السنوات إلى ست عشرة سنة وهو أمر يدعو إلى التساؤل.

فقـــد ذكر الحوات أنه توفي في حدود 1140هـ ورد المراكشي قوله بأن "ليس الأمـــر كذلك فقد بقي حيا إلى سنة خمس وخمسين (1155هـ)" [2]، وذهب محمد بن الطـــيب القادري إلى أنه قضى في "حدود عام خمسين ومائة وألف"[3]، وهو التاريخ عينه الذي أورده عبد الوهاب بن منصور عند تقديمه لروضة التعريف، وخلص هاشم العلوي إلى أن وفاته كانت آخر عام 1152هـ أو 1153[4]، أما محمد العمري فيرى أنها ما بين سنة 1156هـ وثالث جمادى 1157هـ، وتوصل محمد الأخضر إلى أنها عام 1153هـ[5].

ومن المعلوم أن عقد استعارة الكتب من خزانة ابن يوسف نص على استرجاع كـــتب مـــن تـــركته سنة 1157هـ[6]. وبناء على هذا فمن المرجح أن تكون وفاته محصورة ما بين سنتي 1156هـ و1157هـ.

(1) نفسه ص99.
(2) الإعلام 56/6.
(3) التقاط الدرر ص439-440.
(4) نفسه ص440 هامش8.
(5) الحياة الأدبية ص230، وأشار في الهامش 5 إلى أن هناك معلومات أخرى خاطئة أيضا تجعل سنة وفاة الإفراني بعد 1156هـ ويقصد فهرس الفهارس، 15/2.
(6) الإفراني وقضايا الثقافة والأدب ص 102.

الفصل الثاني / النصّ وقيمته

المبحث الأول: مضامين النص.

المبحث الثاني: منهج التأليف.

المبحث الثالث: مصادر النص.

المبحث الرابع: شـــواهــــــده.

المبحث الخامس: تقويم النص: اتباع أم ابتداع.

توطئة:

ولج الإفراني باب البلاغة والأدب بكل ثقة واطمئنان غير هياب دروبه ومنعرجاته بل سار فيها سير العارف الثقف، وقد حظيت علوم البلاغة بالاهتمام إبان هذا العصر وما قبله لعلاقتها بفهم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولطابع الموسوعية دخل في ذلك إذ كان العلماء فقهاء وأدباء لغويين ومؤرخين في الوقت نفسه.

إلا أن التأليف في مجال البلاغة كان محدودا وأغلب ما ألف عبارة عن شروح وحواش، والإفراني من القلائل الذين ألفوا في البلاغة والبيان بصفة خاصة، ولعل اختياره هذا ذو دلالة فهو لم يحفل بعلمي المعاني والبديع بل توجه توا إلى البيان وهو من العلوم الجليلة التي تتطلب ذائقة خاصة وحاسة فنية مرهفة. ثم إنه اختار شكلا شعريا وهو النظم ليصب فيه هذه المادة البلاغية. وفي اشتغاله بالتدريس تفسير لذلك لرغبته في تقديم هذه المادة في صورة محددة مضبوطة يسهل الإمساك بها وامتلاكها، وسار أيضا إلى "ضبط طريقته وفرضها على أعدائه"[(1)]. وإلى شيء من ذلك أشار في تقديمه لتعليقه على أرجوزته حين قال: " والله يجعلني به من أهل الغرة والتحجيل، ويحفظ أديمه من مخالب شهوات أهل هذا الجيل"[(2)]. فهو بذلك يطمح إلى إثبات ذاته بالتأليف في مختلف العلوم بسبب عدم الاعتراف بتفوقه وجدارته، قال محمد بن إبراهيم الزرهوني مخاطبا الإفراني: "فحسب طلبة الحمراء وعلمائها لو كان الإنصاف، والوقوف عند إمارتك، والاستفادة من لحظ إشارتك لا ما بلغنا واستفاض ذكره هنا عنهم معك، ومن تمشدقهم عليك، وتجلدك وصبرك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لم يأت أحد بها بمثل ما أتيت به إلا عودي"[(3)].

---

(1) من مؤرخي الأشراف: الإفراني صاحب النزهة، محمد مزين مجلة المناهل، عدد 36 يوليوز 1987، ص 216.

(2) انظر النص المحقق، ص: 137.

(3) في رحلة الوافد تحقيق علي صدقي ص234 ورد: أوتيت، وفي الميكرو فيلم مخ خ ع برقم 1124 ص 195 الذي اعتمده د. محمد العمري في كتابه الإفراني وقضايا الثقافة والأدب نجد اللفظة المثبتة أعلاه.

المبحث الأول: مضامين النص

خــصص الإفراني أرجوزته لتفصيل القول في البيان استعارته ومجازه وبذلك صرح في بداية الأرجوزة في معرض حديثه عن الهدف من تأليفها بقوله:

والقـصد ضـبط الاسـتعارة التي   في ضـبطها ظـبى العقـول كلت

وحـصر باقـي أضـرب المجـاز   والله بالنـيـة لي مجـازي

وتوخى من نظم أرجوزته وتعليقه عليها جعل علم البيان في متناول الطلبة و"بيان ما يضبط أقسام الاستعارة ويجمع متفرقها، ويذلل صعبها الذي حير الأوهام وكثر عليها زائغ الأوهام"[1] ويبرر ذكره لأنواع المجازات بقوله: " ولما كانت الاستعارة نوعا من المجاز ناسب أن يكمل الغرض باستيفاء الكلام على سائر المجازات لأن في ذكر البعض منها دون البعض تشغيبا على الناشئ"[2].

وقـسم اللفـظ إلى مجاز وحقيقة، واعتبر البيان صناعة والمطلوب فيها عنده: "التوصـل إلى التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[3]، أما الحقـيقة فـلا يحفل بها السامع بخلاف المجاز الذي هو "الباعث على ترويج الكلام وتزيين المستهجن حتى يستعذب الأجاج ويستحسن المستقبح"[4].

وعـرج على التشبيه فاعتبره فردا من أفراد الحقيقة، وذكر أركانه الأربعة دون التشعب في إيراد تقاسيم تلك الأركان لالتزامه الإيجاز. وفي **السمط الأول** من شرحه عرف بالمجاز اللغوي وأورد تقسيماته من مفرد ومركب واعتبر بأن المركب "له فضل على غيره حتى كأن ما عداه من التشابيه في نظر البلغاء كلا تشبيه"[5].

وتحدث عن المجاز اللغوي وأعقبه بالمجاز العقلي لكي تتم الفائدة وتكتمل صورة البـناء البياني وفي ثنايا هذا الحديث أورد إنكار السكاكي للمجاز العقلي حيث "أدرج ما وجد من ذلك في الاستعارة بالكناية"[6].

(1) شرح الأرجوزة ص: 139.

(2) نفسه ص: 135.

(3) نفسه ص: 141.

(4) نفسه ص: 141.

(5) نفسه ص: 155.

(6) نفسه ص: 154.

أمـــا الـــسمط **الثاني** من الشرح فقد أداره الشارح على الاستعارة التصريحية وأقـــسامها وهـــي التي "يذكر فيها المشبه به ويطوي ذكر المشبه"[1]. وقسمها إلى التقـــسيمات المعـــتادة عند البلاغيين، إلى أصلية وهي التي يكون المستعار فيها اسم جنس، أما التبعية فتكون في الفعل والحرف، ويورد رأي السكاكي الذي يخالف فيه ما ذهـــب إليه الجمهور في رده الاستعارة التبعية إلى الاستعارة المكنى عنها. ومن أقسام الاستعارة أيضا كما أورد الشارح استعارة تحقيقية وتخييلية، وتطرق لأركان الاستعارة مـــن مـــستعار ومستعار منه ومستعار له وقد وقع في تقسيمه اضطراب أشير إليه في محله[2]. وأورد أقسامها العديدة واعتبر الترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد ومن جمع الترشيح والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه[3].

أمـــا **السمط الثالث** من الشرح فقد تناول فيه الاستعارة بالكناية والتخييلية، وهـــذان الـــنوعان عنده "أمران معنويان وهما فعلان للمتكلم ويتلازمان في الكلام لا يـــتحقق أحـــدهما بدون الآخر لأن التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة"[4]. ونجـــده يورد مذهب السكاكي الذي يخالف الرأي السائد، فالتخييلية في مذهبه هي: "ما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية محضة"[5]. وتحدث عن الفرق بين الترشيح والتصريح.

وللكناية حضور في أرجوزة الإفراني وشرحه حيث عرفها بقوله:

حـــد الكـــنانة لمـــن لهـــا مـــريد ... لفـــظ بـــه لازم معـــناه أريـــد

مـــع جـــواز أن يـــراد معـــه ... فيخـــرج المجـــاز فـــافهم دفعـــه

وهنا يتم نظمه وتعليقه ويعتبر أن أرجوزته: "منظومة إن شاء الله في سلك العلم والإفادة"[6].

والملاحظ أن الإفراني تطرق إلى المباحث البلاغية التي تعاورها البلاغيون قبله

(1) نفسه ص: 154.

(2) الشرح ص: 159.

(3) نفسه ص: 163.

(4) نفسه ص: 165.

(5) نفسه ص: 169.

(6) نفسه ص174.

وعرض لقضاياها في أبيات أرجوزته الاثنتين والستين وهي موجزة بالنظر إلى ما عداها من الأراجيز[1].

المبحث الثاني: منهج التأليف:

نظم الإفراني أرجوزته وعلق عليها وارتأى تقديمها إلى المتلقي في صياغة محددة وعبر بناء أو هيكل مقصود، وضمنها محتوى بلاغيا مركزا وفق المنهج الذي ارتضاه واطمأن إليه حتى تصل إلى المتلقي في أبهى حلة وأجمل صورة كيما يتلقاها ويتقبلها بقبول حسن ويرهف لها سمعه فيتحقق التأثير والتجاوب، وهو ما توخاه في منظومته هذه وفي غيرها من مؤلفاته، إذ عنون إحداها بعنوان مشتق من النهج والمنهج أي الطريق الواضح الذي ينهجه السالكون ويسلكونه وهو كتاب: "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل". والأخذ بالمنهاج يدل على الفكر المنظم الذي يثوي خلف الإنجاز. "فالمنهاج ولا ريب مفتاح التحكم في كل بحث ونجوع وكل دراسة"[2].

وعندما يتعلق الأمر بدراسة منهجه في تأليفه فإنه يستدعي الوقوف على نصين لا نص واحد: المنظومة والتعليق حيث يبرز الإفراني ناظما وشارحا، مبدعا وناقدا، واضعا للنص ومفسرا.

ـ المنظومة:

أـ العنوان:

وقبل أن نلج مجال منهجه في المنظومة يستوقفنا عنوان المنظومة الذي اختاره الناظم وهو "ياقوتة البيان" والياقوت نوع من الأحجار الكريمة ذو لون أحمر لافت للانتباه لحسنه وجاذبيته، وليس الإفراني أول من ابتدع التسمية بالياقوتة بل ثمة مؤلفات عديدة سميت بالياقوتة أو اليواقيت منها:

- ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام مولاي حفيظ العلوي.
- اليواقيت الأحمدية لأبي العباس أحمد بن العياشي سيكرج.

---

(1) من ذلك الأرجوزة الأنيقة في المجاز والحقيقة في سبعة وثمانين بيتا من تحقيق د. محمد ناجي بن عمر سنة 2003م.

(2) المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، عبد الله العروي وآخرون، ط 1، 1986، دار توبقال، المقدمة، ص7.

- اليواقيت الثمينة... وغيرها[1].

والعنوان "من أهم العتبات التي تهيئ القارئ وتوجه علاقته بالنص"[2]. وقد عنون الإفراني أرجوزته بعنوان جذاب يفتح أفق انتظار أمام القارئ ويستحثه لقراءتها. فالياقوتة بإشعاعها وبهائها تخلب الألباب وهذا ما طمح إليه حين قال موضحا هدفه من هذه التسمية "فإن قلت هل في تسمية هذه المنظومة بالياقوتة تزكية فيكون ذلك من معنى ولا تزكوا أنفسكم، وقد بدل عليه السلام أسماء تؤذن بالتزكية كبيرة، فينطبق ذلك على تسمية الكتاب قال: "أشار شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان في شرح الفريدة للسيوطي إلى أن مقصود المؤلفين بأمثال هذه التسامي والثناء على مصنفاتهم إنما هو لتنشيط الطالبين وتهييج الراغبين والأعمال بالنيات"[3].

والإفراني من ثم يعد العنوان ذا دلالة أساسية ووظيفة محورية في التمهيد لتقبل العمل، وهي داخلة في المجال النفسي من حيث التنشيط والتهييج وإيقاظ النفوس وإثارة انتباهها.

ب ـ هيكل الأرجوزة:

قسم الإفراني أرجوزته أقساما ثلاثة و"تكاد تكون الهندسة البنائية التي تقوم عليها الأرجوزة المغربية مماثلة متشابهة، وهي هندسة تتشكل من مقدمة وعرض وخاتمة"[4].

أما **المقدمة** فتبدأ في الغالب بالحمدلة والشكر لله تعالى والتصلية على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، كما قال الشوردي في أرجوزته[5] بقوله:

الحمد لله الذي قد أظهرا — عصابة الدين على من كفرا

ونصر الإسلام والحق بدا — وضل من دين الصليب عبدا

---

(1) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام بن سودة 576/2.

(2) البوح والكتابة، عمر حلي، ص 46.

(3) الشرح ص: 175.

(4) الأرجوزة في الأدب المغربي، عبد الجواد السقاط، مجلة المناهل عدد 35 ص 308.

(5) نفسه ص 309.

ثم صلاة ربنا للأبد على النبي المجتبى محمد
وآله وصحبه ومن غدا لنصر دين الهاشمي مجتهدا

لكن اسم الناظم قد يتصدر أحيانا كما هو الشأن في ياقوتة البيان وهو النهج عينه الذي ورد عند عبد الواحد بن عاشر (ت 1040)، صاحب أرجوزة "المرشد المعين". يقول الإفراني:

يقول أخوف الورى مما اكتسب محمد الصغير الإفراني النسب
حمدا لمن علمنا البيانا وجعل الذكر لنا تبيانا
وصلوات هاميات السحب على النبي وآله والصحب

وضمن هذه المقدمة يحدد الموضوع الذي نظمت الأرجوزة من أجله، يقول:

والقصد ضبط الاستعارة التي في ضبطها ظبى العقول كلت
وحصر باقي أضرب المجاز والله بالنية لي مجازي

بيد أن الإفراني يحاول أن يخرج أحيانا عن المألوف وذلك للتنويع والبعد عن المعتاد والمتعارف وذلك حين سمى المقدمة"سابقة" لأنه قد "آثر التعبير بها على المقدمة تلوينا للتعبير والإفهما بمعنى"[(1)] .

أما **العرض** فهو "مرحلة تتسع لكافة المضامين التي يريد الراجز أن يطرحها، سواء كان ذلك بشيء من التركيز أو الاختصار أحيانا، أو كان بغير قليل من التوسع والإطناب"[(2)].

وقد أخذ الإفراني بمبدأ الاختصار على خلاف أراجيز أخرى ذات طول مفرط، وعرض مضامين علم البيان مع الحرص دائما على عدم الانسياق مع كثرة التقسيمات والمجادلات والمناقشات التي يأخذ بعضها برقاب بعض ونجدها مبسوطة في كتب الشروح والحواشي.

وأما **الخاتمة** فتتضمن غالبا الدعاء والتصلية والتوسل إلى الله تعالى برسوله ﷺ، وقد خالف الإفراني هذا النهج وجاءت خاتمة أرجوزته متضمنة فقط الحمدلة والتصلية، واسم أرجوزته الذي أرجأه إلى الأخير، ومن أصحاب الأراجيز من يستهل

(1) الشرح ص: 140.
(2) الأرجوزة في الأدب المغربي ص 313.

بــه أرجــوزته، لكن الإشارة الهامة التي وردت في خاتمته هي التي تحدث فيها عن الحساد، وهي إشارة دالة، إذ ظل هذا الهاجس مرافقا له في مؤلفاته، يقول في "المسلك الــسهل" في معرض رده على بعض منكري عمله في شرح توشيح ابن سهل: "كأني بمعتــسف، ممتلــئ الــصدر بالأضغان والإحن، ينكر إكبابي على إيضاح مغفل هذه الموشــحة. ويحــتج بأنها مشتملة على وصف الخدود والقدود، والمبالغة في وصف الراح... "[1]. وقال في مقدمة كتابه نزهة الحادي: " فجدير بمن سرح فيه ألحاظه أن يسامح نسيجه ولا ينتقد ألفاظه، ولا يكون من قوم ألجم الحسد ألسنتهم، وأطالوا على فــراش العــصبية سنتهم، لكن السلامة من الخلق قضية في المحال مفروضة، وأعراض الأشراف لم تزل بألسنة اللئام مقروضة. والله يغيبنا في ذاته عن الهجو والقدح، ويجعلنا ممن يرى أن كلام الخلق كله شبه المزح"[2].

يقول الإفراني في خاتمته:

وههــنا نظــم القــصيدة كمــل ... بالغــت في اختــصارها كي لا تمل

سميــــتها ياقــــوتة البــــيان ... لأنهــــا ذخــــيرة الأعــــيان

وقــد رمــت حــسادها بالفلــق ... أعــيذها مــنهم بــرب الفلــق

والحمــــد لله وأطــــيب الــــصلاة ... علــى الــذي بحــبه تأتي الصلات

مــــا قطعــــت أزاهــــير الــــبراعة ... أفكــــار فرســــان ذوي الــــبراعة

ج ـ أسلوبه في نظمه:

الإفــراني أديــب بياني مبرز يدل على ذلك عطاؤه الأدبي المتميز فهو "يوصل المعاني بأدق عبارة وأسسها في صنعة خفية ينعم بها القراء ولا يدرك أسرارها إلا أولوا الألباب من المختصين"[3].

إلا أن هــذا المنحى لا يظهر جليا في المنظومة، فقد سيطر الهم التعليمي على الإفــراني وحملــه على تبسيط لغته بحيث تستحيل علمية شفافة غير مثقلة بضروب التحسينات وأنواع المجازات، فهي لذلك كله لغة سهلة المأخذ تطبق المفصل وتوصل

(1) المسلك السهل ص 143.

(2) نزهة الحادي، ص 27.

(3) مقدمة تحقيق المسلك السهل ص 5.

المعـــنى بأوجز السبل، ولعله وعى أهمية المقام ونوعية المتلقي المقصود ولهذا جاءت لغته تقريرية في عمومها إلا ما كان من بعض الطلاوة التي تصطبغ بها أبيات الخاتمة.

وليس هذا الأمر خاصا بأرجوزة الإفراني بل يكاد يكون عاما في الأراجيز التي تـــستهدف تنظـــيم المعرفة وتيسيرها للطلاب سواء في العلوم الشرعية أو الأدبية أو التاريخية وغيرها.

د ـ منهجه في الأرجوزة:

يقوم منهج الإفراني في أرجوزته على ثلاثة مرتكزات هي:

1- الضبط والحصر (الحد).

2- التقسيم.

3- الإيجاز.

ومدار كل هذه المرتكزات على الغاية التعليمية التي من أجلها نظمت الأرجوزة فهي جملة خدم لهذا الهدف.

1. الضبط والحصر (الحد).

يمتح الإفراني في هذا المرتكز المنهجي من الحقل المنطقي، إذ إن تحديد المعرفة وضبطها وحصرها من شأن المنطق، وعملية الحد ووضع التعاريف وصياغتها ليست "مجـــرد لعب بالكلمات، إنها عملية ذهنية شاقة ومضنية، ولا يتأتى وضع تعريف دقيق للفظة أو للشيء إلا بعد الإحاطة به ومعرفته معرفة عميقة، واستيعاب كلياته وجزئياته ولوازمه، وتزداد صعوبة صياغة التعريف وتتعقد حين يتعلق الأمر بالألفاظ الفضفاضة الحاملة لشتى المعاني والدلالات"[1].

وتظهـــر صعوبة الحد حينما نطلع على تعريف السكاكي له حيث يقول: "الحد عـــندنا دون جماعة من ذوي التحصيل عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه أو بلوازمه أو بمـــا يتركب منهما، تعريفا جامعا مانعا، ونعني بالجامع كونه متناولا لجميع أفراده إن كانت له أفراد، وبالمانع كونه آبيا دخول غيره فيه"[2].

---

(1) كيفية صياغة التعريف عند السكاكي، د. محمد بوحمدي مجلة دراسات مصطلحية العدد 1، 2001م، ص 54.

(2) مفتاح العلوم ص 436.

وقد رام الإفراني تقديم علم البيان عبر ضبط مكوناته وحصر جزئياتها يقول:

والقصد ضبط الاستعارة التي ... في ضبطها ظبى العقول كلت

وحصر باقي أضرب المجاز ... والله بالنية لي مجازي

ويحد الحقيقة بقوله:

فحدها كلمة مستعملة ... في عين ما وضعه الواضع له

ويقول عن المجاز:

لفظ المجاز باعتبار الرابطة ... مفرد أو مركب لا واسطة

فالمفرد الكلمة المستعملة ... في غير ما وضعه الواضع له

مع قرينة على وجه يصح ... فشرطة علاقة ستتضح

أما الترشيح فقد حده بقوله:

وحد ترشيح بحث عنه ... ملائم للمستعار منه

ويختم بحد الكناية:

حد الكناية لمن لها مريد ... لفظ به لازم معناه أريد

فهدفه إذن حصر المعرفة البيانية البلاغية وتقديمها إلى المتلقي/ طالب العلم بأوجز لفظ وأحكم صياغة.

2. التقسيم:

ينتمي هذا المرتكز إلى المنهج التقريري الذي أخذت به المدرسة الكلامية، ومن روادها الكبار أبو يعقوب السكاكي، هذا المنهج ينحو إلى التقسيم والتفريع وتقديم المعرفة البلاغية عبر تقسيمات ويتميز بأنه "منهج عقلي علمي يقوم على التعاريف والتقاسيم ويصدر عن آراء سابقة في موضوعات الأدب ومعانيه ويحاول أن يخضع لها الشعراء والكتاب"[(1)]. يقول الإفراني موجها المتلقي إلى ضرورة الأخذ بالتقسيم:

واللفظ قسمه واسقط السقط ... إلى مجاز وحقيقة فقط

وفي حديثه عن الاستعارة يشير إلى ما تعاوره البلاغيون قبله من تقسيمها:

(1) أثر المنطق في البلاغة العربية، محمد الواسطي مجلة فكر ونقد السنة الخامسة العدد 41، 2001 ص 66.

وليس يخفى عن ذوي الأذهان   تقسيمها بحسب الأركان

ومع أخذه بمبدأ التقسيم فإنه لا يبالغ فيه ولا ينصرف إلى تتبع التقاسيم العديدة بل غالبا ما يشير إليها دون إيرادها لما في ذلك من إطالة:

والطول في تقسيمها بطالة   إذ ليس من غرضنا الإطالة

ويقول عن أنواع المجاز غير اللغوي:

وأضرب المجاز غير اللغوي   يضيق في استقصائها حرف الروي

3. الإيجاز:

وهو المرتكز الثالث الذي نصبت عليه الأرجوزة في منهجها، فقد أحكم تناول مباحث بلاغية في علم البيان، يقول:

وها أنا أذكر من أحكامها   مباحثا بالغت في إحكامها

فالإيجاز محبذ عند الإفراني بما أنه يصرف عن الملل والكلل ويحفظ للطالب وقته وطاقته يقول:

وههنا نظم القصيدة كمل   بالغت في اختصارها كي لا تمل

ولم يعمد الإفراني في أرجوزته التي سماها قصيدة إعلاء من شأنها وتأكيدا على قيمتها وأهميتها إلى الاختصار فقط بل إلى المبالغة في ذلك وهو فعل قصدي لغرض تعليمي.

4 ـ الشرح:

سماه الإفراني تعليقا وهو الذي "ينجز على النص كوحدة خطابية ذات طابع تأويلي وتيمي بواسطة إيجاد بعد بين التعبير والمعبر"[1]. وما من شك في أن عملية الشروح عامة من أوسع العمليات في الحقل التصنيفي بالمغرب وأكثرها عطاء وخصوبة"[2].

وقد راجت حول هذه الشروح عدة أحكام تقضي كلها بأنها لا قيمة لها أو

(1) المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش ص 88، ، المكتبة الجامعية الدار البيضاء. 1984.

(2) الشروح الشعرية في الأدب المغربي، دعوة الحق، عدد 286 ص39.

عديمة الجدوى لأنها تعد "رمزا للعقم وعلامة على الاجترار، لارتباطها بشرح التآليف الفقهية والعلمية وبعض الشروح الأدبية الهزيلة"[1]. بيد أن هذه التصورات غير المؤسسة على بحث علمي مستقص ودقيق. تظل في حاجة إلى إعادة النظر، خاصة إذا وقفنا على أعمال جيدة تأتي على بنيان هذه الأحكام من القواعد ويدرك المطلع عليها: "أنه أمام مؤلفات أصيلة فيها الكثير من الفوائد الأدبية والعلمية التي لا توجد في غيرها وفيها الكثير من الآراء النقدية والمناقشات الذوقية الخاصة بمؤلفيها، مما يجعلها في مستوى المؤلفات الأدبية الرفيعة الغنية بالمعارف المتنوعة، والمتميزة بالدقة العلمية والأسلوب النقدي التحليلي"[2].

أـ منهجه في الشرح:

قبل التعرف على منهجه في شرحه للأرجوزة يستحسن الوقوف على بنائه الهيكلي لتحديد المنظور الذي أطر شرحه ووجه تحليله.

- **هيكل الشرح:**

— **المقدمة**: مهد الإفراني لشرحه أو تعليقه بمقدمة على عادة الشراح الذين "يمهدون لشروحهم بمقدمة أو خطبة يطرحون فيها الأسباب التي حملتهم على إنجاز الشرح، وكذا الخطة أو النهج الذي اعتمدوه في هذا الإنجاز[3] بدأ فيها بالبسملة والحمدلة والتصلية وعرف فيها بتعليقه وأرجوزته بقوله: " وبعد فهذا تعليق على أرجوزتي الموسومة بياقوتة البيان يزهر به روضها ويفعم بالفوائد حوضها، والله يجعلني به من أهل الغرة والتحجيل ويحفظ أديمه من مخالب شهوات أهل هذا الجيل"[4]. ثم تحدث فيها عن اسمه ونسبه والهدف من نظم الأرجوزة وطفق يتحدث عن الحقيقة والمجاز فيما يمكن اعتباره توطئة أو مدخلا واعدا بالمزيد من التوضيح في اللاحقة بقوله: " وسيأتي ذلك في

(1) مقدمة المحقق للسلك السهل، ص 22.

(2) الشروح الأدبية ذات الاتجاه النقدي والبلاغي في الجامعة المغربية بوشتى السكيوي، ص 167 -168، ضمن كتاب الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب ندوة دجنبر 1987م.

(3) مناهج شراح الشعر بالمغرب. عبد الجواد السقاط بمجلة المناهل عدد 39 ص 213.

(4) انظر النص المحقق ص: 137.

اللاحقة إن شاء الله"[1].

- **العرض**: اعتبر الإفراني تعليقه عقدا به ثلاثة أسماط أي خيوط بها خرز، وهذا التصور فيه سمة جمالية فكما أن العقد يزين جيد الحسناء ويزيدها بهاء فكذلك التعليق يزين جيد البيان ويجعله متقبلا عند المتلقين.

- **السمط الأول:**

خصصه لتعريف المجاز اللغوي وتقسيمه. إلا أنه لم يقتصر فيه على المجاز اللغوي فحسب بل عرض أيضا للمجاز غير اللغوي.

- **السمط الثاني:**

أورد فيه الاستعارة التصريحية وأقسامها.

- **السمط الثالث:**

تحدث فيه عن الاستعارة بالكناية والتخييلية:

ويعلل تخصيصها بسمط خاص بقوله: " وإنما أفرد لها ترجمة تخصها لتشعب الآراء في تفسيرها كما ستراه"[2].

- **الخاتمة:**

ختم الإفراني شرحه وهو مطمئن إلى أنه قد بلغ به هدفه المرجو وهو الإفادة: يقول: "لا شك أن هذه الأرجوزة منظومة إن شاء الله في سلك العلم والإفادة ولو لم يكن فيها إلا ما اشتملت عليه من لطائف المسائل بعبارة وجيزة لكان ذلك كافيا في توفر الرغبات على قراءتها وإقرائها"[3].

وأشار إلى أهمية العنوان ووظيفته التنشيطية، وصرح بأنه ألفها في مرحلة الشباب بقوله: " وقد ألفتها في إبان الحداثة مع شواغل لا يميز من ابتلي بها الاثنين من الثلاثة"[4]. وهي إشارة دالة تظهر قوة عارضته وعلو كعبه في البلاغة لما استطاع نظم الأرجوزة وشرحها مع وجود عائقين:

---

(1) نفسه ص: 140.

(2) نفسه ص: 168.

(3) نفسه ص: 175.

(4) نفسه ص: 175.

1. الحداثة: والتأليف إبانها يشوبه نقص بين لقلة التجربة وعدم توفر النضج مما يجعل إنتاجها متواضعا.
2. الشواغل: ولها سلطتها التي تصرف المثقف عن أوراقه وكراريسه.

بيد أن الإفراني تجاوز ذينك العائقين ليبلغ متلقيه أنه رغم حداثة سنه ومشاغله فإنه استطاع أن يحقق ذاته وينظم ويعلق.

■منهجه في الشرح:

لم يلتزم الإفراني في شرحه منهجا محددا يسير عليه من بدايته إلى آخره. بل عمد إلى المزج بين مناهج متعددة، فأحيانا يطبق المنهج التفصيلي أي الذي "يقوم على شرح القصيدة بيتا بيتا"[1] وأحيانا أخرى يشرح البيتين والثلاثة، ولعل ولعه بالإيجاز هو ما حمله على عدم الاقتصار على المنهج التفصيلي الذي يستدعي تفصيل القول وبسط الشرح عند كل بيت مما يؤدي إلى الطول وهو ما اتقاه في شرحه.

وقد رتب الإفراني تناوله لمكونات علم البيان على أساس الأبلغية بقوله " ولما كان المقصود جمع مسائل المجاز والاستعارة، وكانت الاستعارة أبلغ من المجاز، وهو أبلغ من الحقيقة عقدها لذكر الحقيقة والتشبيه ليتأتى التفصيل بالأبلغية"[2].

ويغلب على شرحه البدء بالشروح اللغوية ثم يتبعها بمناقشة القضايا البلاغية مثل قوله: "الحقيقة في اللغة فعيلة من حق يحق بالكسر لزم وثبت، فهي بمقر الثابتة أو المثبتة والتاء فيها النقل من الوصفية إلى الاسمية ومراده هنا الحقيقة اللغوية، وقوله "كلمة" جنس في التعريف، واحترز "بالمستعملة في عين ما وضعت له" من المجاز فإنه مستعمل في غير ما وضع له... "[3].

وأحيانا يقصد توا إلى المسائل البلاغية خاصة إذا لم يستدع البيت أو البيتان شروحا وتوضيحات لغوية، يقول عقب بيتين حول المجاز "فخرجت الحقيقة والكناية

(1) ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية وناس بن مصباح ص 40، مجلة الحياة الثقافية التونسية عدد 41. 1986.

(2) الشرح، ص: 140.

(3) الشرح، ص: 143.

لأنها وإن كانت مستعملة في غير ما وضعت له لكن يجوز فيها إرادة ما وضعت له أيضا بخلاف المجاز فإن القرينة فيه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي... "[1].

فقد أولى الإفراني عنايته في الشرح إلى اللغة والمعنى. فأما اللغة فيفسر فيها المفردات التي تبدو غريبة وصعبة تفسير اللفظ باللفظ. من ذلك قوله: "الماهر بالشيء الخبير به، وانتقى الأمر اختاره، والأغراض المعاني، وتنسل تقبل في إسراع والحدب: نشز من الأرض أي ارتفاع"[2]. ومرجعه في ذلك إلى القاموس المحيط الفيروزأبادي والصحاح الجوهري.

أما المعنى فبغيته منه تقريب مضمون البيت أو الأبيات إلى المتلقي بوضوح ويتضمن التعريفات والحدود والقضايا والمسائل المتناولة في علم البيان، وفي ثنايا شرحه وردت معلومات تاريخية وصرفية وعروضية وأخرى تتصل بعلم البديع كما أورد ترجمة قصيرة للسكاكي.

■أسلوب الشرح:

-عندما يتم الحديث عن أسلوب نص ما فإنه يعني حسب أحد الدارسين "أسلوب نص محدد عندما تمنحه بنيات معينة طابعا خاصا، أو عندما تفرده بالنسبة لنصوص أخرى"[3].

وأسلوب الإفراني في نظمه غيره في شرحه، ففي الأول يبرز ناظما يسرد مباحث علم البيان بأسلوب يطغى عليه الجانب التقريري أكثر من الطابع الفني الجمالي، ولا تظهر شخصيته الأدبية البيانية بجلاء إلا في الثاني، فهو بارع في إنشائه متمكن من أداته كما شهد له بذلك معاصروه ومن جاءوا بعده[4]. لذلك حظيت كل مؤلفاته التاريخية والأدبية منها والفقهية بالقبول والاستحسان، وما أكسبها رونقا وجاذبية هو

---

(1) الشرح، ص: 152.

(2) الشرح ص: 141.

(3) النص بنيانه ووظائفه مدخل إلى علم النص، فان ديك، ص 64، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين ترجمة وتقديم محمد العمري سنة 1996، إفريقيا الشرق.

(4) مثل محمد المكي بن موسى الناصري في الرياحين الوردية 67 والدرر المرصعة 91، ومحمد القادري في التقاط الدرر ص 415، وأبي الربيع سليمان الحوات كما ورد في الإعلام للمراكشي 53/5 وبروفنصال 37، وكنون في النبوغ 298/1 وغيرهم.

تلك الملكة التعبيرية المتميزة التي تثوي خلفها وتوجه شكلها.

- **خصائص الشرح:**

يتميز شرح الإفراني بخصائص عدة بوأته مكانة هامة بين الشروح لكونه صادرا عن مؤلف متمكن من علم البلاغة وذي رصيد هام في البلاغة التطبيقية. من تلكم الخصائص:

- الإيجاز:

شدد الإفراني على هذه الخاصية ولم يفتأ يذكرها في شرحه. وقد كررها في أكثر من ستة مواطن، وهذا يفيد أن هذا الهاجس كان حاضرا في ذهنه إبان تأليفه ومن ثم استحضاره للمتلقي طوال الشرح، فهو يشفق عليه من كثرة التقاسيم يقول: " ولا شك أن تتبع تقاسيم تلك الأركان يفضي إلى إسهاب مفرط وهو خلاف ما نصبت عليه الأرجوزة من الإيجاز"[1]، وربما أحال على بعض المصادر تفاديا للإطالة وذلك حيث يقول: "فإن استقصاء تقاسيم أركان التشبيه مما يطول الشرح، ومن رام ذلك فعليه بالمفتاح والتلخيص وشرحهما"[2]، ويعتبر في موضع آخر التطويل فضولا، قال: وبالجملة فتتبع تلك التقاسيم مما يستدعي طولا ويكون الإسهاب به هنا فضولا"[3]، والهدف الذي وضعه نصب عينيه هو إفادة المتلقي، يقول: " وتتبع ذلك يستدعي طولا والغرض تركه والاختصار بالمختصر أولى والجدوى الفائدة"[4].

ويبدو أنه يقتفي في ذلك أثر ابن البناء المراكشي الذي "يغلب على تآليفه صغر الحجم وهو ما لاحظه ابن هيدور وخاصة في شرحه لكتاب تلخيص أعمال الحساب لابن البناء، ويبدو أن ذلك أمر مقصود من المؤلف، فقد أثر عنه أنه قال:

قصدت إلى الوجازة في كلامي	**لعلمي بالصواب في الاختصار**
ولم أحذر فهو ما دون فهمي	**ولكن خفت إزراء الكبار**
فشأن فحولة العلماء شأني	**وشأن البسط تعليم الصغار"[5]**

(1) الشرح ص: 148.

(2) نفسه ص: 152.

(3) نفسه ص: 165.

(4) نفسه ص: 174.

(5) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق هند شلبي دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.

- إيراد فوائد ونكت بلاغية:

طعم الإفراني شرحه بفوائد ونكت بلاغية تدفع السأم عن المتلقي وتجدد نشاطه حتى يبقى ذهنه متيقظا، من ذلك حديثه عن منكري الاستعارة بقوله: "أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز، لأنه أخو الكذب والقرآن منزه عنه، ولإيهامه العجز بضيق الحقيقة ومنع القاضي عبد الوهاب إطلاق الاستعارة في القرآن لعدم ورودها ولإيهامها للحاجة، والصحيح جواز ذلك، والاستعارة تفارق الكذب بالبناء على التأويل ونصب القرينة على إيراد خلاف الظاهر" [1].

ومن النكت التي أوردها وتدل على شفوفه وتعمقه، كقوله بعد أن ذكر تقسيمات الكناية الأربع: "انظر يظهر أنه بقي أن يقال بقول خامس وهو أنها حقيقة باعتبار المعنى الموضوع له الحقيقي، مجاز باعتبار إرادة لازمة كما لوحنا له قبل فتأمل ذلك فإنه خطر لي ولم أسمعه ولا رأيته والله أعلم"[2].

- إيراد نصوص معززة للشرح:

ضمن الشارح شرحه نصوصا، ولم يكن يقحمها إقحاما بل يوردها في محلها من حيث تدعيم الشرح وتثبيت مضامينه في الأذهان، ففي حديثه عن الحقيقة والمجاز شرع يفاضل بينهما وذهب إلى أفضلية المجاز في قوله: " والمجاز هو الباعث على ترويج الكلام وتزيين المستهجن حتى يستعذب الأجاج ويستحسن المستقبح، ولهذا مهما كان الشعر أقوى تخيلا كان أعظم قبولا وألطف موقعا"[3]. ويخلص في موازنة بين الشعر والنثر إلى أن "الشعر أجلب للعقول من النثر لبنائه على التخيلات بخلاف النثر، فإنه لم يبن على ذلك غالبا"[4]. ويذكر أبياتا يتمثل بها شيخه أبو عبد الله محمد المسناوي منها بيتان لابن الرومي حيث يقول:

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ ... يختص بالتقريب والتمكين
انظر إلى الألف استقام ففاته ... عجم وفاز به اعوجاج النون

(1) شرح الأرجوزة، ص: 165.
(2) نفسه ص: 174.
(3) نفسه ص: 141.
(4) نفسه ص: 141.

وبيتان للواسطي قوام الدين:

إن كنت تسعى في السيادة فاستقم تــنل المراد ولو وصلت إلى السما
ألــف الكتابة وهو بعض حروفها لمــا اســتقام على الجميع تقدما[1]

وقد أورد هذا النص للتوصل إلى أن "التخيلات هي أساس المحسنات الشعرية، والحقــيقة لا يتأتــى بهــا ذلك"[2]. وأكد هذه النتيجة بنص آخر دارت مجرياته بين حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمان، وهو يسير في السياق نفسه.

والملاحــظ أن هذه النصوص وغيرها متصلة بالشرح وثيقة العرى بالموضوع، فلها إذن وظيفة تعزيزية وتأكيدية، فلو حذفت لتركت فراغا بينا.

- **إيراد تنبيهات:**

لا يورد الإفراني في شرحه الآراء والمواقف المتفق عليها بين البلاغيين فحسب، بــل يفسح المجال لآراء مخالفة أو انفرد بها بعضهم، فينبه عليها، من ذلك التنبيه الذي تحــدث فــيه عن الترشيح بقوله: "زعم العصامي أن الترشيح يكون في المجاز المرسل والتشبيه أيضا ولم أره لغيره"[3]، وفي تنبيه آخر يذكر ما ذهب إليه العصامي فيما يهم الاستعارة بالكناية حيث قال: "اختار العصامي في شرح الفوائد، أن الاستعارة بالكناية من فروع التشبيه المقلوب وأطال في تقريره بما زعم أنه التحقيق فراجعه"[4]، فهو ينبه على المسألة ويدعو المتلقي إلى الرجوع إليها في مصدرها للاستزادة والتعمق.

- **قلة السجع:**

لم يكــن الإفراني في شرحه مولعا بالسجع، ولم يطلبه في كتابته كما هي عادة بعــض الأدبــاء الذين يثقلون نصوصهم به، مثل: محمد المرابط الدلائي (توفي 1079 هـــ)، قــال في إحدى رسائله: "أقسم بمن أسجد لذكائك الأفهام وأنطق ببداهتك الأقــلام- أهرق عليك من ماء الفصاحة- أفرغ عليك من حلل الجمال والصباحة- وجعلك للمكارم روضا فواحا- وأطلعك في سماء المعارف بدرا ملتاحا والشذرة من

(1) نفسه ص: 142.
(2) نفسه ص: 142.
(3) نفسه ص: 172.
(4) نفسه ص: 170.

تراسيلك في صفحة البدر مرموقة- والفقرة من أسجاعك على وجنة الدهر موشومة... "[1].

أما الإفراني فإنه لم يلتزم بالسجع إلا في المقدمة وفي ما عداها يرد عرضا دون تعمل ولا تكلف في مواطن قليلة يقول: "نحمدك يا من ألبسنا من بديع معاني البيان مطارف أنيقة ووفقنا لطلب المجاز لشرح الحقيقة، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد مصباح السعد المطول وتلخيص إيضاح الشرع الأول، والرضى عن آله وصحبه الذين تزف لهم يوم الكفاح عروس الأفراح... " ولعل إيراده المقدمة على هذا النحو يعد انسياقا مع المعمول به في أوساط العلماء الذين تواضعوا على ذلك من بسملة وحمدلة وتصلية وترصيع بالسجع، ولما كانت المقدمة أول ما يقرع أذن المتلقي والنافذة التي يطل منها على الأرجوزة جميعها ارتأى المحافظة على نمطها المتعارف.

- الوضوح:

المطلع على شرح الإفراني يجده واضحا لا التواء فيه ولا تعقيد فهو خال من الغريب والتكلف والمعاظلة ويكفي أن نقرأ هذا المقطع لنستشف ذلك، يقول: الإفراني: " والمجاز هو الباعث على ترويج الكلام وتزيين المستهجن حتى يستعذب الأجاج ويستحسن المستقبح، ولهذا مهما كان الشعر أقوى تخيلا كان أعظم قبولا وألطف موقعا"[2].

ولما كان هدف الإفراني هو إفادة المتلقي وتفهيمه فإن الهدف يتحقق بالتزام الوضوح، الوضوح في الأفكار والوضوح في الأساليب التعبيرية المستعملة، وليس كل المتلقين على درجة واحدة من الفهم والإدراك والذكاء لذلك كان في الوضوح مراعاة للفروق الفردية بين الطلبة المعنيين.

- الجناس:

لم يركز الإفراني على عنصر الزينة والصنعة إلى الحد الذي يطغى على الهدف الذي من أجله نظمت الأرجوزة بل يأتي في الغالب عفوا ودون تكلف، فهذا المحسن لا يغطي الشرح كله بل يقتصر على المقدمة وجزء من الخاتمة.

(1) أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي د. حسن جلاب. ص318.

(2) الشرح ص: 141.

فقد جانس الإفراني بين هذه الكلمات جناسا ناقصا:

- أنيقة / حقيقة.
- مصباح / إيضاح.
- المطول / الأول.
- الكفاح / الأفراح.
- روضها / حوضها.
- التحجيل / الجيل.
- الأفهام / الأوهام.
- نباهة / فهاهة.
- ارتجالا / عجالا.
- الحداثة / الثلاثة.

وهي قليلة بالنسبة إلى الشرح كله.

– الطباق:

يضفي مسحة جمالية على النصوص التي يرد فيها إذ إن الأشياء تتميز بضدها، قال عنها الصنعاني: " وهي من أكثرها دلالة على الفصاحة في الكلام وأدخل في المنظوم والمنثور"[1]، وقد وردت في الشرح طباقات مثل:

- يستقم / يزغ.
- استقام / اعوجاج.
- مدحا / ذما.
- عي / براعة.
- فهاهة / نباهة.

إلا أن الملاحظ أنه لم يغرق شرحه بأصناف هذه الطباقات بل أوردها لماما.

(1) الرسالة العسجدية ص137 نقلا عن معجم المصطلحات البلاغية وتطورها أحد مطلوب ص 371 مكتبة لبنان ناشرون ط 2. 1996م.

المبحث الثالث: مصادر النص

اطلع الإفراني- على عادته في مؤلفاته- على مصادر عديدة تدل على اتساع أفقه المعرفي في المجال البلاغي، واستيعابه لمضامين هذه المصادر، بحيث يورد منها ما يدعم شرحه ويوضح مواضيعه ويبرزها بمظهر يثير الاهتمام، وقد اعتمد ما ينيف على ثلاثين مصدرا نجملها في الجدول التالي:

الرقم الترتيبي	المصدر	مغربي أو مشرقي	مكتوب أو شفوي	عدد المرات التي رجع إليه الإفراني
1	المطول التفتازاني	مشرقي	مكتوب	14
2	تلخيص المفتاح القزويني	مشرقي	مكتوب	12
3	مفتاح العلوم للسكاكي	مشرقي	مكتوب	11
4	حاشية الفناري على المطول	مشرقي	مكتوب	04
5	القاموس المحيط الفيروز أبادي	مشرقي	مكتوب	03
6	حواشي المطول	مشرقي	مكتوب	03
7	الأطول في شرح تلخيص المفتاح لعصام الدين الإسفراييني	مشرقي	مكتوب	03
8	الفرائد للسمرقندي (أو الرسالة السمرقندية	مشرقي	مكتوب	02
9	شرح الفرائد للعصامي	مشرقي	مكتوب	02
10	الكشاف للزمخشري	مشرقي	مكتوب	02
11	شرح المفتاح للتفتازاني	مشرقي	مكتوب	02
12	التسهيل لابن مالك	مشرقي	مكتوب	01
13	المصباح لبدر الدين بن مالك	مشرقي	مكتوب	01
14	المختصر للتفتازاني	مشرقي	مكتوب	01
15	عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي	مشرقي	مكتوب	01
16	حواشي العباسي على المحلي	مغربي	مكتوب	01
17	غريب القرآن للعزيزي	مشرقي	مكتوب	01
18	شرح البردة للغبريني	مشرقي	مكتوب	01
19	تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) للجوهري	مشرقي	مكتوب	01
20	حاشية السعد على الكشاف	مشرقي	مكتوب	01
21	الرسالة الحرفية في معاني الحرف للجرجاني	مشرقي	مكتوب	01

22	شرح الإيضاح لجمال الدين التساسي	مشرقي	مكتوب	01
23	حاشية المغني للدماميني	مشرقي	مكتوب	01
24	بديع القرآن لابن أبي الأصبع	مشرقي	مكتوب	01
25	عيون المسائل القاضي عبد الوهاب	مغربي	مكتوب	01
26	التبيان في المعاني والبيان للطيبي	مغربي	مكتوب	01
27	الإتقان للسيوطي	مشرقي	مكتوب	01
28	الإيضاح للقزويني	مشرقي	مكتوب	01
29	شروح الكشاف	مشرقي	مكتوب	01
30	قول أبي عبد الله محمد المسناوي	مشرقي	شفوي	01
31	قول أبي عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري	مشرقي	شفوي	01

تسعف قراءة هذا الجدول في الإفصاح عن معطيات عدة وفوائد جمة منها:

1 ـ تنوع المصادر:

فهي ليست منحصرة في مجال محدد وهو هنا مجال البلاغة بل تعدته إلى مجالات معـــرفية أخــرى مما يعكس تداخل المعارف وتكاملها وطابع الموسوعية الذي يسم مثقفي هذا العصر، فقد انتمت إلى مجالات:

- البلاغة.
- اللغة.
- التفسير.
- النحو.
- علوم القرآن.
- الأصول.
- المنطق كما هو شائع في كتابات البلاغيين (السكاكي مثالا).

2 ـ الامتياح من المشرقي والمغربي:

صـــدر الإفـــراني في شرحه عن مؤلفات بلاغية عدة استقى منها أقوال العلماء تعزيـــزا لأقواله وإضفاء للمصداقية والعلمية عليها، ولعل من الملاحظ طغيان الإنتاج البلاغـــي المشرقي وهو أمر له ما يسوغه في أسبقية بلاد المشرق في تناول القضايا في العلـــوم المختلفة والتأليف فيها. وفي هذا انفتاح للثقافة المغربية على المجال الخارجي

ومحاولتها الانسجام مع هذا المجال تقريرا وممارسة[1].

3ـ اعتماد مصادر مكتوبة وشفوية:

استقى الإفراني مادة أرجوزته من مصادر عديدة متنوعة بيد أنه لم يقتصر على المصادر المكتوبة بل استعان بمصادر شفوية، فلم يأخذ العلم من بطون الكتب فحسب بل عززه بما سمعه من أفواه الرجال. إلا أن هذا المصدر الشفوي كان خافتا وباهتا بالمقارنة مع المصدر المكتوب، وقد اقتصر هذا المصدر الشفوي على شيوخه من المغاربة ولم يتعده إلى غيرهم ولعل السبب يكمن في أنه لم يرحل إلى الحجاز للاستزادة من العلم أو لاستجازة علماء المشرق.

4ـ المصادر من منظور وظيفي:

وإذا نظرنا إلى هذه المصادر من جهة وظيفتها نلفيها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- مصادر ذات وظيفة بنائية (أساسية).

ب- مصادر ذات وظيفة ترجيحية.

ج- مصادر ذات وظيفة استثنائية.

أـ مصادر ذات وظيفة بنائية:

وهي مصادر أساسية يستقي منها الإفراني مادة الشرح نمثل لها بالمطول للتفتازاني (ت791هـ) وهو شرح لتلخيص المفتاح للقزويني، ورغم صعوبته وكثرة اعتراضاته فإن الإفراني رجع إليه، واستفاد منه أكثر من أربع عشرة مرة ولم يكتف بشروحه وحواشيه بل رجع إلى أصلها ومنبعها، ومن اللطائف التي تدوولت حول المطول قول أحدهم:

مطول صعب باعتراض وربما صعب بالإيراد

ورد آخر:

مطول طول باعتراض لكنه يشفي من الأمراض[2]

ونورد مثالا من شرح الإفراني حيث يقول: " وقال صاحب المطول "لا نسلم

(1) مناهج شراح الشعر بالمغرب ص223.

(2) دفة كتاب حاشية المطول لسيد جبلي، مطبعة السعادة سنة 1309هـ.

أن أســـدا في نحو زيد أسد مستعمل فيما وضع له بل هو مستعمل في معنى الشجاع، وأصـــله زيد رجل شجاع كأسد فحذفنا المشبه واستعملنا المشبه به في معناه ليكون مجـــازا واســـتعارة، ولا دلـــيل لهم على أن أداة التشبيه هنا محذوفة، وأطال في تقرير ذلك"[1].

ويـــسوق كلام التفتازاني في المطول في حديثه عن أركان التشبيه، فيقول: "قال في المطـــول وإطلاق الأركان على الأربعة المذكورة إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه وإما باعتبار أن التشبيه كثيرا ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكورة"[2].

ومـــن المـــصادر الأساســـية عـــند الإفراني: "تلخيص المفتاح للقزويني (ت 739 هـــ) الذي رجع إليه اثنتي عشرة مرة وهو كتاب "حسن العبارة واضح الدلالة، دقـــيق الإشارة، وعمد إلى كل ما في المفتاح من تعقيد فأخلى تلخيصه منه إلا قليلا، وناقش السكاكي في غير موضع"[3]، وقد أورد الإفراني في شرحه نقولا من التلخيص منها قوله: " واعلم أنه زاد في التلخيص بعد التعريف قوله والمراد هنا ما لم يكن على وجـــه الاستعارة التحقيقية ولا على وجه الاستعارة بالكناية والتجريد"[4]. ويقول في موضع آخر من شرحه "قال في التلخيص ولا تكون الاستعارة علما لمنافاته للجنسية إلا إذا تـــضمن نوع وصفية كحاتم انتهى"[5] وأحيانا يحيل على "التلخيص" دون أن يـــورد مـــنه نقولا كقوله: " وبالجملة فإن استقصاء تقاسيم أركان التشبيه مما يطول الـــشرح، ومن رام ذلك فعليه بالمفتاح والتلخيص وشرحهما"[6]، ولا يفوته أن ينبه علـــى بعـــض إضـــافاته على التلخيص، بقوله: " والتشبيه على هذا من زوائدنا على التلخيص"[7].

أمـــا مفتاح العلوم السكاكي فمن مصادره الرئيسية ومصدر الحشد الهائل من

---

(1) الشرح ص: 145.

(2) نفسه ص: 148.

(3) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص 336.

(4) الشرح ص: 147.

(5) نفسه ص: 159.

(6) نفسه ص: 152.

(7) نفسه ص: 172.

البلاغيين الذين أتوا من بعده، وقد دوت شهرته "بالقسم الثالث من الكتاب الخاص بعلمي المعاني والبيان ولواحقهما من الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، فقد أعطى لهذا كله الصيغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده، يتدارسونها ويشرحونها مرارا"[1]. وقد عاد إليه الإفراني إحدى عشرة مرة في شرحه نقف هنا على بعضها، يقول: " واستدل في المفتاح على ذلك بأن من المعلوم أن الإنسان لا يكون أسدا فوجب المصير إلى التشبيه بحذف أداته قصدا للمبالغة"[2]. وفي إيراده لنصوص من المفتاح فإنه إما أن يذكر اسم الكتاب وإما أن يذكر اسم مؤلفه السكاكي، ففي الأول يقول: "قال في المفتاح المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر به عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا "من": كمعناها ابتداء الغاية، و"في": معناها الظرفية وهذه ليست معاني الحروف"[3]. وفي الثاني نجده يورد أن "السكاكي يقول لهم لو رددتموها يعني التبعية للكناية على مذهبهم لكان أقرب للضبط فمن اعترض عليه فهم عنه أنه يردها لها على مذهبه"[4]، وفي تعامله مع المفتاح يظهر احترازه من بعض نتائجه وتحليلاته التي يخالف بها جمهور البلاغيين، قال في معرض حديثه عن اعتبار التجريد قرينة المصرحة: " وما ذكره -أي الإفراني- في قرينة المصرحة صحيح على مذهب الجمهور لا على رأي السكاكي تأمل"[5]. وفي حديثه عن المجاز يقول: "أنكر في المفتاح وجود المجاز العقلي، وأدرج ما وجد من ذلك في الاستعارة بالكناية، فالربيع كني به عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الإنبات قرينة الاستعارة"[6].

وربما أحال على المفتاح للتوسع في مسألة، من ذلك حديثه عن المجاز المرسل وهل هو "ينقسم إلى أصلي وتبعي أولا مقتضى المفتاح والمطول تقسيمه لهما أيضا

(1) البلاغة تطور وتاريخ ص 288.

(2) نفسه ص: 145.

(3) نفسه ص: 160.

(4) نفسه ص: 162.

(5) نفسه ص: 167.

(6) الشرح ص: 158.

فــراجعهما"[1]. وثمة مصادر أخرى اعتمدها الإفراني مما ذكر في الجدول اقتصر منها على المعتمدة أكثر من غيرها للتمثيل فحسب.

ب ـ مصادر ذات وظيفة ترجيحية:

هذه المصادر يستعين بها الإفراني لفك الخلاف بين العلماء في قضية من القضايا البلاغية، من ذلك تنبيهه على اعتراض بعض العلماء على السكاكي في قوله: "اعترض بعضهم على السكاكي أيضا بأنه خالف إجماع القوم ورام بذلك توهين مذهبهم قال في المطــول: وليس فيه حجة لأنه أي السكاكي بصدد الخلاف مع القوم فلا يكون ذلك دليلا على إبطال كلامه انتهى، قلت (أي الإفراني) ذكر الدماميني في أول حاشية المغـــني أي اجماع النحاة في الأمور اللغوية حجة لا يجوز خرقه فيقال مثل ذلك هنا، وقـــال جمـــال الدين التساسي، في شرح الإيضاح فتبديل الاصطلاح الثابت من غير حاجة وبدون فائدة مما لا يعتد به"[2].

وقد ثار خلاف بين البلاغيين حول الاستعارة أهي مجاز لغوي أم عقلي وأورد الإفـــراني القـــضية في شـــرحه وذلك حيث يقول: "قال في المطول: اختلفوا في أن الاســـتعارة مجـــاز لغوي أو عقلي فذهب الجمهور للأول لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأعم منهما، فأسد في "رأيت أسدا يرمي" موضوع للسبع لا للشجاع ولا لمعنى أعم كالحيوان المجترئ ليكون إطلاقه عليهما حقيقة وقيل بالثاني، فالتصرف فيهما بأمر عقلي لا لغوي لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فتكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده ولـــيس نقل الاسم المجرد استعارة لأنه لا بلاغة فيه بدليل نقل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن يكون مجازا عقليا انتهى منه باختصار ما، وإلى ترجيح الأول نحا غير واحد من المتأخرين"[3]. فهو هنا يرجح كفة القائلين بالرأي الأول موظفا ما ورد في المطول وما ذهب إليه متأخرو البلاغيين.

وعندما عرض لمذهب السكاكي في الاستعارة التخييلية ذكر اعتراض البعض بأن

---

(1) نفسه ص: 161.

(2) نفسه ص: 162.

(3) نفسه ص163.

"لفظ المشبه على ما قال (أي السكاكي) لم يستعمل إلا في معناه فلا يكون استعارة"[1].

ويعزز هذا الاعتراض بما أورده صاحب الأطول ويرد على توجه السكاكي الذي يعد في أحيانا كثيرة خارج دائرة رأي جمهور البلاغيين، يقول: "قال صاحب الأطول: وهذا اعتراض صحيح متجه وبأنه يلزم أن يكون الترشيح تخييلية للزوم مثل ما ذكر في التخييلية فيه"[2].

وفي ثنايا شرح الإفراني للياقوتة أمثلة للترجيح بين العلماء، هذه بعضها تغني عن تتبعها كلها.

ج ـ مصادر ذات وظيفة استئناسية:

وهي مصادر شفوية طعم بها الإفراني شرحه وأضفت عليه رونقا وجمالية، فهي تدفع السأم عن المتلقي دفعا وتنشطه ليواصل إبحاره في محيط البلاغة المترامي. ففي حديثه عن ميزة الشعر التخييلية يورد قول شيخه المسناوي: " وكان شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد المسناوي أدام الله جلاله ينشدنا في هذا الموقع من التلخيص قول ابن الرومي".

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ ... يختص بالتقريب والتمكين
انظر إلى الألف انتقام ففاته ... عجم وفاز به اعوجاج النون

وقول الواسطي قوام الدين:

إن كنت تسعى في السيادة فاستقم ... تنل المراد ولو وصلت إلى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها ... لما استقام على الجميع تقدما"[3]

وفي آخر الشرح يدرج قول شيخه العميري فيقول: " وقد كان شيخنا العلامة الشهير أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري رحمه الله يقول إن الكتاب إذا اشتمل على ثلاث فوائد اندرج في الكتب العلمية ولم يكن مؤلفه مسودا للكاغد بغير بغية

(1) الشرح ص169.
(2) نفسه ص: 169.
(3) نفسه ص: 159.

وكان من الأعمال التي لاتنقطع بالموت"[1].

ولعل في إيراد هذه المصادر الشفوية دلالات، منها:

- اتسام الإفراني بالأمانة العلمية، فقد أورد هذه المصادر رغم كونها غير مكتوبة وغير موثقة، وإنما كما أخذها عن شيوخه سماعا.
- استحضاره لما أخذه عن شيوخه من دروس في البلاغة فهو يشير إلى أن الأبيات الآنفة كان شيخه المسناوي ينشدها لهم في موضع محدد من التلخيص وهذه علامة على تيقظ ذهنه وتتبعه الدقيق لما تلقاه عن شيوخه.
- الأخذ عن الشيوخ مباشرة وسماعا فعل له أهمية وجلالته في الثقافة العربية الإسلامية فقد كان للرواية شأن وأي شأن عند العلماء فهو وسيلتهم المثلى إلى العلم الصحيح ولهذا قالوا: " وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفي"[2].

5ـ تعامل الإفراني مع المصادر:

لم يتعامل الإفراني مع مصادره بالطريقة عينها بل نوع وخالف، ونجمل طرقه فيما يلي:

- **الطريقة المعهودة:** وهي المتعارفة في المؤلفات والمصنفات حيث يورد المؤلف النص ويشير إلى مصدره بتدقيق أو بذكر المصدر أو مؤلفه، ويعج الشرح بالكثير من أمثلتها.
- **الطريقة الاختزالية (أو المختصرة):** إذ ذكر في حديثه عن الاستعارة وكونها مجازا لغويا أولا، "انتهى منه (أي من المطول) باختصار ما"[3]. فهو يتصرف فيما ينقله عن غيره وهذا ظاهر من النصوص
- الموثقة من مصادرها الأصلية في التحقيق، قال عنه ليفي بروفنصال:

(1) نفسه ص: 165.

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي 136/1.

(3) الشرح ص: 163.

" وقـــد أدى به التحري إلى الاعتراف بالتعديلات التي كان يدخلها أحيانا على النصوص التي يستشهد بها"[1].

- **الطريقة الملتبسة:** وفيها لا يحدد المصدر بدقة بل يدع المجال مفتوحا للتخمينات وضروب الالتباس، وذلك كما في قوله: "وكان بعض أشياخي... "[2]

وقـــوله: " ورأيـــت مـــن أشـــياخنا... "[3] أو قـــوله: "قالها بعض أرباب الحواشي... "[4] .

المبحث الرابع: شواهد النص

استثمر الإفراني استشهادات عدة في شرحه ليعزز بها مباحثه ويعطي المصداقية لمـــا يورده من أفكار وآراء وتصنيفات وغيرها. وقد تجلت في أصناف ثلاثة: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر.

1 . القرآن الكريم:

القرآن الكريم بإعجازه ودرجته العليا في البلاغة معين لا ينضب وبحر خضم حاول البلاغيون التوغل في فهم أساليبه البيانية فحفلت مصنفاتهم بآياته كما هو الشأن في شرح الإفراني، إلا أنه أورد الآيات نفسها التي تداولها البلاغيون في مصنفاتهم من مثل قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [5] و﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [6] و﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [7] وغيرها من الآيات الكريمة، وقد وردت أغلب الآيات خلال الشرح بينما حظيت الأرجوزة بآيتين الأولى هي قوله تعالى: ﴿ يَنقُضُونَ

(1) مؤرخو الشرفاء ص219.
(2) الشرح ص: 163.
(3) نفسه ص: 140.
(4) نفسه ص: 166.
(5) سورة يوسف الآية 82.
(6) سورة الفجر الآية 22.
(7) سورة القصص الآية 8.

﴿ عَهۡدَ ٱللَّهِ ﴾[1] وردت في البيت الواحد والخمسين:

وكـــم حـــلاوة تنـــسي الشهدا كقـــول رب ينقـــضون عهـــدا

والثانية أشير إليها في البيت:

عـــضلت بـــنات الفكر منا تمنعا وفي علمكم لا ينبغي للأب العضل

وقد جاء "العضل" في القرآن الكريم في موضعين: في الآية 232 من سورة البقرة: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ﴾، والآية 19 من سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ .

2 . الحديث النبوي:

استـــشهد الإفراني بالحديث النبوي في شرحه مما يفيد موسوعية معرفته وعدم اقتـــصارها على الميدان الأدبي والبلاغي، ومما يلفت الانتباه طريقة استثماره للشاهد ووضعه في مكانه بحيث يبلغ المقصود ويفي بالمطلوب، فهو لمح تكفي إشارته دونما حاجـــة إلى فضول كلام، فقد أشار إلى حديثين نبويين شريفين أما الأول فقد ورد في قطعة وجهها لشيخه يستحثه على قراءة التلخيص، يقول فيه:

فـــبادر ولا تمطـــل فإنـــك ســـيدي غـــني وشـــرعا لا يلـــيق بك المطل

فكلمة"المطل" في آخر عجز البيت تشير إلى الحديث: {مطل الغني ظلم}[2]، وأما الثاني فجاء في سياق حديثه عن تسمية الأرجوزة بالياقوتة يقول: "فإن قلت هل في تسمية هذه المنظومة بالياقوتة تزكية فيكون ذلك من معنى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ وقد بدل عليه السلام أسماء تؤذن بالتزكية كـــ"برة" فينطبق ذلك على تسمية الكتاب"[3]، و"برة" في الحديث المذكور هي جوبرية بنت الحارث بن أبي

(1) سورة البقرة الآية 27.

(2) ورد في صحيح البخاري رقم الحديث 2125 و2126 و2225. وفي صحيح مسلم رقم 2924، وفي سنن الترمذي رقم 1229 وغيرها.

(3) الشرح ص: 175.

خراز[1].

3 . الشعر:

لم يزل الشعر مصدرا وخزانا لا ينضب للمعارف والفوائد والامتاع، ولما كانت الأرجوزة تعليمية موجهة إلى متلق معين فإن الإفراني استعان به لتقديم مضامين شرحه وتركيزها في الأذهان وبلغ عدد الأبيات المستشهد بها واحدا وثلاثين بيتا وهو كم لا بأس به.. وهو بالمقارنة مع أبيات الأرجوزة يعد نصفها، والشعراء المستشهد بشعرهم ليسوا محصورين في زمن محدد ولم يخضعوا لشروط معينة فمنهم الجاهلي كامرىء القيس والمخضرم كلبيد والإسلامي ككثير عزة وغيرهم، ومنهم الشاعر الفحل المجيد المشهور كالمتنبي والشاعر المغمور كأبي طالب الرقي، واستشهد الإفراني بأبيات مجهولة القائل، كما في البيتين:

صدغ الحبيب وحالي	كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء	وأدمعي كاللئالي

والبيت:

الحمد لله العلي المنان	صار الثريد برؤوس العيدان

ومن الملاحظ أن الشعر المستشهد به هو عينه الذي أورده البلاغيون في مؤلفاتهم إلا ما كان من أبيات اختص بها شرح الإفراني وهي التي أوردها عند حديثه عن التخيلات وهي أبيات لابن الرومي وقوام الدين الواسطي، وأخرى قدمها لشيخه المسناوي حاثا إياه على قراءة التلخيص وهي تدل على معاناته لقرض الشعر منذ فترة الطلب، وتبرهن على تمكنه من ناصية البلاغة، بما تزخر به من تشابيه واستعارات وتضمينات، يقول فيها[2]:

أسيدنا من ماله في زماننا	مثيل، وهل للشمس من جنسها مثل
ومن أصبحت كل الأنام لعلمه	عطاشا متى ما حل ارجاءهم محل
لعمرك ما التلخيص إلا كغادة	وأنت لها كفؤ إذا التمس البعل
فإنك في غاب البيان كضيغم	بها شبله مع فضله لكم فضل

---

(1) ورد في الأدب المفرد 1/225 - 286.

(2) الشرح ص: 170.

عـــضلت بـــنات الفكر منا تمنعا ... وفي علمكـــم لا ينبغي للأب العضل
فـــبادر ولا تمطـــل فإنك سيدي ... غـــني وشـــرعا لا يليق بك المطل
ولا تعـــتذر بالـــشغل عـــنا فإنما ... تـــناط بـــك الآمال ما بقي الشغل
وأنهـــي إلى علـــياك أزكـــى تحية ... يلوح على الأرجاء من عرفها الفضل

و لعل هذه الأبيات تتضمن من الطرافة ما يجعلها فريدة في بابها إذ هي مغايرة للوضـــع العام السائد بين التلميذ والشيخ، فمن عادة طالب العلم أن يكون متلقيا عن الـــشيخ مؤتمرا بأمره مستمعا لنصحه باذلا وسعه لإرضائه، لكننا مع الإفراني نجد هذا الوضـــع ينقلب فيصبح التلميذ شيخا مهيبا يهون الصعاب ويحفز للاستزادة من العلم، وهذا مما أضفى على شرح الإفراني جمالية وأضاء جوانب من شخصيته القوية وذكائه المـــتقد، فالتلخـــيص من المصادر الهامة التي اعتمدها الإفراني في شرحه وكان شيخه يعرض عن قراءته ونعلم أن الأرجوزة وتعليقه عليها من أوليات إنتاجه ونخلص من ثم إلى نـــبوغ الإفـــراني وتوصله إلى استيعاب المعرفة البلاغية في مؤلفاتها المتداولة آنئذ وشـــغوفه علـــى أقرانه بإقدامه على التأليف فيها، ويعزز هذا الرأي ما قام به في كتابه المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل.

وجملـــة القـــول إن الإفراني استثمر شواهد متنوعة في شرحه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وأشعار مختلفة عززت مضامين الشرح وأكسبتها غنى ووضوحا، بـــيد أنه اقتصر على هذه الشواهد فحسب ولم يورد من الأمثال العربية على كثرتها ما يجعل الياقوتة أشد توهجا واشتعالا.

المبحث الخامس: تقويم النص، اتباع أم ابتداع

نظـــم الإفـــراني أرجـــوزته وعلق عليها رغبة في الإفادة وتوخى لها موقعا بين المؤلفات البلاغية الأخرى، وسلك في تأليفه منهجا ومنحى محددا تنوول في المبحث الـــسابق، يبقى التعرف على توجهه البلاغي وطبيعة معالجته للمباحث البلاغية في علم البـــيان خاصة، أتنساق مع تيار الإتباع تحت وطأة الزخم الهائل من المؤلفات البلاغية من تلاخيص وشروح وحواش أم تتخلص من قيدها وتنحو نحو الابتداع؟ أتنتمي إلى المدرسة الكلامية أم إلى المدرسة البيانية؟

لا ريـــب أن الإجابـــة عـــن هذه الأسئلة تستدعي التمعن في النص لاستجلاء

المعطيات التي إذا ضم بعضها إلى بعض تفضي بما يمكن من تصنيفه.

ولنستعرض الآن تصوره لبعض مكونات علم البيان للوقوف على مواطن اتباعه وابتداعه.

1 . التشبيه:

التشبيه "ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر "[1] وقد أورده الإفراني بين مكونات علم البيان رغم أنه لايعده من المجاز متبعا في ذلك منظور مدرسة السكاكي التي لاترى له مكانا ضمن علم البيان "وإن بحثته فيه لأن دلالته وضعية،... وذكر بعض من دار في فلك السكاكي أن الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه ولذلك فهو فن مستقل في علم البيان قصدا وإن توقف عليه بعض أبوابه، لأن توقف بعض الأبواب على بعض لايوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن[2] وقد انقسم البلاغيون حيال هذه المسألة فريقين، أما الأول فيخرجه من دائرة البيان ومتزعم هذا التوجه عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن"كل متعاط لتشبيه صريح لايكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فإذا قلت 'زيد كالأسد ' و'هذا الخبر كالشمس في الشهرة ' و'له رأي كالسيف في المضاء ' لم يكن نقل للفظ عن موضوعه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لايكون في الدنيا تشبيه إلا وهو مجاز وهو محال، لأن التشبيه معنى من المعاني وله حروف وأسماء تدل عليه فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه"[3] وذهب مذهبه الرازي والمطرزي والسكاكي وابن الزملكاني والحلبي والقزويني وشراح التلخيص، أما الثاني فيعده في صلب البيان ويراه مجازا منهم ابن القيم الجوزية وابن الأثير وابن رشيق الذي قال: "وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة"[4] ووضح العلوي موقف هذا الفريق بقوله: " والمختار عندنا كونه معدودا في

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص325.

(2) نفسه،ص: 325. وانظر مواهب الفتاح.290/3.

(3) أسرار البلاغة ص221.

(4) العمدة 268/1.

علوم البلاغة لما فيه من الدقة واللطافة ولما يكتسب به اللفظ من الرونق والرشاقة ولاشتماله على إخراج الخفي وإدنائه البعيد من القريب "[1] ويقف الإفراني في صف الفريق الأول حين قال: "ما ذكره من أن 'زيد أسد ' من أمثلة الحقيقة لا المجاز، وبما شرحناه فيه يعلم أن التشبيه - من حيث هو- فرد من أفراد الحقيقة في اصطلاح أهل هذا الفن، وإنما نبهنا على ذلك لقول الإمام الغبريني في شرحه الكبير على البردة إن كثيرا من الطلبة يعتقدون أن التشبيه من أقسام المجاز، قال وهو غلط فاحش"[2]. وقد عرض الإفراني لتقسيمات التشبيه وأورد شواهد تداولها البلاغيون قبله إلا أنه ضرب صفحا عن الإكثار منها في قوله: " ولاشك أن تتابع تقاسيم تلك الأركان يفضي إلى إسهاب مفرط وهو خلاف ما نصبت عليه الأرجوزة من الإيجاز"[3].

2 . المجاز:

اعتنى به العرب أيما عناية حتى قال عنه الجاحظ: " وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وبأشباهه اتسعت"[4].

وقد عرف الإفراني المجاز لغويا واصطلاحيا وقسمه إلى لغوي وعقلي ثم إلى مفرد ومركب، وفي تعريفه ترسم لخطى البلاغيين قبله مثل عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: " وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز"[5]. ويقول في موضع آخر: "المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا[6]".

وفي تناوله للمجاز يحيل على القزويني في التلخيص والصحاح وحاشية الفناري والقاموس، والإسفراييني صاحب الأطول وسعد الدين التفتازاني في حاشيته على

---

(1) الطراز 266/1.

(2) الشرح ص: 146.

(3) نفسه: 148.

(4) الحيوان 426/1.

(5) أسرار البلاغة ص 304.

(6) نفسه ص 342.

الكشاف للزمخشري والمطول على تلخيص المفتاح وغيرها، ولم يعد ما ورد فيها إلا ما كان من إيجازه وتلخيصه كما في قوله: ولا يشترط إلا اعتبار العرف لنوع العلاقة وإن لم تــسمع آحــاد بها، ولذا يقولون المجاز موضوع بالوضع النوعي لا الشخصي وأنواع العلاقة تنيف عن خمس وعشرين، وتتبع ذلك يطول"[1].

وعــرض للمجاز المركب وبحث في مسألة حصر المجاز المركب في الاستعارة التمثيلــية ودعا إلى التأمل وإمعان النظر دون إبداء رأي يقول "قولنا "رحمه الله" وضع إخــبارا والغــرض منه في كثير من المواطن الإنشاء فهذا مجاز مركب وليس باستعارة تمثــيل، فأجاب العصامي بأن التجوز في التمثيلية في المجموع لا في شيء من أجزائها بخلاف تميزها مما ذكر ففي أحد أجزائها، فاكتفوا عن بيان التجوز فيه ببيانه في مفرده وفيه نظر وتأمل"[2].

ولم يتتــبع تقاسيم المجاز العقلي بل ذكرها إجمالا موجزا، وهذا ما أشار إليه في قوله:

وأضــرب المجــاز غــير اللغوي يــضيق في استقصائها حرف الروي

و يــشير في ثنايا شرحه إلى الآراء المعارضة أو المنكرة لرأي الجمهور كما هو الــشأن في المجاز العقلي الذي أنكر السكاكي وجوده". وأدرج ما وجد من ذلك في الاستعارة بالكناية، فالربيع عنده كني به عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الإنبات قرينة الاستعارة، ورده في التلخيص"[3]

وفي المجــاز لا تخرج أقوال البلاغيين الآخرين عما قاله المتقدمون[4] وقد تبنى الإفراني أقوال البلاغيين السابقين ولم يخرج عن دائرتها.

1 ـ الاستعارة:

خــصص لهــا سطين وهذا يدل على الأهمية التي أولاها لها، وفي بداية السمط الثاني يصرح بتبعيته لغيره في تخصيص التصريحية والمكنية بفصل في قوله: "جعل لكل

---

(1) الشرح ص: 154.

(2) نفسه ص: 156.

(3) الشرح، ص: 158.

(4) انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب ص 591.

من التصريحية والمكنية فصلا يخصها تبعا لغير واحد"[1].

وألم بأقسامها من تصريحية وأصلية وتبعية وتحقيقية وتخييلية ومطلقة ومجردة ومرشحة وغيرها وهو في استعراضه لهذه الأقسام ينقل كلام البلاغيين ويورد الشواهد التي استشهدوا بها، ويسير مع الاتجاه العام للدرس البلاغي آنئذ ومما يؤكد ذلك قوله في حديثه عن الاستعارة التخييلية: "هذا من تتمة مذهب الجمهور في بيان الاستعارة التخييلية"[2].

ولعل من المحطات الهامة في تناوله للاستعارة موقفه من الاستعارة أو المجاز عامة في القرآن الكريم، وهي من المباحث التي أديرت حولها مناقشات ومجادلات بين المعتزلة والأشاعرة، بين المنادين بالتأويل والمتوقفين عند حدود النص وعدم مجاوزته إلا بمقدار، فنحن إذن: "نواجه نوعين من الدلالة أو المعنى في كل صورة مجازية في القرآن الكريم، ما يمكن أن نسميه بالمعنى الأول وهو بمثابة المضمون الحسي المباشر للصورة المجازية مثل "اليد المحسوسة" و"الاستواء المعروف"... وما يمكن أن نسميه بالمعنى الثاني وهو ما تشير إليه الصورة الحسية المباشرة للمجاز على جهة التضمن أو اللزوم... هذا المعنى الثاني يصل إليه من يريد التأويل عن طريق نوع من الاستدلال أو القياس العقلي"[3]. وقد رفض قوم[4] وجود المجاز في القرآن بوصفه ملازما للكذب، قال الإفراني: "أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز لأنه أخو الكذب والقرآن منزه عنه، ولإيهامه العجز يضيق الحقيقة، ومنع القاضي عبد الوهاب إطلاق الاستعارة في القرآن لعدم ورودها ولإيهامها للحاجة"[5].

ولم يجنح هؤلاء إلى الرفض إلا أنهم لمسوا في القول بالمجاز مساسا بالعقيدة وتشكيكا فيها على أساس "أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة، فهل يمكن أن يوصف كلام الله تعالى، وهو القادر على كل شيء يمثل هذه

(1) الشرح ص: 158.
(2) نفسه ص: 168.
(3) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب جابر عصفور ص 128.
(4) منهم: داود بن علي الأصبهاني (ت 270هـ) وابنه أبو بكر (ت 297هـ) وابن القاص (ت 335هـ)، وأبو مسلم الأصبهاني (ت 370 هـ) وغيرهم، (الصورة الفنية، ص 129).
(5) الشرح ص: 165.

الصفة؟"[1].

بيد أن الإفراني لا يرى هذا الرأي الرافض بل يقول بوجود المجاز: " والصحيح جواز ذلك، والاستعارة تفارق الكذب بالبناء على التأويل ونصب القرينة على إيراد خلاف الظاهر"[2] ويذهب مذهب الجرجاني الذي يرى أن الاستعارة "كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى"[3]. وهو الذي حمل على منكري المجاز وشنع عليهم بقوله: " ومن قدح في المجاز وهم أن يصفه بغير الصدق فقد خبط خبطا عظيما وتهدف لما لا يخفى ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به، حتى تحصل ضروبه وتضبط أقسامه إلا للسلامة من مثل هذه المقالة، والخلاص مما نحا نحو هذه الشبهة، لكان من حق العاقل أن يتوفر عليه، ويصرف العناية إليه، فكيف وبطالب الدين حاجة ماسة إليه من جهات يطول عدها، وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفية يأتيهم منها فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون"[4].

وقد دحض ابن قتيبة شبهة الكذب التي ألصقت بالمجاز بقوله: "لو كان المجاز كذبا... لكان أكثر كلامنا فاسدا لأنا نقول نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وأقام الجبل، ورخص السعر، ونقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا، والفعل لم يكن وإنما كون"[5].

ولعله تأثر بالتآليف البلاغية التي راجت إبان عصره من شروح ومختصرات وحواشي نقف على واحدة منها للتمثيل فحسب وهي "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" لبهاء الدين السبكي حيث يقول عن أحكام الاستعارة: "**فالأول** منها: أنها ليست بكذب لأمرين أحدهما خفي معنوي وهو البناء على التأويل لأن الكاذب غير متأول والمستعير متأول ناظر إلى العلاقة الجامعة وقد التبس ذلك على الظاهرية فادعوا أن المجاز كذب ونفوا وقوعه في كلام المعصوم وهو وهم منهم.

---

(1) الصورة الفنية ص 129.

(2) الشرح ص: 165.

(3) أسرار البلاغة ص 238.

(4) نفسه ص 339.

(5) تأويل مشكل القرآن ص 99.

الـثاني: أمر ظاهر لفظي أو غير لفظي وهو كالفرع عن الأول أن المجاز ينصب قائله قرينة تصرف اللفظ عن حقيقته وتبين أنه أراد غير ظاهره الموضوع له"[1] وجملة القول إن الإفراني يقف موقفا وسطا بين الإفراط والتفريط بين القائلين بانعدام المجاز في اللغة عامة وفي القرآن بالخصوص والمغالين في الاحتفاء به كما أشار إلى ذلك الجرجاني بقـوله عن المجاز: " وقد اقتسمه البلاء فيه من جانبي الإفراط والتفريط، فمن مغرور مغـرى بنفيه دفعة، والبراءة منه جملة، يشمئز من ذكره وينبو عن اسمه، يرى أن لزوم الظواهـر فـرض لازم، وضرب الخيام حولها حتم واجب، وآخر يغلو فيه ويفرط، ويتجاوز حده ويخبط فيعدل عن الظاهر والمعنى عليه، ويسوم نفسه التعمق في التأويل ولا سبب يدعو إليه"[2].

2 ـ الكناية:

" الكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية، وتكنى تستر من كنى عنه إذا ورى أو من الكنية "[3].

وقـد عرض لها الإفراني بوصفها آخر مكونات علم البيان في الأبيات ما قبل الأخـيرة مـن أرجوزته والتزم الإيجاز في ذلك إذ لم تحظ إلا بثلاثة أبيات من اثنين وسـتين بيتا وهو مجموع أبيات الأرجوزة، ولم يعد في تعريفها ما عرفها به غيره من سابقيه ومعاصريه فهي عنده "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"[4].

وعـرج علـى مذاهب البلاغيين فيها واعتبر تقسيمها إلى تلويح ورمز وإيماء وإشارة قليل الجدوى في قوله:

وهـل حقـيقة خـلاف يـروى ... وغـير ذا مـنها قلـيل الجدوى

و قد اختلف حولها البلاغيون فمنهم من اعتبرها مجازا كالعلوي[5] ومن أخرجها مـن دائرة المجاز كعز الدين بن عبد السلام[6]، أما القزويني فذهب إلى أنها واسطة بين

(1) شروح التلخيص، وضمنه عروس الأفراح، ص 68-69.

(2) أسرار البلاغة ص 339.

(3) لسان العرب، مادة كني.

(4) الشرح ص: 173، وانظر شروح التلخيص 237/4.

(5) الطراز 197/1.

(6) البرهان في علوم القرآن، 301/2.

الحقـــيقة والمجـــاز [1] وذهب الإفراني إلى أنها تجمع بين الحقيقة والمجاز، فهي: "حقيقة باعتـــبار المعنى الموضوع له الحقيقي، مجاز باعتبار إرادة لازمة"[2] ولم يورد تقسيمها لوضـــعه أرجـــوزته في خدمة الهدف التعليمي الذي يستوجب الإيجاز وضبط المعرفة لجعلها في متناول الطلبة.

3 ـ التخييل:

احتل التخييل موقعا متميزا في البلاغة حتى عده أحد الدارسين: "من أهم الفنون البلاغـــية لأنه يتصل بالإبداع والخلق الفني [3]،و تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني في تناوله التشبيه والتمثيل في "أسرار البلاغة" وقال عنه الزمخشري: " ولا ترى بابا في علم البـــيان أدق ولا أرق ولاألطـــف مـــن هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المـــشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء"[4]، وقد عرفه القرطاجني بقوله: " والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها، انفعالا من غير روية إلى جهة الانبساط أو الانقباض"[5]. وقد أورده الإفـــراني في شرحه عند حديثه عن مفهوم البيان وخلص إلى أن "المطلوب في صـــناعة البـــيان التوصل إلى التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة علـــيه"[6]، فهـــو يعقد مقارنة بين الحقيقة والمجاز وأخرى بين الشعر والنثر. فالحقيقة ليـــست لهـــا القيمة التي للمجاز بالنظر إلى المتلقي أو السامع كما سماه: "لأن السامع للفـــظ الحقـــيقة إن كان عالما لما وضع له اللفظ لم يزده ذلك وضوحا، وإن لم يكن عالما لم يكن اللفظ عنده دالا على شيء"[7]

والمجاز كما يرى- الإفراني- "هو الباعث على ترويج الكلام وتزيين المستهجن

(1) التلخيص ص 337، وانظر مذاهبها الأربعة في الإتقان السيوطي 41/2.

(2) الشرح ص: 174.

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب ص 297.

(4) الكشاف 111/4.

(5) منهاج البلغاء ص 89.

(6) الشرح ص: 141.

(7) نفسه ص: 141.

حتى يستعذب الأجاج ويستحسن المستقبح"[1] فكأنه هنا يشير إلى ما تداوله الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد ثم حازم القرطاجني حين اعتبروا الشعر مقدمات مخيلة تبسط الطبع نحو أمر أو تقبضه عنه: "مثل تشبيهنا العسل بالمرة فينفر عنه الطبع، وكتشبيهنا التهور بالشجاعة والجبن بالاحتياط فيرغب فيه الطبع"[2].

فالتخييل الشعري من ثم "عملية إيهام تفضي إلى تحسين أو تقبيح، وكل تحسين أو تقبيح يفضي بدوره إلى اتخاذ المتلقي وقفة سلوكية محددة"[3]. ذلك أن لغة الشعر لغة مجازية بطبيعتها والنفس تتأثر أكثر بالصور التي يصوغها المجاز، وبناء على هذا فإن الشعر الذي أساسه المجاز هو المتقبل عند المتلقي، يقول الإفراني: " ولهذا مهما كان الشعر أقوى تخيلا كان أعظم قبولا وألطف موقعا"[4]. ويركز الإفراني هنا على قوة التخييل التي تتأسس على الإثارة التخيلية وهي تعني "إمكانية النظر إلى الموضوع المخيل من أحد نقيضيه اللذين يمكن أن ينطوي عليهما. هناك أولا إمكانية تضخيم الجوانب السلبية في الموضوع، وذلك ما يسمى "التقبيح"، وهناك ثانيا إمكانية تضخيم الجوانب الإيجابية في الموضوع وذلك ما يسمى "التحسين"[5] ويؤكد الإفراني على أهمية المتلقي لكونه المستهدف بالخطاب الشعري لتحقيق القبول والإذعان والمتعة الجمالية بلطف الموقع، وقد عزز الإفراني ما ذهب إليه بأبيات عن استقامة الألف هما لابن الرومي والواسطي وقال: "إن استقامة الألف عبر عنها باعتبارين مختلفين مدحا وذما وما ذلك إلا لفتح باب التخيلات التي هي أساس المحسنات الشعرية، قال والحقيقة لا يتأتى بها ذلك، بل هي في بعض الأماكن عي وفهاهة والمجاز دائما براعة ونباهة"[6] وقد عرض بعض الشعراء العرب لمفهوم "التخييل" كابن الرومي الذي قال[7]:

---

(1) نفسه ص: 141.

(2) النجاة ابن سينا ص 64، نقلا عن مفهوم الشعر، جابر عصفور ص 163.

(3) مفهوم الشعر ص164.

(4) الشرح ص: 141.

(5) مفهوم الشعر ص 162.

(6) الشرح ص: 142.

(7) ديوانه، تحقيق حسين نصار، 3/1144-1145، مع اختلافات بين الأبيات.

في منطق القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت فقل قيء الزنابير
مدح وذم وعين الشيء واحدة سحر البيان يري الظلماء كالنور

ولعل الإفراني ينحو في تصوره للشعر نحو القرطاجني الذي يرى أن "الرأي الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة وتكون كاذبة وليس يعد شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب.

بل من حيث هو كلام مخيل"[1] وهدف القرطاجني من هذا أن يعيد للشعر مكانته وسموه، ليستعيد وظيفته ويؤدي رسالته الإنسانية النبيلة وفق رؤية حضارية شاملة"[2].

وفي تصوره للتخييل دفاع عن الشعر لما جعل "مجالهما أوسع وأرحب مما حدده بعض المتأخرين عنه حين ضيق المجال على الشاعر وذهب إلى أن كل تخيل ليس له أصل في الوجود يجعله قاب قوسين أو أدنى من الكذب الذي يؤدي إلى بطلانه"[3] مثل تصور ابن البناء العددي المراكشي الذي يرى أن الشعر "مبني على المحاكاة والتخيل لا على الحقائق... ولكن ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيل في الشيء ما ليس موجودا أصلا، لأنه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا فيتركب الكذب في قوله فتبطل المحاكاة لكذبها وهي موضوع الشعر"[4].

ولم يقف الإفراني عند بيان أهمية التخييل على التمثيل بالشعر بل أضاف شاهدا من النثر يصور ما جرى بين حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمان الذي "لدغه زنبور وهو صبي صغير فصاح، فقال له حسان ما بالك؟ فقال لدغني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة، ففرح حسان وضمه إليه، وقال له: قلت الشعر"[5] ويوجه الإفراني اهتمام المتلقي إلى سبب هذا الفرح والاستحسان فيقول: "فانظر هذا الاستحسان فإنما هو

(1) منهاج البلغاء ص 63.

(2) مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب للدكتور علي الغزيوي، سنة 1989-1990، ص 125.

(3) نفسه ص 125-126.

(4) الروض المريع في صناعة البديع، ص 103-104.

(5) الشرح ص: 143.

من جهة التخييل المذكور، وقوله قلت الشعر عين تكلمنا فيه"[1] هكذا نرى أن "الأثر النفـــسي للشعر يتأتى من اللذة الناجمة عن الشكل وليس المضمون لأن الشعر لا يروم بـــيان صـــحة اعتقاد ما على عكس البرهان الذي يلتفت فيه إلى مطابقة الحقيقة التي يقدمها للواقع. ومن ثم يشترط صدقها... أما الشعر... فلا يراد منه اعتقاد ما يلزم عن هـــذه المقدمات بل الذي يراد منه فقط أن يحدث انفعالا نفسيا ما لدى المتلقي إما استحسانا للشيء الجميل، وإما تقززا من الشيء القبيح"[2].

ونخلـــص مما سبق إلى أن الإفراني اقتفى أثر سابقيه في معالجة مفهوم التخييل والنظر إلى الشعر من هذه الزاوية بما أن أساس الشعر وقوامه التخييل وهذا ما فصل فيه القـــرطاجني القـــول ومن قبله فلاسفة مسلمون كابن سينا والفارابي وغيرهما، ثم إن الإفـــراني تـــناول مفهوم التخييل الذي لم يعد يحظى بالاهتمام نفسه منذ القرطاجني (ت 684هـــ) وأورده في شرحه مبينا تصوره للشعر ومفهومه عنده مما يفيد اطلاعه على التراث البلاغي السابق وعدم اكتفائه بالأخذ عن معاصريه.

ومن المعلوم أن الشروح والتلاخيص المتداولة آنذاك كشروح التلخيص لم تفرد التخيـــيل بباب أو بحديث خاص بل حامت حوله في حديثها عن الاستعارة التخييلية. كما في عروس الأفراح: "شبه الشمال بالإنسان في تصريفها به فجعل لها يدا بالتخييل وكـــذلك الـــزمام مـــع القرة التي هي مرادة بالضمير في قوله زمامها، فالقرة استعارة بالكناية والزمام للتخييل"[3]، ولعل هذا الاهتمام بالتخييل ناشئ عن كون الإفراني أديبا مـــتذوقا للشعر عارفا بطبيعته وأسسه، معنيا بمعاناة نظمه وتذوقه وليس فقط بلاغيا هدفه استكشاف الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية.

- **استدراكات:**

لم يتبع الإفراني منهجا مخالفا كل المخالفة لتوجهات المؤلفات البلاغية الأخرى بل هي نظرات وتأمل واستدراكات بثها في شرحه لتدل على توقد فكره وسعة علمه وقوة عارضته، وأفكاره بصفة عامة تترسم خطى مذهب الجمهور كما ورد في حديثه

---

(1) نفسه ص: 143.

(2) نظرية الشعر، ألفت كمال الروبي ص 122.

(3) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص 155/4.

عن الترشيح والتجريد: "هذا هو الذي عقدته في الأبيات الثلاثة وما ذكره (أي الإفراني) في قرينة المصرحة صحيح على مذهب الجمهور لا على رأي السكاكي تأمل"[1]. وفي حديثه عن الاستعارة التخييلية قال: "هذا من تتمة مذهب الجمهور في بيان الاستعارة التخييلية"[2].

ومن استدراكاته ما ورد في مبحث الكناية حيث عدد مذاهبها الأربعة التي استقاها من الإتقان للسيوطي وعددها أربع وقال: "انظر يظهر أنه بقي أن يقال بقول خامس وهو أنها حقيقة باعتبارها المعنى الموضوع له الحقيقي، فجاز باعتبار إرادة لازمة كما لوحنا له قبل، فتأمل ذلك فإنه خطر لي ولم أسمعه ولا رأيته والله أعلم"[3]. وانظر إلى الإفراني كيف يؤكد أنه لم يتلقه سماعا ولا كتابة بل هو الخاطر خطر له وقيده في هذا الموضع مع إبداء تواضعه واعترافه باحتمال قوله الخطأ والصواب بقوله " والله أعلم".

ومن استدراكاته ما أورده في حديثه عما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلا أو استعارة تحقيقية وبين ما يجعل زائدا عليهما وترشيحا، قال: " والتنبيه على هذا من زوائدنا على التلخيص"[4].

وبالإضافة إلى هذه الإستدراكات لا يفتأ الإفراني يدعو إلى التأمل وإعمال النظر في مواطن عدة من شرحه من ذلك قوله عن الكناية: "ذكر في شرح المفتاح أن لهم في تقرير الكناية طريقتين: أحدهما استعمال اللفظ في غير الموضوع له مع جواز إرادته وثانيها استعمال اللفظ في الموضوع له لا يكون مقصودا بل لينتقل منه إلى غير الموضوع له اللازم المقصود، فهما مذهبان وبنى بعضهم عليهما ما سيأتي من كونها مجازا أو حقيقة وفيه عندي نظر لأنه لو قلنا بالثاني فلا يظهر جعلها حقيقة لأن مجموع المعنى ولازمه ليس معنى وضعيا إذ المركب من الوضعي وغير الوضعي غير وضعي، فإن قلت إذا أريد بالكلمة معناها وغير معناها لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز قلت

(1) الشرح ص: 167.

(2) الشرح ص: 168.

(3) الشرح ص: 174.

(4) الشرح ص: 172.

الممـــنوع إرادتهمـــا بالـــذات، وفي الكناية إرادة المعنى الحقيقي لينتقل منه للمجاز فتأمل"[1].

وحول الخبر الذي يكون الغرض منه الإنشاء يقول: "(رحمه الله)، وضع إخبارا والغـــرض مـــنه في كثير من المواطن الإنشاء فهذا مجاز مركب وليس استعارة تمثيل، فأجـــاب العصامي بأن التجوز في التمثيلية في المجموع لا في شيء من أجزائها بخلاف غيرهـــا مما ذكر ففي أحد أجزائها، فاكتفوا عن بيان التجوز فيه ببيانه في مفرده، وفيه نظر وتأمل"[2].

ويكثر الإفراني في شرحه للياقوتة من انتقاد السكاكي لأنه كثيرا ما خالف إجماع الجمهور في استنتاجاته وتقريراته من ذلك أن السكاكي اختار "رد الاستعارة التبعية إلى الاستعارة المكنى عنها، فقولنا نطقت الحال بكذا جعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم وجعل نسبة النطق إليها قرينة الاستعارة وقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ جعل العداوة والحزن استعارة بالكناية عن العلة الغائية للالتقاط وجعل نسبة لام التعليل إليه قرينة وعلى هذا القياس في سائر الأمثلة وبالجملة ما جعله القوم قرينة الاستعارة التبعية جعله هو استعارة بالكناية، وإنما اختار ذلك ليكون أقرب للضبط لما فيه من تقليل الأقسام واعترض عليه بأنه إن قدر التبعية حقيقة لم تكن تخييلية لأنها مجاز عنده، فلم تكن المكنى عنها مستلزمة للتخييلية وذلك باطل بالاتفاق وإلا فتكون استعارة فلم يكن ما ذهب إليه مغنيا عما ذكره غيره من تقسيم الاستعارة التبعية لأنه اضطر آخرا إلى القول بالتبعية حيث جعل "نطقت" استعارة، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فلم تظهر لمذهبه فيها فائدة"[3].

وبهذا الخصوص ذكر الإفراني أن السكاكي "خالف الإجماع وذكر الدماميني في أول حاشيته الحقي أن إجماع النحاة في الأمور اللغوية حجة لا يجوز خرقه، فيقال مثل ذلك هنا، وقال جمال الدين التساسي في شرح الإيضاح: فتبديل الاصطلاح الثابت من

(1) نفسه ص: 173.

(2) نفسه ص: 156.

(3) الشرح ص: 161.

غير حاجة وبدون فائدة مما لا يعتد به"[1].

وفي انتقادات الإفراني للسكاكي ما يشي بأخذه بمذهب الجمهور مع بعض نظرات وتأملات واستدراكات نابعة من إعمال العقل الذي أخذت به المدرسة التي ينتمي إليها وهي "مدرسة الدراية والممارسة، وهي مدرسة أبي علي اليوسي وابن المسناوي ومن سار في طريقهما في مقابل مدرسة الرواية والتبعية "[2].

▪ موقع الأرجوزة:

يصدر الإفراني في أرجوزته عن توجهين أو مدرستين بلاغيتين، فهو يجمع بين بعض خصائص كل منهما وفي ذلك دلالة على تمكنه وسعة اطلاعه، وفي عمله تثوي ملامح المدرستين الكلامية والأدبية.

أـ المدرسة الكلامية:

تتميز بخصائص عدة منها[3]:

- الأخذ بالجدل والمناقشة.
- العناية بالتعريف الدقيق الصحيح.
- الحرص على القواعد المحددة مع الإقلال من الشواهد الأدبية.
- الاعتماد على المقاييس الفلسفية والقواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه ورداءته دون نظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق.

ففي النص مظاهر من هذا التوجه الكلامي نجملها فيما يلي:

– اعتماد التحديدات والتعريفات:

مثلما نجد في حد الحقيقة في قوله:

فحدها كلمة مستعملة ‌ ‌ ‌ في عين ما وضعه الواضع له

وحد الترشيح:

وحد ترشيح بحث عنه ‌ ‌ ‌ ملائم للمستعار منه

وحد الكناية:

---

(1) نفسه ص: 162.

(2) المسلك السهل للإفراني مقدمة المحقق ص 5.

(3) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولي ص 173.

حـــد الكـــناية لمـــن لهـــا مريد لفـــظ بـــه لازم معـــناه أريـــد

و هي تحديدات تهدف إلى حصر المعرفة وضبطها لتسهيل امتلاكها واستيعابها بما أن هذا النص موجه إلى المتعلم مما جعل النص يتسم بهذا الطابع.

- **الجدل والمناقشة:**

يحفل النص بمناقشات عديدة يعرضها الإفراني حول بعض القضايا البلاغية منها ما أورده في الحديث عن المثال "زيد أسد" الذي اعتبره من أمثلة الحقيقة "لأن كلا من اللفظين مستعمل فيما وضع له، وإنما هو تشبيه بليغ بحذف الأداة. واستدل في المفتاح على ذلك بأن من المعلوم أن الإنسان لا يكون أسدا توجب المصير إلى التشبيه بحذف أداتـــه قـــصدا للمـــبالغة، وقال صاحب المطول لا نسلم أن أسدا في نحو زيد أسد مـــستعمل فيما وضع له بل هو مستعمل في معنى الشجاع، وأصله زيد رجل شجاع كأسد فحذفنا المشبه واستعملنا المشبه به في معناه فيكون مجازا واستعارة ولا دليل لهم علـــى أن أداة التشبيه هنا محذوفة، وأطال في تقرير ذلك.. والحاصل أن زيدا أسد فيه قـــولان مختارهما ما صدر به، ومقتضى المطول في تعريف التشبيه أن القول بأنه مجاز مقـــول لغيره وفهم من المثال أنه لو قال زيد أسد شجاعة أو زيد الأسد بالتعريف لا يجـــري فيه ذلك الخلاف"[1] مكرر. وعلى هذا المنوال سار في مناقشات أخرى في شرحه.

- **استعمال مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة:**

استعان الإفراني لتقديم المضامين البلاغية لأرجوزته بمفاهيم مستعارة من حقول معرفية مختلفة جعلت شرحه ملتقى علوم سخرها لخدمة علم البيان. فمن مصطلحات الفلاســفة، التخيـــيل، الجنس، الحقيقة، الفاعل الحقيقي، الغاية، العلة الغائية، العلية، الغرضية، المعدوم، الموجود، المفهوم، وغيرها.

ومـــن مـــصطلحات المناطقة والمتكلمين: الذات، الادعاء، التعريف، البعض، الكـــل، الاســـم الكلي، القياس، الحكم، استلزام، مقتضى، الوضعي، غير الوضعي، وغيرها.

(1) مكرر– الشرح ص145.

ومــن المسلم به أن الدراسات البلاغية اقتبست من المنطق بعض أدواته، ولم يقتصر هذا الاقتباس على أخذ بعض المفاهيم المنطقية من مصطلحات ومقولات وإنما تعــداه إلى أخذ المبادئ النظرية التي تستند إليها هذه المفاهيم. فقد انتقل إلى البلاغة معــنى الخــبر وانتقل معه مبدأ "الفائدة"، ودخل إليها أيضا مفهوما الصدق والكذب ومعهما المبدأ الذي يستندان إليه... [1].

هذه بعض ملامح استفادة الإفراني من معطيات المدرسة الكلامية التي لم يأخذ كل ما فيها جملة بل اقتصر على ما يخدم هدفه التعليمي.

ب ـ المدرسة الأدبية:

وهــي في مقابل المدرسة السالفة وتتميز بالإكثار من الشواهد نثرا وشعرا مع الإقــلال من التعاريف والقواعد والأقسام، وتعتمد في النقد الأدبي على الذوق الفني والحاســة الجمالــية أكثــر مــن اعــتمادها على المقاييس الفلسفية وسلامة النظر المنطقي[2].

فــإذا كــان التخييل مفهوما مركزيا عند رواد الاتجاه الفلسفي في البلاغة فإن المدرســة الأدبية شهدت بروز مفهوم الإيجاز الذي سيحتل مكانة بارزة في تصوراتها فهو يختزن في الاتجاه البياني "طاقة إيحائية غزيرة تمنح الخطاب درجة عالية من البيان تــسحر الألــباب، وبــذلك تــبدو وظيفته مماثلة لوظيفة التخييل عند رواد الاتجاه الفلسفي"[3].

ومفهوم الإيجاز بارز في ياقوتة البيان ما انفك الإفراني يؤكد عليه وهو إحضار

(1) الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبد الرحمان، مجلة المناظرة عدد 4، السنة 4 مايو 1991م، ص 53.

(2) المنطق في البلاغة العربية محمد الواسطي مجلة فكر ونقد عدد 41 السنة الخامسة شتنبر 2001م، ص 65.

(3) مفهوم البيان في الدراسات البلاغية بالمغرب خلال القرن 7 و8 هـــ، بحث مرقون لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب إنجاز الطالب عبد الوهاب الأزدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سنة 1995م- 1996م، ص 137.

المعنى بأقل ما يمكن من العبارة أو هو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ"[1].
يقول ولا شك أن تتبع تقاسيم تلك الأركان يفضي إلى إسهاب مفرط وهو خلاف ما نصبت عليه الأرجوزة من الإيجاز"[2].

وورد في ختام شرحه متحدثا عن أرجوزته: " ولو لم يكن فيها إلا ما اشتملت عليه من لطائف المسائل **بعبارة وجيزة** لكان ذلك كافيا في توفر الرغبات على قراءتها وإقراءها"[3].

ومـــن رواد هـــذه المدرسة الإمام عبد القاهر الجرجاني وقد نقل عنه الإفراني واستفاد من كتابيه الأسرار والدلائل في شرحه.

وممـــا يعـــزز القول بتأثر الإفراني بهذه المدرسة إيراده نصوصا أدبية عليها من الـــرونق والـــبهاء ما يستثير الذوق والحس الجمالي خاصة وأن الإفراني أديب متمرس عارف بألوان الأساليب وفنون القول، ومن بين النصوص التي أوردها الإفراني وأضفت بحـــضورها جمالـــية وجاذبـــية في الشرح، التفتتان الشعريتان عن الألف في استقامته واعـــوجاجه ومـــا دار بين الشاعر حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمان، والأبيات التي وجههـــا إلى شـــيخه أبي عبد الله محمد المسناوي، فهذه النصوص لا تخلو من بعض الجـــوانب الـــتي نلمس فيها جمالية الأدب وانطلاقه من ربق التحديدات والتقسيمات البلاغية، وهي محطات يبرز فيها الإفراني بلغته السلسة وأسلوبه المتميز الذي فيه شيء من "أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمي والرصانة الأدبية"[4] الذي يتبين لنا مما سبق أن الإفراني:

– اقتفى آثار سابقيه من البلاغيين ولم يحد كثيرا عن ما انتهوا إليه في المباحث البلاغية في علم البيان وإنما رام بنظراته وتأملاته إبداء وجهات نظره ودفع المتلقي إلى البحث والتنقيب لتوسيع أفقه وعدم الركون إلى ما يجده في المتناول وهذا ملمح بارز

---

(1) النكت في إعجاز القرآن للرماني تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ص 79.
(2) الشرح ص: 148.
(3) نفسه ص: 175.
(4) الإيضاح للقزويني، تحقيق عبد المنعم خفاجي، مقدمة المحقق، ج I ص 15.

في أرجـــوزته، وجملة القول إنه اتباعي في مجمل عمله، ابتداعي في استدراكاته وبعض جـــوانب طريقته في عرض علم البيان في إيجازه وتركيزه مع عدم الإخلال بالمباحث وتسلسلها ولا ننسى أنه من القلائل الذين ألفوا في قضية بلاغية.

– استفادته من جهود الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة في تناول جانب من علم الـــبلاغة ألا وهو علم البيان دون إغفال جهود المدرسة البيانية التي يسري نسغها في جسد الأرجوزة وتنضح به لغة رائقة ونصوصا أدبية لطيفة.

الفصل الثالث / منهج التحقيق

المبحث الأول: النسخ المعتمدة.

المبحث الثاني: منهج التحقيق.

المبحث الأول: النسخ المعتمدة

حين وطنت العزم على تحقيق الأرجوزة طفقت أبحث عن نسخها كيما أتمكن من إخراجها في صورتها الصحيحة بما أن "الكتاب المحقق هو الذي أصبح عنوانه واسم مـؤلفه ونـسبة الكـتاب إلـيه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مـؤلفه"(1). وحـصلت على نسخ ثلاث هي التي وقفت عليها ولم أقف على غيرها ولعلـها في الخـزانات العامـة والخاصة، وقد أرشدني إلى نسخة خزانة الإمام علي بـتارودانت الأستاذ المؤرخ أحمد بزيد، وأما نسخة خزانة أكلو فقد أمدني بها الأستاذ الباحث البشير التهالي، وثالثة النسخ بعثها إلي الأستاذ الباحث رشيد كناني وهي نسخة الخزانة الملكية بالرباط. هذه هي النسخ التي اعتمدتها وأشير بدءا إلى أنني لم أعتبر أيا مـنها نسخة أما بل عددتها كلها نسخا متكاملة يكمل بعضها بعضا لا فضل لأحدها علـى الأخـرى إلا بالصحة والخلو من الأخطاء والتصحيفات وغير ذلك من آفات النسخ، وهدفي الذي قصدته ووضعته نصب عيني هو صحة وسلامة النص من أخطاء وأغلاط وأوهام النساخ، وقد درج بعض المحققين على إبقاء النص الأصلي على علاته ووضع التصحيحات في الهامش فيبقى الخطأ في المتن أو المركز بينما ينزوي الصحيح في هـامش الكتاب وربما لاينتبه إليه القارئ الموجه إليه ذلك المؤلف وليس في هذا خرق لحرمة النص بل هو توق إلى البحث عن الصواب أو الأصوب خدمة للنص، بما أن التـصحيحات تتم من النسخ المقابل بينها وهي لذلك لا تخرج عن دائرتها وإنما الفعل الأخطر هو الذي يمس ألفاظ النص ومعانيه بالتصرف والتعديل دون سند.

أما النسخ المعتمدة فهي:

1 ـ نسخة خزانة الإمام علي بتارودانت، رمزها "ع":

تقـع ضمن مجموع ورقمها بين المخطوطات 80 م وهي من الحجم المتوسط عـدد صـفحاتها ثمـان عشرة صفحة ما بين 23 و26 سطرا وعدد أبياتها 62 بيتا، ومقياسـها 27 سم/ 17 سم وتتضمن طررا قليلة نسبيا وقد فرغ الإفراني من نظمها وشرحها أوائل سنة إحدى وثلاثين ومائة ألف (1131هـ).

أولها: بعد البسملة والتصلية نحمدك يا من ألبسنا من بديع معان البيان مطاريف

---

(1) تحقيق النصوص ونشرها عبد السلام هارون ص 42.

أنيقة ووفقنا لطلب المجاز لشرح الحقيقة...

وآخرها: ووافق الفراغ من الشرح والمشروح أوائل سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما ناسخها فهو محمد بن الطيب بن علي السكراني، قال فيه مؤرخ الأسرة السكراتية علي بن الحبيب السكراتي: "كان عظيم المرتبة في العلم لا يجارى في ميدانه ولا يطار تحت جناحه، أخذ عن الشيخ الفاضل أبي فارس سيدي عبد العزيز بن محمد الأدوزي وكذلك أخذ عن فارس فرسان زمانه العلامة المحقق سيدي المحفوظ بن عبد الرحمان الأدوزي، وكذلك أخذ عن عمه الشيخ المحدث فارس المعقول والمنقول سيدي الحبيب بن علي السكراتي... وكانت له معه قضايا ومحاككة في العلوم ومباحثة عديدة كالنجوم... وكان يعتمد في الفقه على فتاويه ويستشهد بمنثوره ومنظومه... له ديوان شعر جيد، شهد له الخاص والعام من علماء عصره بجودة طريقته... وقد توفي هذا السيد رحمه الله في: 6 شعبان 1369 هـ ببلده بوسليمان ودفن بمقبرة أسلافه"[1].

وقد أنهى نسخ ياقوتة البيان يوم الأحد 25 رمضان عام 1306هـ بخط مغربي واضح ومقروء وأبياتها مكتوبة باللون الأحمر، وقد كتبت برسم الخزانة العيادية وغب الاستقلال صارت إلى مكتبة معهد تارودانت[2] والخزانة العيادية هي التي أنشأها القائد عياد الجراري بتالعينت، وصفها المختار السوسي بقوله: "خزانة كتب عريضة جمعت كل شاذة وفاذة يناهز عددها ألف كتاب من مطولات وغيرها من الكتب العربية تفسيرا وحديثا وفقها وأخبارا وتواريخ وصوفية"[3]. وهذه النسخة قليلة الأخطاء.

2 ـ نسخة الخزانة الملكية رمزها "م":

وتوجد بالخزانة الملكية تحت رقم 4294، وتقع ضمن مجموع، كتبت بخط زاوج فيه بين المجوهر والمسند من 21 صفحة مقياسها 14 سم/20سم، وعليها بعض الطرر في الأعلى وعلى الطرفين، تنصب على الشرح إلا أنها قليلة، وكتبت العناوين

(1) المعسول 11/240-241.

(2) سوس العالمة ص 170 الهامش 1.

(3) المعسول 19/179.

بخط بارز وهي عارية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وأولها بعد البسملة والتصلية، نحمدك يا من ألبسنا من بديع معاني البيان مطاريف أنيقة ووفقنا لطلب المجاز لشرح الحقيقة.

وآخرها: ووافق الفراغ من الشرح والمشروح أوائل سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأخطاء النساخ قليلة بها.

3 ـ نسخة خزانة أكلو: رمزها هو "أ":

وتقع ضمن مجموع وكتبت بخط عادي مقروء، مقياسها 26 سم 16. 31 سم، وعدد الكلمات في كل سطر ما بين 10 إلى 13 كلمة، فيها طرر في الأعلى وفي الطرفين وهي كثيرة وتتداخل مع المتن أحيانا مما يدل على أن هذه النسخة كانت تستعمل في التدريس، وفي أعلى كل صفحة تتكرر عبارة: "اللهم صل على الحبيب".

أما ناسخها فهو الحسين بن أبي الليث الودريمي[1]، وقد فرغ من نسخها خمسة عشر يوما خلت من ربيع الأول عام 1278 هـ.

وأولها بعد البسملة والتصلية: نحمدك يا من ألبسنا من بديع معاني البيان مطاريف أنيقة ووفقنا لطلب إلمجاز لشرح الحقيقة. وآخرها: وكمل بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل موافقا عصر يوم الاثنين الخامس عشر يوما خلت من شهر الله ربيع الأول عام 1278هـ وعلى يد كاتبه أفقر الورى الحسين بن أبي الليث الودريمي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبابه ولجميع النسم والحمد لله رب العالمين. وهذه النسخة مليئة بأخطاء الناسخ وتحريفاته.

المبحث الثاني: منهج التحقيق

اعتمدت في تحقيق الأرجوزة وشرحها منهجا مبنيا على العناصر التالية:

- المقابلة بين النسخ لاستخلاص النص في أصح صوره دون اتخاذ أي نسخة أما بل اعتبارها جميعا مساعدة على التوصل إلى النص كما أنتجه المؤلف، فأثبت ما بدا لي صوابا وراجحا في المتن وأضع المرجوح في

(1) لم أقف على ترجمته.

الهامش.

- تصحيح أخطاء النساخ وتحريفهم وإثبات الصحيح في المتن.
- اعتماد قواعد الإملاء المتعارفة وغض الطرف عن مثل هذه الكتابات: الأدات، ذالك، مهمى، هاذا، لاكن.. دون الإشارة إلى هذه الأخطاء في الهامش.
- تخصيص هامشين للتحقيق: الهامش الأول: للمقابلة بين النسخ، والهامش الثاني للتخريجات والتعليقات والشروح، أما الأول فالهدف منه بيان الفروق بين النسخ إن دعت الضرورة أما الثاني فهدفه تجلية ما يختزنه النص من معارف وشواهد عزز بها المؤلف أرجوزته وتعليقه عليها، فأوردت أرقام الآيات المستشهد بها وسورها، ووقفت عند الأحاديث النبوية الشريفة فأشرت إلى بعض المصادر الحديثية التي أوردتها.
- إرجاع النصوص المستشهد بها إلى مصادرها قدر الإمكان.
- نسبة الشواهد الشعرية إلى أصحابها إذا أغفل المؤلف ذلك، والنص على الاختلاف في نسبة بعضها أو المنسوبة إلى مجهول، والرجوع في ذلك إلى دواوين الشعراء إن وجدت أو إلى المصادر النقدية والأدبية فيما عدا ذلك وإتمام الناقصة منها.
- تحريت عدم إثقال الهوامش بكثرة الشروح بل شرحت فقط بعض الكلمات التي تحتاج إلى توضيح وبيان ومرجعي في ذلك إلى لسان العرب والقاموس.
- أوردت تراجم للأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ورجعت في ذلك إلى الأعلام للزركلي ومصادر أخرى.
- التوسل برموز معينة لتسهيل عمل القارئ:
  - الهلالان المنجمان: ﴿ ﴾ للآيات القرآنية.
  - القوسان: { } للأحاديث النبوية.
  - المعقوفان: [ ] الكلام الموضوع بينهما إما أن يكون ساقطا من المتن

أو زيادة من إحدى النسخ.

- ذيلــت الــنص المحقق بفهارس تيسر للقارئ البحث في ثنايا النص، فيجد فهرســا للآيــات القــرآنية وآخر للأحاديــث النــبوية الشريفة وثالثا للأشــعار ورابعــا للأعلام وبفهرس المــصادر والمــراجع تتم الفهارس، وأوردت نــص الأرجوزة كاملا في الأخير.

وينحصر تدخلي في النص في:

- تنظيم أبيات الأرجوزة وكتابتها كتابة شعرية تميزها عن النثــر حــيث إنها وردت في بعض المواطن من النسخ المعتمدة ملتبسة بالنثر فلا يكاد يميزها عنه إلا لونها كما في النسخة (ع) أو كتابتها بطريقة تخالف الكتابة النثرية كما في النسخة: (م).
- وضع وزن البيت من الشعر أو الأبيات بين معقوفتين: [ ].
- كتابة أبيات الأرجوزة بخط بارز لتمييزها عن غيرها من الأبيات وليسهل على القارئ تتبعها دون عناء.

نماذج من صور المخطوط

الصفحة الأولى من النسخة «أ»

الصفحة الأخيرة من النسخة «أ»

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الصفحة الأولى من النسخة «ع»

الحوادث مع شواغل لا يبين منها ابتلي ببعضها الاثنين والثلاثة أسأله
سبحانه ان يجعلها سعيا مشكورا وعملا الكون به الا على مذكورا
ووافق الفراغ من الشرح والمشروح اوائل سنة احدى وثلاثين
ومائة والف وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

بالتأليف
سنة 1131

وكان الفراغ بحمد الله تعالى على الانتهاء من نسخه
بتوفيقه ومنته مع ملاحظة اليمن وتوالي
نعمه والصلاة والسلام على من خلقت
واجله المخلوقات وسبقت
به النعم والكمالات و
محمد المصطفى الكريم
وعلى آله وصحبه أولي الفضل
الجسيم وفي طالع
بدر التمام يوم [illegible]
الاثنين (?) [illegible]
الاحد الخامس
والعشرين من
رمضان عام 1306
على يد كاتبه لنفسه
ولمن شاء الله من بعده
الضعيف اسير ذنبه
الراجي عفو ربه محمد
ابن الامين بن [illegible]
غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ودعا له
واحبابه وجميع المسلمين
يا
رب آمين
بجاه
النبوة (?)

النسخ ←

الصفحة الأخيرة من النسخة « ع »

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يا من أنسانا بديع معاني البيان حقائق أنيقة ووفقنا لطالب المجاز
لشرح الحقيقة [illegible] ونسلم على سيدنا محمد مفتاح السعد المطول وتلخيص
إيضاح الشرع [illegible] وعلى آله وصحبه الذين [illegible]
أما بعد [illegible] فهذه تعليقة على الأرجوزة الموسومة بياقوتة البيان [illegible]
[illegible] بالعوائد [illegible] والله يجعله من [illegible]
ويحفظه [illegible] من مخالب [illegible] أهل هذا الجيل

يقول أحوج الورى لما كسب محمد الصغير [illegible] المنتسب
حمدا لمن علمنا البيانا وجعل الذكر لنا تبيانا
وصلوات [illegible] علي النبي وآله والصحب

[illegible]

الصفحة الأولى من النسخة «م»

[illegible] ان هذا ما وجدنا [illegible] [illegible] الكتب العلمية [illegible]

[illegible] اشتملت عليه [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] وقد كان شيخنا العلامة [illegible] ابو عثمان

سعيد بن ابي القاسم العميري رحمه الله يقول ان الكتاب اذا اشتمل على ثلاث فوائد

اندرج في الكتب العلمية ولم يكن [illegible] [illegible] وكان من الاعمال

التي لا تنقطع بالموت [illegible] قلت [illegible] على تسمية هذه المنظومة بالياقوتة

[illegible] ويكون ذلك من [illegible] وقد [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]

بالتركيبة [illegible] على تسمية الكتب قلت [illegible] اشار شيخنا

العلامة المحقق ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن في شرح [illegible] للسيوطي [illegible]

مقصود المؤلفين [illegible] والثناء على [illegible]

[illegible] تصحيح [illegible] والعمل بالنيات والغلط [illegible]

[illegible] والعلة الثانية [illegible]

والبراعة [illegible] والبراعة [illegible] مواضع من غالب ابيات القصيدة

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible]

الفراغ من الشرح [illegible] اوائل [illegible] وثلاثين ومائة والف وصلى

الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من النسخة «م»

ياقوتة البيان

لمحمد الصغير الإفراني(1080 - بعد 1156هـ)

القسم الثاني: النصّ المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

نحمدك يا من ألبسنا من بديع معاني البيان مطارف(أ) أنيقة، ووفقنا لطلب المجاز لشرح الحقيقة، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد مصباح(ب) السعد[1] المطول[2] وتلخيص[3] إيضاح[4] الشرع الأول، والرضى عن آله وصحبه الذين تزف لهم يوم الكفاح عروس الأفراح[5] وبعد فهذا تعليق(ت) على أرجوزتي الموسومة بياقوتة البيان يزهر به روضها، ويفعم بالفوائد حوضها، والله يجعلني(ث) به من أهل الغرة[6] والتحجيل[7]، ويحفظ أديمه

(أ) – في النسخة (ع) و(أ): مطاريف وهو خطأ من الناسخ.

(ب) – في (م): مفتاح. (ت) – في (م) تعلقة. (ث) – في (ع) يجعلنا.

1-هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(ت792هـ)، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتافتازان من بلاد خراسان...من كتبه: تهذيب المنطق والمطول في البلاغة، والمختصر اختصر به شرح تلخيص المفتاح، ومقاصد الطالبين في الكلام. (الأعلام للزركلي، 8/113-114).

2- كتاب في البلاغة لسعد الدين التفتازاني وقد أدرج المؤلف أسماء كتب عديدة في مقدمة تعليقه على أرجوزته حتى إن غير المتخصص في البلاغة لايكاد ينتبه إليها وهذا يندرج ضمن التورية وبراعة الاستهلال.

3-يقصد تلخيص المفتاح في المعاني والبيان لجلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الشافعي (ت739).

4- يقصد كتاب الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني(ت 739هـ).

5 – يشير إلى كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأبي حامد أحمد بن علي بهاء الدين السبكي المصري (763هـ)

6- الغرة بياض في جبهة الفرس (لسان العرب غرر). الغرة: الأبيات الغر واحدة أغر، وهو ما نجم من صدر البيت بتمام معناه دون عجزه، وكان لو طرح آخره لأغنى أوله بوضوح دلالته (قواعد الشعر لثعلب، تحقيق محمد عبد المعين الخفاجي الدار المصرية اللبنانية ط 1، 1996، ص 50). والغرة سماها حازم بالتسويم وهي استفتاح الفصول بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتصديرها بالأقاويل الدالة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تتهيأ بها عند الانفعالات والتأثرات لأمور سارة أو فاجعة أو شاجية أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك. والتحجيل عند حازم تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية (منهاج البلغاء، ص 296-297).

7- بياض في قوائم الفرس (اللسان، مادة حجل). والتحجيل: الأبيات المحجلة ما نتج قافية البيت عن عروضه وأبان عجزه بغية قائله، وكان كتحجيل الخيل والنور بعقب الليل (قواعد الشعر ص 54).

من مخالب شهوات أهل هذا الجيل.

يقـــول أخـــوف الورى مما أكتسب	محمـــد الـــصغير الافراني النسب
حـــمـــدا لمـــن علمـــنا البـــيانا	وجعـــــل الـــذكـــر لنا تبيـــانا
وصـــلوات هامـــيات الـــسحـــب	علـــى الـــنبي وآلـــه والصحب

الإفراني ههنا يقرأ بالنقل لإصلاح الوزن نسبة إلى قبيلة[8] تتاخم بلاد الصحراء من ساحل السوس الأقصى، وفي القاموس[9] أفرن ويفرن كأحمر ويمنع[10]، قبيلة من برابر المغرب، ومقتضاه أن يقول في النسب افرني بغير ألف لكن زيدت الألف في النظم عوضا عن إحدى ياءي النسب كـــيماني والمسألة مبسوطة في التسهيل[11]، والبيان: المنطق[أ][12] الفصيح المعرب[ب] عما في الضمير كذا قال في المطول[13]، وفيه أن ذكر الفصيح غير لائق لأن البيان هنا ما يميز نوع الإنسان وإليه يشير في قوله تعالى :

أ – في (أ): النطق والراجح ما ورد في النسختين الأخريين وهو ما أثبتناه أعلاه.

ب – في (م): المعبر.

8– تقطن بمنطقة إفران التي تقع على السفح الجنوبي للأطلس الصغير، وتتكون من أربع مدن صغيرة هي في الحقيقة أربعة قصور... معلمة المغرب 548/2.

9– المقصود القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.(ت817هـــ).

10– في القاموس المحيط ورد: وأفرن كأحمر وكيمنع،1576/1.

11– تتمة العنوان: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي النحوي المتوفى سنة672 هـــ، وهو كتاب جامع لمسائل النحو.(كشف الظنون، 284/1).

12 – يعني الكلام.

13– المطول، ص509.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾ [14] وربما لا يكون فصيحا، وفي القاموس[15] البيان الإفصاح [أ] مع ذكاء [ب]، والذكر اسم من أسماء القرآن، والتبيان تفعال من البيان وهو أبلغ ولا يخفى ما في البيت من مناسبة الابتداء للمقصود ويسمى براعة [ت] المطلع،والسحب بضم السين وسكون الحاء.

والقصد ضبط الاستعارة التي ... في ضبطها ظبى العقول كلت

وحصر باقي أضرب المجاز ... والله بالنية لي مجازي

(الظبى) بضم أوله جمع ظبة [ث] كثبة [16] [ج] حد السيف والسنان ونحوهما، وكل السيف كلولا لم يقطع، وأضرب الشيء أنواعه وأصنافه، والمعنى أنه قصد في هذه الأرجوزة بيان ما يضبط أقسام الاستعارة، ويجمع متفرقها ويذلل صعبها الذي حير الأفهام وكثر عليها زائغ [ح] الأوهام، ولما كانت الاستعارة [نوعا من] [خ] (المجاز)، ناسب أن يكمل الغرض باستيفاء الكلام على سائر أنواع المجازات، لأن في ذكر البعض منها دون البعض تشغيبا على الناشئ، وبين قوله(المجاز ومجاز) جناس تام.

سابقة: آثر التعبير بها على المقدمة تلوينا للتعبير وإلا فهما بمعنى، ورأيت من أشياخنا من عبر بالطالعة وهي في معناهما أيضا. ولما كان المقصود جمع مسائل المجاز والاستعارة، وكانت الاستعارة أبلغ من المجاز وهو أبلغ من الحقيقة

أ – في (أ): الأفصح.

ب– في (أ): دعاء، والذكاء أصوب في هذا السياق.

ت – في (م): ببراعة.

ث – في (م): ضبة وهو خطا.

ج – في (م): كبنة وهو خطأ.

ح – في (أ): رائغ.

خ– ساقط من (م).

---

14 – سورة الرحمان، 3 – 4.

15–القاموس المحيط 4 / 204.

16 – العصبة من الفرسان أو الجماعة من الناس. اللسان،: ثبا.

عقدها لذكر الحقيقة والتشبيه ليتأتى التفصيل بالأبلغية المذكورة فقال:

واللفظَ قسمةُ واسقطِ السقط إلى مجاز وحقيقة فقط

يعني أن اللفظ المستعمل إما أن يكون حقيقة أو مجازا ولا واسطة بينهما وأشار بذلك للرد على من أثبت الواسطة وهي الكناية، وسيأتي ذلك في اللاحقة إن شاء الله، و(السقط) الغلط، واحترز بإخراجه من التقسيم عن اللفظ المذكور غلطا كقولك مشيرا إلى كتاب هذا فرس، والأداة في اللفظ للعهد والمعهود اللفظ المستعمل، وأما المهمل فليس من موارد التقسيم أيضا وبعبارة أخرى، المعهود اللفظ الموضوع، فيخرج غير الموضوع ويبقى ما وضع له ولم يستعمل، انظر تحقيق ذلك في حواشي العباسي[17] على المحلي[18].

وليس بالأكيد عند الماهر ذكر الحقيقة لوجه ظاهر
إذ بالمجازمنتقى[أ] روض الأدب[ب] وتنسل الأغراض من كل حدب
وبالمجاز يتلون الفصيح في حلل اللفظ الذي به يصيح

أ- في (م) ينتقى، وفي(أ): ينقى.

ب- في (ع) وفي (أ): الأرب.

17- هو عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن أحمد أبو الفتح العباسي(867-963هـ) عالم بالأدب من المشتغلين بالحديث ولد ونشأ بمصر، من كتبه معاهد التنصيص في شرح قواعد التلخيص، فيض الباري بشرح غريب صحيح البخاري، ونظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح.(الأعلام للزركلي،120/4).

18 - هو جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت864هـ)، له شرح لجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي الشافعي(ت771هـ).كشف الظنون، 595/1.

(الماهر) بالشيء الخبير بـــــه، و(انتقى) الأمـــر اختــاره، و(الأغـــراض) الـــمعـــاني وتنـــســـل [تقــبــل] [أ] في إســـراع،و(الحدب) نـــشز من الأرض أي ارتفــــاع قاله العـــزيـــزي[19][ب] فـــي الغـــريــب[20]، والمعنى أن المطلوب في صناعة البيان التوصل إلى التعبير عن المعنى الواحــــد بطرق مختلفة فـــي وضـــوح الدلالـــة علـــيه. والتـــعبير المذكور لا يتأتى بدلالة المطابقة، فلم يكن لأجل ذلك عند أئمة البيان كـــبير فائـــدة في ذكـــر الحقائـــق، لأن الـــسامع للفـــظ الحقـــيقة إن كـــان عالمـــا [لما] [ت] وضع له اللفظ، لم يزده ذلك وضوحا، وإن لم يكن عالما لم يكن اللفظ عـــنده دالا على شيء، والمجاز هو الباعث على ترويج الكلام وتزيين[ث] المستهجن حتى يستعذب[ج] الأجـــاج[21] ويستحسن المستقبـــح، ولـــهذا مهما كان الشـــعر أقـــوى تـــخيلا كـــان أعـــظم قـــبولا وألطـــف موقـــعا[22]، ومـــن ثم كان الشعـــر أجلب للـــعقـــول من الـــنثر لبـــنائه على التخيلات بخلاف النثر، فـــإنه لم يـــبن على ذلك

أ- ساقطة من (أ). ب -في (ع): العزيز.
ت - ساقطة من (أ). ث - في(أ): وتزين.
ج - في(ع): يتعذب

19- هو علي بن أحمد بن محمد العزيزي البولاقي الشافعي(ت1070هـــ). فقيه مصري من العلماء بالحديث، مولده بالعزيزية وإليها نسبته، ووفاته ببولاق، له كتب منها السراج المنير بشرح الجامع الصغير.(الأعلام،64/5.)

20 - يعني غريب القرآن للعزيزي. قال السيوطي في الإتقان أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ومن أشهرها كتاب العزيز وقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة، يحرره هو وشيخه أبو بكر الأنصاري (كشف الظنون 1208/2).

21- الماء الشديد الملوحة والمرارة (اللسان أجج).

22 - في معنى التخييل قال ابن الرومي:

في مـــنطق القـــول تـــزيين لـــباطله و الحـــق قـــد يعتـــريه ســـوء تعـــبير
تقـــول هـــذا مجـــاج الـــنحل تمدحـــه و إن ذممـــت فقـــل قـــيء الـــزنابير
مـــدح وذم وعـــين الـــشيء واحـــدة سـحر البـــيان يـــري الظلمـــاء كالـــنور

غالبا. وكان شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد المسناوي[23] أدام الله جلاله ينشدنا في هذا الموقع من التلخيص[24] قول ابن الرومي[25]: [الكامل]

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ   يختص بالتقريب والتمكين
انظر إلى الألف استقام ففاته   عجم[26] وفاز به اعوجاج النون

وقول الواسطي [قوام] [أ] الدين[27]: [الكامل]

إن كنت تسعى في السيادة فاستقم   تنل المراد ولو وصلت إلى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها[ب]   لما استقام على الجميع تقدما

ويقال[ت] إن استقامة الألف عبر عنها باعتبارين مختلفين مدحا وذما وما ذلك إلا لفتح باب التخيلات التي هي أساس المحسنات الشعرية، قال والحقيقة لا

أ- ساقطة من (أ)، ووردت في (ع) هكذا: قدام.
ب- في (أ): حروفه. ت- في(م): ويقول.

23- هو محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الدلائي الفشتالي (1021-1089هـ) أديب من علماء المالكية، من بيت إمارة بالمغرب، انتقل إلى القاهرة سنة 1080هـ ثم عاد إلى بلاده وتوفي بفاس. من كتبه: " الدرة الدرية في محاسن الشعر وغرائب العربية" و"نتائج التحصيل في شرح التسهيل"...(الأعلام، 294/7). وانظره في: المحاضرات ص166 ونزهة الحادي ص240 وصفوة من انتشر ص: 205-207 وغيرها.

24 - ص 237.

25 - علي بن العباس بن جريج البغدادي المشهور بابن الرومي (أبو الحسن) (221-283هـ) شاعر رومي الأصل ولد ببغداد، من آثاره ديوان شعر. (معجم المؤلفين، 114/7).

26 - العجم: النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان...وكتاب معجم إذا أعجمه كاتبه بالنقط، لأن شكول النقط فيها عجمة لابيان لها كالحروف المعجمة لابيان لها، وإن كانت أصولا للكلام كله. (اللسان، عجم.).

27 - يحيى بن سعيد بن هبة الله العلامة أبوطالب قوام الدين الشيباني(522-594هـ) المنشىء الكاتب الواسطي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة، اشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء، وفنون من العلوم كالفقه وعلم الكلام والأصول والحساب والشعر. انظر النجوم الزاهرة، 144/6: شذرات الذهب 318/2 ووفيات الأعيان، 244/6.

يتأتى بها ذلك، بل هي في بعض الأماكن عي[أ][28] وفهاهة[ب][29] والمجاز دائما براعة ونباهة، قال ومن هذا ما ذكر أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[30] رضي الله عنه لدغه زنبور وهو صبي صغير فصاح فقال له حسان[31] ما بالك فقال لدغني [طائر كأنه] (ت) ملتف في بُردي حَبِرَة [32](ث)، ففرح حسان وضمه إليه، وقال له قلت الشعر، فانظر هذا الاستحسان فإنما هو من جهة التخييل[33] المذكور، وقوله قلت الشعر عين ما تكلمنا فيه.

وهاأنا أذكر من أحكامها مباحثا بالغت في إحكامها
فحدها كلمة مستعمله في عين ما وضعه الواضع له

الحقيقة في اللغة فعيلة من حق يحق بالكسر لزم وثبت، فهي بمعنى الثابتة أو المثبتة والتاء فيها النقل من الوصفية إلى الاسمية ومراده هنا الحقيقة اللغوية، وقوله "كلمة" جنس في التعريف، واحترز بالمستعملة في غير ما وضعت له من المجاز فإنه مستعمل في غير ما وضع له، وأسقط ما زاده في التلخيص[34] من قيد اصطلاح التخاطب فيخرج لفظ الصلاة إذا استعمله الشارع في الدعاء مثلا لأن

أ- في(أ): عري، وهو خطأ بين.

ب- في(أ): فصاحة. والصحيح ما هو وارد في النسختين الأخريين.

ت - ساقط من (م) و(أ). ث - في (م):برد حبرة، وفي (أ):برد حيرة.

---

28 - عيي في المنطق عيا:حصر.وعيي بالأمر عيا...عجزٌ عنه ولم يطق إحكامه.

29 - الفهة والفهاهة: العي. (اللسان، عيا).

30 - انظر الإصابة في تمييز الصحابة 31/5.

31 - نفسه، 326/1.

32-ضرب من البرود اليمانية.(لسان العرب حبر).

33 - والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل بتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض (منهج البلغاء، ص 89).

34 - تلخيص المفتاح ص 293.

الحيثية تغـــني عنه وهي معتبرة في التعاريف خصوصا عند تعلق [أ] الحكم بالمشتق، فإن قلت الحقيقة تكون في المفرد وفي المركب وتعريفك قاصر على الأول، قلت كأنهم لعدم اعتنائهم[ب] في هذا الفـــن بالحـــقيقة لم يتعرضوا إلا لما هو الأصل فيها وهو المفرد، على أنه لا يسلم إطلاقـــها على المجمـــوع المركب، انظر حواشي المطول[35]. والإحكام الأول في البيـــت جمع حكم والثاني مصدر من أحكمه أتقنه، والمباحث جمع مبحث موضع البـــحث والتفـــتيش.

فيشـــمل التعريف زيد أسد وكونه اســـــتعارة لا يبعد

وأشـــار[ت] بـــهذا البيـــت إلى أن مـــن أمثـــلة الحقيـــقـــة قولنـــا: زيد أسد، لأن كـــلا من اللفـــظين مستعمل فيـــما وضـــع له، وإنما هـــو تشـــبيه بليـــغ بحذف [15] الأداة، واستدل فـــي المفـــتاح[36] على ذلـــك بأن مـــن المعلـــوم أن الإنـــسان لا يكـــون أســـدا، فوجـــب المصـــير إلى التـــشبـــيه بحذف أداتـــه قصـــدا للمبالغة وقال صاحب المطـــول[37] لانسلـــم أن أســـدا في نـــحو زيـــد أســـد مســـتعمل فيـــما وضـــع له بل هو مســـتعمل في [معـــنى] [ث] الشجـــاع، وأصله زيـــد رجـــل شـــجاع كأســـد [ج] فحذفنا[ح] المشـــبه واستعملـــنا المشـــبه به فـــي معنـــاه فيكون مجـــازا واستعـــارة[خ]، ولا دلـــيل لهـــم على أن أداة التشـــبيه هنـــا محذوفـــة، وأطـــال في تقـــرير ذلك، وإليـــه أشار بقولـــه: وكونه استعـــارة لا يـــبعد، [والحاصل أن زيـــدا أســـد فيـــه قـــولان مختارهما ما صدر به، ومقتـــضى المطـــول فـــي تعـــريف التشبيه أن القول بأنه مجاز مقول لغـــيره] ، وفهم من المـــثال أنـــه لو قال زيـــد أســـد شجـــاعة أو زيد الأسد بالتعريف لا يجـــري فيـــه ذلك الـــخلاف، انظر المطـــول وحواشيه.

أ-في (م): تعليق.

ب-في (ع): اعتبارهم، وما أثبتناه هو الوارد في (م) و(أ) وهو الصحيح لأن فعل اعتنى يتعدى بالباء.

ت-في(م): أشار في. ث-ساقط من:(أ). ج-في (م): كالأسد.

ح-في (م): فحذف. خ-في (م): مجازا أو استعارة. د- ساقط من (أ).

---

35 - حاشية المطول ص 510..

36 - ص 463.

37 - المطول ص574.

ومن هـــــنا يظهر للـــنبيه شـــمولها في العـــرف للتشبيه

يعني أن ما ذكره من أن زيدا أسد من أمثلة الحقيقة لا المجاز، وبما شرحناه فيه يعلم أن التشبيه - من حيث هو- فرد من أفراد الحـــقيقة في اصطلاح أهل هذا الفن، وإنما نبهنا على ذلك لقول الإمام الغبريني[38] في شرحه الكبير على البردة[39] إن كثيرا من الطلبة يعتقدون أن التشبيه من أقسام المجاز، قال وهو غلط فاحش.

وهو الدلالة بكا الكاف على إلحاق ذا بذا بمعنى حَـــصَلا

يعني أن التشبيه اصطلاحا هو ما ذكره، وعنى (بذا وذا) المشبه والمشبه به، والباء في قوله "بمعنى" بمعنى "في"، والمعنى هنا هو وجه الشبه، والدلالة مصدر، والمعنى أن التشبيه هو أن يدل على أن هذا التحق بهذا في كذا، وعدل عن عبارة التلخيص[40] [هي][(أ)] الدلالة على مشاركة امرئ لآخر في معنى لاعتراض السعد[41] عليها[(ب)] لشمولها لنحو قاتل زيد عمروا وجاءني [(ت)]زيد وعمرو، بحث [(ث)] فيه السيد[42] بأن المثالين من ثبوت الحكم لشيئين لا من مشاركة أحدهما الآخر[(ج)] فيه وإن لزم من الأول الثاني وهما مفهومان متغايران، وحينئذ فالمتكلم إن قصد الثبوت لم [(ح)] تكن مشاركة فلا يشمل التعريف تشبيها[(خ)]، وإن قصد المشاركة اندرجا في التعريف إذ هما من التشبيه اللغوي،

أ- ساقطة من (م)، وفي (أ): وهي. ب- في (أ): عليه.

ت- في (أ): وجاء. ث- في(م): وبحث.

ج-في(أ): للآخر. ح- في (ع): فـــلم. خ- في (م): شيـــا.

---

38 -أحمـــد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس الغبريني (644-714هـــ)، مؤرخ نسبة إلى غـــبرا مـــن قبائل البربر في المغرب، مولده في بجاية وتولى قضاءها. له "عنوان الدراية في من عرف من علماء المائة السابعة في بجاية ". (الأعلام 87/1). فهرس الفهارس 251/2. معجم المؤلفين 150/1.

39 - لم أقف عليه.

40 - التلخيص ص 238.

41 - مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(ت792هـــ).

42 - علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني (740-816هـــ)، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في "تاكو" قرب استراباد ودرس في شيراز...له نحو خمسين مصنفا، منها: التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، وشرح كتاب الجغميني، في الهيئة...والحواشي على المطول للتفتازاني.الأعلام 159/5-160.

وسلم البحث الفخر الفناري[43]، إلا أنه لم يسلم كونهما من التشبيه اللغوي وزعم أنهما من الاصطلاحي عند قصد المشاركة، قال لأنهم عدوا منه قول أبي الطيب [44]: فإن تفق الأنام البيت[45] قلت لا يلزم من قصد المشاركة التشبيه للقاعدة وهي أن المتشاركين إنما يدعى أن أحدهما مشبه والآخر مشبه به إذا أريد إلحاق الناقص بالزائد في وجه الشبه، وإلا فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ويجوز التشبيه وإن تساويا في وجه الشبه لكن بشرط بسبب يقتضي ترجيح المشبه به وإن خرج المرجح عن وجه الشبه، كالاهتمام به وكون الكلام فيه، ولاشك أن المثالين لا ينطبقان على قاعدة التشبيه، ولاحجة في عد **فإن تفق الأنام** لفهم إرادة الإلحاق منه عند تأمل معناه، إذا تقرر هذا فالمثالان ليسا من التشبيه اللغوي [لأنه إنما يفارق الاصطلاح في صدقه على مايكون على وجه الاستعارة والتجريد وعلى فرض أنهما من اللغوي](أ) وردا في تعريف الاصطلاحي(ب) فاعتراض السعد متجه، والزيادة لابد منها فيقول الدلالة بالكاف الخ، فإن قلت الزيادة تخرج نحو فإن تفق الأنام إلخ، والغرض دخوله قلت التشبيه فيه بسائر أركانه ضمني(ت) واعلم أنه زاد في التلخيص[46] بعد التعريف قوله[47] والمراد هنا مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا على وجه الاستعارة بالكناية والتجريد، قال الفناري

أ- ساقط من: (ع).

ب- في (م): الاصطلاح.

ت- في (م): ضمنا.

---

43 - حسن جلبي بن محمد شاه بن حمزة الرومي الحنفي ويعرف بالفناري (بدر الدين) (ت 834هـ) عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد ببلاد الروم، توفي ببروسة في جمادى الآخرة، من تصانيفه حاشية على صدر الشريعة، الثاني وقاية الرواية في مسائل الهداية، حاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان، حاشية على حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف للزمخشري. (انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، 3/213- 214).

44 - المتنبي(303 – 354 هـ).

45 - تتمة البيت:............. وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال. وهو من قصيدة في رثاء والدة سيف الدولة. (ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، 2/21).

46- التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني. ص: 240.

47- في التلخيص ص 240: "ما لم تكن على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد.

لو قال الدلالة بك الكاف لأغــناه عن تلك الزيادة انتهى، وقد أسقطناها نحن اعتمادا على ما زدناه[أ]، هذا ما ظهر في تقرير هذا المحل والله أعلم.

وطــرفـــاه وجـــهـــه أداتـــــه جميــع الأركان حــوتها ذاته

أركان التشبيه أربعة وهي (طرفاه) يعني المشبه والمشبه به و(وجهه) وهو ما يشتركان فيه و(أداتـــه) الكاف وشبهها. قال في المطول[48] وإطلاق الأركان على الأربعة المذكورة إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه، وإما باعتبار أن التشبيه كثيرا ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكورة (اهــ). وقولـــه (ذاتـــه) أي حقيقته والذات في عرف المتكلمين هـــي الحقيقـــة.

والطول في تقسيمها بطالة إذ ليس من غرضنا الإطالة

البطالة ذهاب الشيء ضياعا، ولاشـــك أن تتابع تقاسيم تلك الأركان يفضي إلى إسهاب مفرط وهو خلاف ما نصبت عليه الأرجوزة من الإيجاز، وذاك لأن كل ركن من الأركان يتنوع إلى أنواع[49] أما الطرفان فإما أن يكونا حسيين كالخد والورد أو عقليين كالعلم والحياة أو مختلفين كالمنية والسبع والعطر[ب]وخلق الكريم [ت]ويدخل في الحسي الخيالي كقوله[50]:

[مجزوء الكامل]

وكأن محمر الشقيـــــــــــــــق إذا تصوب أو تصعـــد
أعلام ياقوت نشـــــــــــــــرن على رماح من زبرجـــــــد

أ- في (ع) و(أ): على اعتماد ما زدته، وفيه عدم انسجام الضمائر مع الجملة السابقة.

ب- في(م): والمطر. و"العطر" أصح.

ت-في (أ): خلق كريم. في (م) و(ع) خلق الكريم.

48- المطول، صص 517-518 بتصرف.

49- التلخيص ص 243 مع بعض التصرف.

50- البيـــتان للصنوبري، الديوان، ص: 416، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.

ويدخل في العقلي الوهمي كقوله[51]:

[الطويل]

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحــية [52]حــين نــورا

أو مركبان مع ذلك كقوله[53]:

[الطويل]

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نشرن على بساط أزرق

وأيضا الطرفان إن تعددا فملفوف كقوله [54]:

[الطويل]

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[أ]

أو مفروق كقوله[55]:

[السريع]

النشر مسك والوجوه[ب] دنا نير وأطــــراف الأكــف عنم

أ- في (م): البال.

ب- في (ع): والوجه وهو خطأ من الناسخ، إذ لا يستقيم معه الوزن.

51 – هــذا البــيت مختلف في نسبته فقد نسبه صاحب معاهد التنصيص إلى أبي قيس بن الأسلت وذكــر في الهــامش (2) أن الشيخ عبد القاهر أنشده في أسرار البلاغة (ص75) تعليق السيد محمد رشيد رضا، ونسبه إلى قيس بن الخطيم وليس بشيء. قال عنه ابن سلام: "وهو شاعر مجيد". (انظر طبقات فحول الشعراء، 189/2).

52 – الملاحي بالضم وتشديد اللام ضرب من العنب أبيض في حبه طول. (اللسان، ملح) .

53 – بـيت لأبي طالب الرقي تتمته: والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهل من سح الغمام المغدق ، وورد في" قرى الضيف".

ص: 346: " لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي وسمعته يقول إنه أحد المقلين المحسنين الذين يطبقون المفصل في أغراضهم... "

54- البـيت لامــرئ القــيس، الديوان، ص: 114. شرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي، تحقــيق: أنــوار أبو سليم وعلي الهروط، دار عمان، الأردن، ط1، 1991. العناب ثمر أحمر اللون، والحشف: أردأ التمر، البالي: القديم.

55 – البيت للمرقش الأكبر، النشر الريح الطيبة (اللسان)، والعنم شجر لين الأغصان لطيفها يشبه به البنان كأنه بنان العذارى(اللسان/عنم). الأغاني 134/6، دلائل الإعجاز 388/1، الإيضاح 233/1.

وإن تعدد طرفه الأول فتشبيه تسوية كقوله[56]:

[المجتث]

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء وأدمعي كاللئالي

وإن تعدد طرفه الثاني فتشبيه الجمع كقوله[57]:

[السريع]

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أم برد أو أقاح

وأما الوجه فهو ما يشتركان فيه حقيقة أو تخييلا كقوله [58]:

[الخفيف]

وكأن النجوم بين دجاه(أ) سنن لاح بينهن ابتداع

وله تقاسيم أيضا لأنه إما أن يكون غير خارج عن حقيقتهما كتشبيه ثوب بآخر من نوعه، أوخارجا وله أمثلة وأيضا وجه الشبه إما أن يكون واحدا أو بمنزلته أو متعددا وكل منهما حسي أو عقلي، وتتبع ذلك يفضي(ب) إلى الطول، وأما أداته فالكاف

أ- في النسخ جميعها: دجاه، ولعل الضمير راجع إلى الليل وفي الإيضاح للقزويني: دجاها 2/ 336 الشاهد246. والضمير هنا راجع إلى الليالي أو النجوم، انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي(963هـ)10/2.

ب- في (ع): يقتضي.

---

56 - هذان البيتان مجهولا القائل، حيث ورد في شروح التلخيص قوله: "قال في شرح الشواهد هذا البيت من المجتث ولا أعلم قائله. " 429/3. وانظر كذلك معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي (963هـ) 88/2.

57 - البيتُ للبحتري(الديوان، 435/1)منضد: منظم ومنسق، البرد: حَب الغمام وهو قطع صغيرة من الثلج المنعقد من ماء السحاب إذا برد الجو، الأقاح ج أقحوان من نبات الربيع مفرض الورق دقيق العيدان له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن (اللسان).

58- البيت للقاضي التنوخي. (قرى الضيف 395/2).

وكأن ومثل وما في معنى ذلك، وله تقاسيم لأن المشبه به إما أن يواليها وهو الأصل أولا كقوله[59]: [الطويل]

وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وَغَدْوًا بلاقع

والغرض من التشبيه غالبا يعود للمشبه لأغراض منها أن يكون المُشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه كقوله[60]: [البسيط]

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات[أ] ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت

وقد يعود للمشبه به كقوله[61]: [السريع]

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

وله تقسيم آخر أيضا لأنه إما أن يكون قريبا مبتذلا أو بعيدا غريبا وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريبا كقوله[62]: [الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياء

وقوله[63]: [الكامل]

عزماته مثل النجوم ثواقبا ... لو لم يكن للثاقبات أفول

أ- في (م): قامة وهو خطأ من الناسخ إذ لا يستقيم معه الوزن.

59 - البيت للبيد بن ربيعة العامري، الديوان، ص: 88، دار صادر، بيروت لبنان، 1966. ورد في "الشعر والشعراء لابن قتيبة ضمن قصيدة من ستة عشر بيتا، ص: 278. (النهاية في غريب الأثر 346/3).

60 -ديوان ابن الرومي، 394/1، تحقيق: د. حسين نصار، د. ت.

61 - البيت لمحمد بن وهيب الحميري يمدح المأمون بن الرشيد العباسي. (معاهد التنصيص، 1/ 220).

62 - المتنبي في ديوانه48/1.

63 - البيت لرشيد الدين الوطواط محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك (ت573هـ). الإيضاح، 246/1.

وبالجملة فإن استقصاء تقاسيم أركان التشبيه مما يطول الشرح، ومن رام ذلك فعليه بالمفتاح [64](أ) والتلخيص[65] وشرحهما.

السمط[66] (ب) الأول: في تعريف المجاز اللغوي وتقسيمه:

المجاز مصدر ميمي أو اسم مكان بمعنى الجواز أي الانتقال أو موضعه، ونقل في الاصطلاح للمعنى الآتي لأن اللفظ قد انتقل من معناه الأصلي، وقيد باللغوي ليخرج العقلي وسيأتي أيضا.

لفظ المجاز باعتبار الرابطة مفـــرد أو مركب لا واسطة

يعني أن المجاز حيث كان لا يخلو من أن يكون مفردا أو مركبا ولا واسطة بينهما والرابطة هي المصححة لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له.

فالمفرد الكلـــمة المســـــتعملة في غير ما وضـــعه(ت) الواضع له

مـــع قرينة عـــلى وجه يـــصح ....

فخرجت الحقيقة والكناية لأنها وإن كانت مستعملة في غير ما وضعت له لكن يجوز فيها إرادة ما وضعت له أيضا بخلاف المجاز فإن القرينة فيه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، إذ لا يصح أن يراد به نحو رأيت أسدا يصلي الحيوان المفترس بخلاف طويل

أ- في (ع): المصباح.

ب- في (ع): النمط.

ت- في (أ): وضعها.

64 - تـــتمة العنوان: المصباح في المعاني والبيان لبدر الدين محمد بن محمد بن مالك النحوي(ت 649هـــ).

65 - المقصود تلخيص المفتاح للخطيب القزويني. راجعه بدءا من 266 لمزيد من التقاسيم.

66 - اعتـــبر الإفراني أرجوزته عقدا أو سمطا مرصعا بهذه المباحث بغية إضفاء جمالية وقبول على تعليقه، والسمط الخيط مادام فيه الخرز (اللسان/سمط).

النجاد فيصح أن تريد[أ] مع طول القامة حقيقة طول النجاد، وخرج الغلط أيضا لأنه على وجه يصح وأسقط من التعريف ما زاده في التلخيص[67] من قولهم[ب] في اصطلاح التخاطب ليدخل المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر كلفظ الصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فإنه وإن كان مستعملا فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب وليخرج ما يكون له معنى آخر في اصطلاح آخر كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع في الأركان المخصوصة فإنه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة في غير ما وضعت[ت] له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح المخاطِب[ث] وهو الشرع لإغناء قيد الحيثية المشعور به في التعريف عنه "**فشرطه علاقة ستتضح**"[ج] قال في الصحاح[68] العلاقة بفتح العين علاقة الحب وبالكسر فعلاقة السوط انتهى والمعنى أن المجاز لابد فيه من علاقة ويعنون بها المعنى الرابط بين المنقول عنه والمنقول إليه كالجرأة الرابطة بين الشجاع والأسد وجرت عادتهم بإدراجها [ح] في التعريف قال العصام[69] وقيد القرينة يغنى عنها اهـ وإنما أفردناها بالذكر وعطفنا بالفاء مع أنه يشترط غيرها [أيضا] [خ] ليتأتى التقسيم المشار إليه بقولنا:

فإن وجدتها سوى المشابهة   فهـو مجاز مرسل مبادهة

أ- في(م): يراد.   ب- في (م): قوله.

ت- في(أ): وضع وهو غير صحيح لأن التطابق في التأنيث ينتفي.

ث- في(أ)و(م): التخاطب.

ج- هذا الشطر تتمة للبيت أعلاه وإنما أخره الناظم لغرض الشرح.

ح-في(م): إردافها.   خ-ساقطة من (ع).

67 - ص 294.

68 - الصحاح للجوهري. ورد فيه: العلاقة بالكسر علاقة القوس والسوط ونحوهما والعلاقة بالفتح: علاقة الخصومة وعلاقة الحب. 1531/4.

69- إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفراييني عصام الدين(873-945هـ): صاحب الأطول في شرح تلخيص المفتاح للقزويني في علوم البلاغة، ولد في اسفرايين من قرى خراسان وكان أبوه قاضيها فتعلم واشتهر وألف كتبه فيها، وله تصانيف غير الأطول منها "ميزان الأدب" وشروح وحواش في المنطق والتوحيد والنحو. (الأعلام 63/1-64).

يعني أن العلاقة المصححة إن كانت غير المشابهة بين المعنى المجازي والحقيقي فهو المسمى بالمجاز المرسل قاله الفناري [70] لان الإرسال في اللغة الإطلاق والاستعارة مقيدة بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق من هذا القيد ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [71] فأطلق في الآية الأصابع على الأنامل من تسمية البعض باسم الكل وقوله: ﴿ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [72].

وكقوله[73]:

[الرجز]

الحمد لله العلي المنان   صار الثريد برؤوس العيدان

وقولهم: أكلت دما أي دية ورعينا غيثا أي نباتا وقس على هذا ما أشبهه، ولا يشترط إلا اعتبار السعرف لنوع العلاقة وإن لم تسمع آحاد بها، ولذا يقولون المجاز موضوع بالوضع النوعي لا الشخصي وأنواع العلاقة تنيف عن خمس وعشرين، وتتبع ذلك يطول[74]، وقوله مبادهة قال في القاموس[75] البديهة أول كل شيء وما يفجأ منه وبادهه به فاجأه به مبادهة، وهي هنا تكميل البيت: "أو عينها فهي **استعارة تؤم**" (أ) يعني إذا كانت العلاقة نفس المشابهة فهي الاستعارة فكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به(ب) في المشبه ومثال ذلك: رأيت أسدا يرمي، فإن المشابهة بين الأسد والرجل الشجاع هي الشجاعة وهي المصححة لتسمية الآدمي أسدا.

أ-في (م) و(أ): تسم

ب- في (م): اسم المشبه به.

---

70 - مرت ترجمته، انظر ص: 152.

71 -سورة البقرة، الآية 19.

72 - سورة يوسف، الآية 36.

73 -لم أقف على قائله. وفي تفسير القرطبي 146/13، ورد: " فأما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك كقول القائل:

الحمد لله العلي المنان   صار الثريد برؤوس العيدان.

74 -ص 298.

75 ورد فيه: " والبديهة أول كل شيء وما يفجأ منه وبادهه به مبادهة وبداها فاجأه به "(اللسان، فجأ).

.... ثم المركب الذي قبل ارتسم

مركب مستعمل في غير ما وهُو في الباقي كما تقــــدما

يعني أن المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة كقرينة المفرد كقولهم للحيران أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، ووجه الشبه فيه الإقدام والإحجام وهو منتزع من عدة أمور، قال العصامي: وقولهم في المثل أخرى معناه تارة أخرى لا رجلا أخرى انظر حاشية الفناري.

لكــن علاقة المركب إذا كانت سوى تشابه فلتنبذا

يعني أن المجاز المركب إذا كانت علاقته غير المشابهة لا يسمى باسم المجاز وهو مما فات القوم، وقوله[أ] فلتنبذا أي اطرحه عن الاعتبار.

أولا فذي استعارة التمثيل:

أي وإلاّ تكن العلاقة غير المشابهة بأن كانت عينها فذلك يسمى[ب] استعارة تفسيرية ويقال المجاز على سبيل الاستعارة لأنه قد ذكر فيه المشبه به وأريد المشبه كما هو شأن الاستعارة وسمي تمثيلا لاشتماله على التمثيل بمعنى التشبيه، فإن قلت وكل استعارة كذلك، قلت التشبيه المركب له فضل على غيره حتى كأن ما عداه من التشابيه في نظر البلغاء كلا تشبيه، ومثال ذلك قولهم أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى أي تتردد في الإقدام والإحجام أيهما أولى، شبه صورة تردده بصورة من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى فاستعمل الكلام الدال على هذه الصورة في تلك ووجه الشبه الإقدام والإحجام منتزع من عـــدة أمـــــور كما ترى، تنكيت[76](ت) ما مثل به القوم ههنا[ث] للاستعارة من باب الاستعارة التصريحية، وانظر

أ- في (م): فقوله.   ب- في(ع): تسمى.

ت- في (م) و(أ): تنكيث.   ث- في(م) و(أ): هنا.

---

76 - النكـــتة هــي مـــسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان، من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها وســـيت المـــسألة الدقـــيقة نكـــتة لتأثير الخواطر في استنباطها. (التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، 316/1).

هل تكون الاستعارة بالكناية في المجاز المركب ولم يذكروه، ونسب بعضهم لحاشية السعد[77] على الكشاف[78] في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [79] الآية أنه منها فتأمل.

.... والسعد ذو بحث بلا مثيل

يعني أن الامام سعد الدين التفتازاني[80] رحمه الله تعالى بحث مع القوم في حصرهم المجاز المركب في الاستعارة التمثيلية مع أن المجازات المركبة كثيرة كالأخبار المستعملة في الإنشاءات وذلك كقوله [81](أ):

[الطويل]

هواي مع الركب اليماني(ب) مصعد

فالتركيب وضع للإخبار والغرض منه ههنا إظهار التحزن وكذلك قولنا: رحمه الله، وضع إخبارا والغرض منه في كثير من المواطن الإنشاء، فهذا مجاز مركب وليس باستعارة تمثيل، فأجاب العصامي(ت) بأن التجوز في التمثيلية في المجموع لا في شيء من أجزائها بخلاف غيرها مما ذكر ففي أحد أجزائها، فاكتفوا عن بيان التجوز فيه ببيانه في مفرده اهـ وفيه نظر وتأمل.

ويطلق المجاز عند المهرة   على مجاز الحذف فاقطف زهره

أ-في (م): كقولهم.   ب- في (ع): اليمانين.   ت- في(م): العصام.

---

77 - لم أقف عليه.

78 - الكشاف للزمخشري.

79 -سورة الزمر، الآية 19.

80 -تقدمت ترجمته.

81 -تتمة البيت:................... جنيب وجثماني بمكة موثق، قائله جعفر بن علبة من أبيات الطويل، قالها وهو مسجون. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي 120/1. وشرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق: حسين محمد نقشة. 58/1.

يعني أن المجاز يطلق بالاشتراك على ما حذف منه ما يستقيم به الكلام وتغير إعرابه كقوله تعالى ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [82] ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [83] فإن مجيء الله محال، وسؤال القرية لا يتأتى، فوجب أن يضمر ما يستقيم به الكلام، وزعم القاضي[84] أن المجاز في لفظ: "القرية"، وزعم غيره أن المجاز في قوله "واســـأل"، وقال بعضهم أن المخاطب هنا نبي فلا مانع من سؤاله للجدران[أ] خرقا للعادة وما ذكره من إطـــلاق المجاز على ذلك صحيح، وما زعمه في المفتاح[85] من عده ملحقا به لا مجازا رده في المطول، وسكت في البيت عن مجاز الزيادة كقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [86] لأن المقصود في فن البيان هو الأول كما في المطول، ولحسنه ولطافته سماه زهرا [ب] وأمر بقطفه.

وأضرب الـــمجاز غير اللغوي يضيق في استقصائها حرف الروي

لما فرغ من تعريف المجاز اللغوي وتقسيمه استطرد بالمجاز العقلي[ت] تتميمها للفائدة وحدُّه إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل كقولنا أنبت الربيع البقل أو الربيع منبت للبقل إذا صدر من المؤمن فإن إسناد الإنبات إلى الربيع ليس حقيقة ولكنه لما كان وجوده مقارنا لوجوده صح الإسناد وقولنا بتأويل، يخرج قول الجاهل ذلك لأنه لا تأويل فيه بحسب اعتقاده وإن كان غير ما هو له في الخارج ولابد من قرينة لفظية أو معنوية، ثم المجاز العقلي أقسامه أربعة لأن طرفيه إما حقيقيان أو مجازيان أو مختلفان، وتتبع أقسام ذلك يطول به النظم ويؤدي إلى إسهاب[ث] ولذلك

أ- في (ع) الجدرات. ب- في (ع): زهر.

ت- في (م): استطرد الكلام في المجاز العقلي.

ث- في (ع): أسباب والصحيح ماورد في النسختين (م) و(أ).

---

82 - سورة يوسف، الآية 82.

83 - سورة الفجر، الآية 22.

84 - هو عبد الوهاب بن علي بن نصر التعلبي البغدادي أبو محمد قاض من فقهاء المالكية (362-422هـــ)، له نظم ومعرفة بالأدب، ولد ببغداد وولي القضاء في أسعرد وبادرايا في العراق، مـــن كتبه: " التلقين " في فقه المالكية، "وعيون المسائل "، "والنصرة لمذهب مالك"وشرح المدونة، الأعلام للزركلي.

85 - ص 502.

86 - سورة الشورى، الآية: 11.

قـــال يضيق في استقصائها حرف الـــروي أي تنفذ الـــقوافي قبـــل استيفـــائها، والروي الحرف الأخير من القافية، وإليه تنسب القصيدة. **تـــتمـــيم**: أنكر في المفتاح[87] وجود المجاز العقلي وأدرج ما وجد من ذلك في الاستعارة بالكناية، فالربيع عنده كني به عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الإنبات قرينة الاستعارة، ورده في التلخيص[88] فراجعه.

السمط [أ] الثاني في الاستعارة التصريحية وأقسامها

جعـــل لكل من التصريحية والمكنية فصلا يخـــــصها [تبـــــعا][ب] لغـــير واحـــــد وقـــدم التـــصريحية لكـــثرة ضـــروبها فقـــــال:

وذات تصريح لدى من انتقد أن يذكـــروا مـــــشبها به فقد

يعني أن الاستعارة التصريحية [هي التي][ت] يذكر فيها المشبه به ويطوي ذكر المشبه كقولنا رأيت أسدا في الحمام ورأيت بحرا يتكلم [ث] وقال في الإيضاح[89] ما شبه معناه بما وضع له، والمراد بمعناه ما عنى باللفظ واستعمل فيه فلا يتناول زيد أسد، وما في النظم قريب مما في الإيضاح والمصباح وسميت مصرحة للتصريح فيها بذلك و"قد"[90] في آخر البيت بمعنى حسب.

أ-في (ع): النمط. ب-ساقطة من (م). ت- ساقطة من (أ).

ث-المثالان وردا في (م)هكذا: رأيت بحرا يتكلم، ورأيت أسدا في الحمام.

87- يقصد مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي(555-626هـ، ص 505.

88 أورده ضـــمن الفـــن الأول: علم المعاني. قال: " وأنكره السكاكي ذاهبا إلى أن ما مر ونحوه اســـتعارة بالكناية، على أن المراد بالربيع الفاعل الحقيقي بقرينة نسبة الإنبات إليه، وعلى هذا القـــياس غيره، وفيه نظر لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة في قوله تعالى: "في عيشة راضية" صـــاحبها كمـــا سيأتي، وأنه لا تصح الإضافة في نحو نهاره صائم لبطلان إضافة الشيء إلى نفسه... ". ص 505.

89 - 52/5.

90 - يقـــال: قدني وقطني أي حسبي، قال ابن مالك في حديثه عن ياء المتكلم: (انظر شرح ابن عقيل 115/1، ط16، دار الفكر، بيروت، د. ت.)

وقـــبل يـــا الـــنفس مـــع الفعل التزم نـــــون وقايـــــة وليـــــسي قـــــد نظـــم
ليـــــتني فـــــشا وليـــــتني نـــــذر و مـــع لعـــل اعكـــس وكـــن مختـــبرا
و في لـــــدني لـــــدني قـــــل وفي قـــدني وقطـــني الحـــذف أيـــضا قـــد يفي

والمستعار إن يك اسم الجنس   أي غـــــير مشتق بدون لبس
فسمها أصلية.............   ....

قال في التلخيص ولا تكون الاستعارة [علما] [أ]لمنافاته للجنسية إلا إذا تضمن نوع وصفية كحاتم انتهى[91].

فإذا كان المستعار اسم جنس وهو الاسم الكلي حقيقة أو حكما كحاتم فالاستعارة أصلية. ويعرف وجه أصالتها بمعرفة التبعية فإن أورد أن تفسيرنا اسم الجنس بغير المشتق يشمل العلم الشـــخصي أجبنـــا بأن الـــمراد اسم كـــلي[ب] غـــير مشـــتق بمعـــونة المقـــام فدخل ما اشتهر بصفة كسحبان[92] أيضا انظر المطول[93].

.... وإلا فتبـــعيـــةلـــمـــاتـــجلـــى
من كونها في الفعل جريها تبع   لمصدر كالقتل والضرب الوجيع[ت]

يعني وإن كان المستعار مشتقا كالفعل وما يشتق منه، فالاستعارة تبعية لأن جريانها في الفعل تابع لوقوعها في المصدر، ومثاله قولنا نطقت الحال بكذا، فدلالة الحال مشبهة ونطق الناطق مشبه به، ووجه الشبه إيضاح المعنى ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل أو الصفة وكذلك إذا شبه مفهوم ضرب بمفهوم قتل في شدة التأثير، فيستعار: "قتل" بتبعية استعارة القتل.

وفي الحروف جريها في العرف   بمتـــعلق معـــاني الـــحرف

أ- ساقطة من (ع).

ب- في (م) و(أ): كليا.

ت- في(م): الوجع.

91 - ص 306-307.

92- هـــو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام بدمشق أيام معاوية، وله شعر قليل(ت54 هـــ). (الأعلام، 123/3).

93 - انظر صص586-587.

قال في المفتاح[94] المراد بمتعلقات معاني الحروف [(أ)]ما يعبر به عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية وهذه ليست معاني الحروف وإلا لما كانت حروفا بل أسماء لأن الحرفية والاسمية باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها أي إذا أفادت هذه الحروف مـــعاني[(ب)] رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام[(ت)] هـــ، وقد ناقشه في ذلك غير واحد وللسيد الجرجاني[95] في ذلك رسالة معلومة[96] لتحقيق معنى الحرف وهي شهيرة، ومثال التبعية في الحرف قوله تعالى ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [97] فشبه ترتب[(ث)] العداوة والحزن على الالتقاط بترتب[(ج)] العلة الغائية عليه ثم استعمل في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به أعني ترتب[(ح)] علة الالتقاط الغائية عليه فجرت الاستعارة أولا في العلية [(خ)]والغرضية وتبعتها اللام كما مر في "نطقت الحال" فصار حكم اللام حكم الأسد حيث استعير لما يشبه العلية وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية كالمجرور[(د)] وقس على ذلك كقولنا "زيد في نعمة" فشبه ما بين زيد والنعمة من التلبس المخصوص بالظرفية فوقع التشبيه أولا في الظرفية ثم سرى إلى الظرفية المخصوصة التي هي معنى "في" فاستعمل اللفظ الموضوع للمشبه به الضمني وهو الظرفية المخصوصة في المشبه أعني تلبسه بزيد فالتلبس مستعار له والظرفية مستعار منه ولفظ "في"مستعار. **تكمـــيل:** قسموا الاستعارة

أ- في (م): الحرف.

ب- في (أ): إذا كان لهذه الحروف معان.

ت- في (ع): التزام.

ث-في (ع): ترتيب.

ج-في (ع): بترتيب.

ح-في (ع): ترتيب.

خ-في (م): العلة.

د- في (م) و(أ): لا المجرور.

---

94 - ص 489.

95 - هـــو علي بن محمد بن علي الجرجاني (740-816هـــ)المعروف بالسيد. (معجم المؤلفين، رضا كحالة، 216/7).

96 - هـــي الرسالة الحرفية في معاني الحرف ذكرها بروكلمان تاريخ الأدب العربي، القسم السابع، الهيـــئة المـــصرية العامـــة للكتاب 1995، ص 323. ونسخها في بريل أول 240 ثان 448، ميونيخ 308، المكتب الهندي 586، القاهرة أول 07 قسم 590...

97 -سورة القصص، الآية: 8.

إلى أصلية وتبعية كما ذكرنا وهل المجاز المرسل ينقسم إلى أصلي وتبعي أم لا، مقتضى المفتاح[98] والمطول تقسيمه لهما أيضا فراجعهما[99].

وصاحب المفتاح ردها إلى مكنـــية لكـــنه ما قـــبلا

يعني أن السكاكي اختار رد الاستعارة التبعية إلى الاستعارة المكنى عنها [فجعل قرينة التبعية مكنيا عنها وجعل الاستعارة التبعية قرينتها أي المكنى عنها][أ]فقولنا نطقت الحال بكذا جعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم وجعل نسبة النطق إليها قرينة [الاستعارة][ب]وقوله تعالى ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[100]جعل العداوة والحزن استعارة بالكناية عن العلة الغائية للالتقاط وجعل نسبة لام التعليل إليه قرينة، وعلى هذا القياس في سائر الأمثلة، وبالجملة ما جعله القوم قرينة الاستعارة التبعية جعله هو استعارة بالكناية[وما جعلوه استعارة تبعية جعله هو قرينة الاستعارة بالكناية][ت] وإنما اختار ذلك ليكون أقرب الضبط لما فيه من تقليل الأقسام وأعترض عليه بأنه إن قدر التبعية حقيقة لم تكن تخييلية لأنها مجاز عنده فلم تكن المكنى عنها مستلزمة للتخييلية، وذلك باطل بالاتفاق وإلا فتكون[ث] استعارة فلم يكن ما ذهب إليه مغنيا عما ذكره غيره من تقسيم الاستعارة التبعية[ج] وغيرها لأنه اضطر آخرا إلى القول بالتبعية حيث جعل"نطقت" استعارة، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية، فلم تظهر لمذهبه فيها فائدة، هكذا أقر الاعتراض عليه غير واحد. قلت لك أن تجيب بأنهم فهموا عنه انه يردها للاستعارة بالكناية على مذهبه وإلا ظهر انه إنما ردها على مذهب القوم فيها فكأنه إلزام منه للقوم بأنهم لو قبلوا الاعتبار في التبعية لصارت استعارة بالكناية واستغنوا عن اعتبارها[ح] لأنهم يجعلون التخييلية إثبات لازم المشبه به للمشبه مع استعماله في حقيقته، فقولنا "نطقت الحال" شبه الحال بإنسان تشبيها

أ–ساقط من (ع).
ب–ساقط من: (ع).
ت– ساقط من (ع).
ث– في (م): فلا تكون.
ج– في (م): للتبعية وفي (أ): إلى التبعية.
ح–في(ع) و(أ): في (م): باعتبارها.

98 – ص 525.

99 – انظر المفتاح ص 489 وما بعدها والمطول، ص 598 وما بعدها.

100– سورة القصص الآية 8.

مضمرا في النفس استعارة بالكناية وحذف المشبه به وأثبت المشبه فقط وذكر النطق من لوازم المشبه به باقيا على حقيقته وأثبته للمشبه استعارة تخييلية، والحاصل أن السكاكي[101] يقول لهم لو رددتموها يعني التبعية للكناية على مذهبكم لكان اقرب للضبط فمن اعترض عليه فهم عنه انه يردها لها على مذهبه، لا يقال في كلامه في المفتاح ما يدل على انه ردها على مذهبه لأنا نقول وفيه ما يستفاد منه ما ذكرنا وهو أولى. **تنبيه**: اعترض بعضهم على السكاكي أيضا بأنه خالف إجماع القوم ورام بذلك توهين مذهبهم[أ] قال في المطول: وليس فيه حجة لأنه أي السكاكي بصدد الخلاف مع القوم فلا يكون ذلك دليلا على إبطال كلامه هـ. قلت ذكر الدماميني[102] في أول حاشية المغني[103] أن إجماع النحاة في الأمور اللغوية حجة لا يجوز خرقه فيقال مثل ذلك هنا، وقال جمال الدين التساسي[104][ب] في شرح الإيضاح[105] فتبديل الاصطلاح الثابت من غير حاجة وبدون فائدة مما لا يعتد به.

وذات تحقيق أن المعنى تجد محققا حسا وعقلا فاعتقد

يعني أن الاستعارة تنقسم إلى تحقيقية وإلى تخييلية ونعني بالتحقيقية ما كان معناها محققا معلوما يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، [فالأول][ت]

أ- في (ع) و(م): مذهبه وهو خطأ بين. ب-في (أ) الشامي، وهو ساقط من (م).
ت- في (ع): فالأولى.

---

101 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي، أبو يعقوب سراج الدين، عالم بالعربية والآداب، مولده ووفاته بخوارزم من كتبه: مفتاح العلوم. ورسالة في علم المناظرة. (الأعلام، 294/9). وانظر المفتاح ص 487.

102 محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن أحمد المخزومي القرشي بدر الدين المعروف بابن الدماميني (763-827هـ)، عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد في الاسكندرية... من كتبه: تحفة الغريب شرح لمغني اللبيب، ونزول الغيث(الأعلام، 282/6-283).

103 - لم أقف عليه.

104 - ترجمته. ولعله جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي المتوفى قبل ثمانمئة هـ، وله شرح للإيضاح في المعاني والبيان للخطيب القزويني سماه إيضاح الإيضاح (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، 210/1).

105 - لم أقف عليه.

كقوله تعالى ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ [106] والثاني كقوله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا ﴾ [107] أي بيانا واضحا وحجة لامعة، وسيأتي الكلام على التخييلية.

وهل مجاز لـــــغة أو عــقلا قولان والأول صــحح نقلا

قال في[أ] المطول: اختلفوا في أن الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي، فذهب الجمهور للأول لأنها موضوعة للمشبه بدلا للمشبه به ولا لأعم منهما، فأسد في "رأيت أسدا يرمي" موضوع للسبع لا للشجاع ولا لمعنى أعم كالحيوان المجترى ليكون إطلاقه عليهما حقيقة وقيل بالثاني فالتصرف فيهما بأمر عقلي لا لغوي لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فتكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرد استعارة لأنه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن يكون مجازا عقليا انتهـــى منه باختصار ما، وإلى ترجيح الأول نحا غير واحد من المتأخرين، وكان بعض أشياخي عند قراءة هذا المحل من التلخيص[108] يصدر الخلاف بقوله زوج المجاز بالتشبيه فتولدت بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة[109].

وليس يخفى عن ذوي الأذهان تقســـيمها بحسب الأركان

أركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو اللفظ[ب] ومستعار منه وهو المشبه به[ت] ومستعار له وهو المعنى[ث] وأقسامها كثيرة فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة

أ- ساقطة من (ع).

ب-في النسخ المعتمدة: اللفظ المشبه به، والتصويب من الإتقان للسيوطي المنقول منه (انظر ج2 ص44).

ت-في (م): ومـــستعار منه وهو اللفظ المشبه. وفي الإتقان للسيوطي: ص 44، ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه، والصواب ما أثبتناه.

ث- كذا في النسخ المعتمدة، وفي الإتقان(ج2ص44): ومستعار له وهو المعنى الجامع، والمعروف أن المستعار له هو المشبه أما المعنى الجامع فهو وجه الشبه.

---

106 - سورة النحل، الآية: 112.

107 - سورةالنساء، الآية 174.

108 - ص 304.

109 - عنوان فصل في الإتقان، 43/2. طبعة 1368 هـــ.

أقسام **أحدها** استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [110] **الثاني** كذلك مع وجه عقلي نحو ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [111] قال ابن أبي الأصبع[112] وهذا القسم[(أ)] ألطف من الأول[113] **الثالث** استعارة معقول لمعقول بوجه كذلك نحو ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [114] ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ [115] قال ابن أبي الأصبع وهو ألطف الاستعارات[116(ب)]، **الرابع** استعارة محسوس لمعقول[(ت)] بوجه عقلي نحو ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ [117]، **الخامس** استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي نحو ﴿ لَمَّا طَغَا ﴾ [118] وتنقسم الاستعارة أيضا باعتبار آخر إلى ما يمكن اجتماع طرفيها نحو ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [119] وتسمى وفاقية أو لا يمكن كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه وتسمى عنادية ومن العنادية التهكمية والتلميحية نحو ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [120] و ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [121] وتنقسم

أ- في (ع): وهــذا القــسم الأول وهو خطأ والصحيح إسقاط لفظة "الأول" لأن المعنى يستقيم آنئذ.

ب- في (م): الاستعارة.   ت- في(م): لعقل.

110- سورة مريم، الآية: 4.

111- سورة يس، الآية 37.

112 - عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع العدواني البغدادي ثم المصري (585-654هـ)، شاعر من العلماء بالأدب مولده ووفاته بمصر، له تصانيف حسنة منها: "بديع القرآن" في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و"تحرير التحبير" و"الجواهر السوانح في سرائر القرائح". (الأعلام، 156/4).

113 في بديع القرآن لابن أبي أصبع " وهي ألطف من المركبة"، ص 21.

114 - سورة يس، الآية: 52.

115 - سورة الأعراف، الآية: 154.

116 - في المصدر نفسه، العبارة نفسها، ص 21.

117 - سورة البقرة، الآية: 214.

118 - سورة الحاقة، الآية: 11.

119 - سورة الأنعام، الآية: 122.

120 - سورة آل عمران، الآية: 21، وسورة التوبة، الآية: 34، وسورة الانشقاق، الآية: 24.

121 - سورة الدخان، الآية: 49.

أيضا بحسب الجامع إلى ما يكون داخلا في مفهوم الطرفين نحو {كلما سمع هيعة طار إليها أولا}[122] كما مر، وأيضا إما أن يكون الجامع ظاهرا فتكون مبتذلة كما مر، أو خفيا لا يطلع عليه إلا الخواص فتسمى خاصية وهي الغريبة والغرابة إما في نفس الشبه كقوله: **وإذا احتبى قرَبوسَه بلجـــامه**[123] أو يتصرف في العامية كقوله: وسَالت بأعنَاق المطي الأبـــاطحُ[124] وبالجملة فتتبع تلك التقاسيم[125] مما يستدعي طولا ويكون الإسهاب به هنا فضولا.

فائدة أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز لأنه أخو الكذب والقرآن منزه عنه، ولإيهامه العجز بضيق الحقيقة ومنع القاضي عبد الوهاب[126] إطلاق الاستعارة في القرآن لعدم ورودها ولإيهامها للحاجة، والصحيح جواز ذلك، والاستعارة تفارق الكذب بالبناء على التأويل ونصب القرينة على إيراد خلاف الظاهر[127].

وما انتفى التفريع منها والصفة مطلـــــقة في عرف أهل المعرفة

يعني أن الاستعارة إذا لم تقترن بما يلائم أحدا من الطرفين تسمى مطلقة،

---

122 - حديث نبوي شريف رواه أبو هريرة وقد أورده الإمام مسلم في صحيحه في باب الإمارة، ج 6، نظـــارة المعاريـــف الجليلة دار الطباعة العامرة 1331هـــ. (6/39-40) وابن ماجة في ســـننه في بـــاب الفتن، الجزء الثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 1952م، دار إحياء الكتب العلمـــية، (2/1316)، والإمام أحمد في مسنده في مسند أبي هريرة، (17/151)، مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر 1948 م.

123 - تـــتمة البـــيت: علك الشكيم إلى انصراف الزائر، وهو ليزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مـــروان، من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه في قـــربوس ســـرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه. والقربوس - بفتح الراء، ولا تسكن إلا في ضـــرورة الـــشعر- وهو حِـــنو السرج، والعنان سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس. (انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2/ 132-133).

124 - قائله كثير عزة، وصدره: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا. وقبله:

لما قضينا من منى كل حاجـــــة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

125 - كل هذه التقسيمات وردت في التلخيص، ص 309-312، بتصرف.

انظـــر معاهد التنصيص، 2/134. وانظر تعليقا مستفيضا حول الأبيات في حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام لعبد القادر بن عمر البغدادي، 1/603-606. ، تحقيق: نظيف محرم خواجة، دار النشر فرانزشتاينر بفيسبادن، 1980.

126 - مرت ترجمته، انظر ص: 146.

127 - التلخيص ص 306 بتصرف.

وهي ما لم تقترن بصفة ولا بتفريع أي تفريع كلام مما يلائم أحد الطرفين والمراد بالصفة: المعنوية لا المعنى النحوي ومثالها انتشبت أظفار المنية بفلان، كذا مثلها السيد[128] ورد بأن "انتشبت" ترشيح فالأولى أن يقال: أهلكت، وأجيب بأنه من تتمة القرينة. تنبـــيه: جعل السكاكي في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ [129] الخطاب ترشيحا مع أنه ليس بصفة ولا تفريع، فالحصر فيهما غالبي قاله بعض أرباب الحواشي وفيه نظر.

وما يلائم الذي استـــعير له يعرف بالتجريد عند النقلة

يعني أن الاستعارة إذا اقترنت بما يلائم المستعار له فمجردة لتجريدها عن بعض مبالغة في الاستعارة لأنه صار بذكر ملائم المشبه أبعد من دعوى الاتحاد الذي في الاستعارة، ومنه تنشأ المبالغة نحو: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾[130] استعير اللباس للجوع ثم قرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة ولو أراد الترشيح لقال: فكساها، لكن التجريد هنا أبلغ لما في لفظ الإذاقة من المبالغة في الألم باطنا، انظر المطول وحواشيه[131].

وحـــد ترشيـــح بحث عنه مـــلائم للمستعـــار منه

الترشيح ذكر ما يلائم المستعار منه نحو ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [132] وقد يجتمع(أ) التجريد والترشيح في الاستعارة كقوله[133]:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف   له لبـــد أظـــفاره لم تـــقـــلم

فقوله: "شاكي السلاح" تجريد وما بقي ترشيح، فإن قلت أين قرينة الاستعارة في البيت قلت كأنها حالية أشار لها(ب) الفناري وغيره، فان قلت في قوله: " أظفاره لم

أ- في (ع): يجمع.   ب- في (أ): أشار به.

128- تقدمت ترجمته ص 165.

129 - سورة هود، الآية: 44.

130 - سورة النحل، الآية: 112.

131 - حاشية المطول ص 540.

132 - سورة البقرة الآية: 16.

133 - البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط1، 1970.

تقلم" شائبة تجريد لأن الإنسان هو الذي من شأنه ذلك، قلت توهم شائبة التجريد فيه باعتبار أهل اللغة لا باعتبار ما هو متعارف، لكنه كناية عن الضعف، ففي شروح الكشاف[134] يقال فلان مقلوم الأظافر أي ضعيف.

واعــتبر المــلائم المذكــورا   بــعد استعارة تكن مشكورا

فليس تجريدا على ما وضحــه   كلامهـــم قرينـــة مصرحة

نحو رأيــت أسدا يرمـــي ولا   قرينة المــكنى ترشيحا جلا

قال السمرقندي [135]في الفرائد[136] فاعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد تمـــام الاستعارة فلا تعد قرينة المصرحة تجريدا نحو: "رأيت أسدا يرمي" ولا قرينة المكنية ترشيحا اهـــ بلفظه وكلامه، هذا هو الذي عقدته في الأبيات الثلاثة وما ذكره في قرينة المصرحة صحيح على مذهب الجمهور لا على رأي السكاكي[137]، تأمل.

والأبلغ الترشيح عند الاختيار   ولفظـــه حـــقيقة أو مستعار

الترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد ومن جمع الترشيح والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه والظاهر أن جمع الترشيح والتجريد(أ) في قرينه الإطلاق لتساقطهما وتعارضهما وإسناد الأبلغية له مجاز مرسل وقوله ولفظه حقيقة الخ، أشار به إلى أن الترشيح يجوز أن يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها، ويجوز أن يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له، ويحتمل الوجهين قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [138] استعير الحبل للعهد وذكر الاعتصام ترشيحا إما باقيا على معناه أو مستعارا للوثوق بالعهد.

أ- في (أ): التجريد والترشيح

134- لم أقف عليها.

135- الـــسمرقندي أبـــو القاســـم بن أبي بكر الليثي، ألف سنة 888 هـــ فرائد الفوائد (الفوائد) لتحقـــيق معـــاني الاســـتعارة، ويعرف عادة باسم الرسالة السمرقندية، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان. القسم 170/7.

136 - للسمرقندي آنف الذكر.

137 - المفتاح ص 494.

138 - سورة آل عمران، الآية: 103.

السمط[أ] الثالث في الاستعارة بالكناية والتخييلية

إنما أفرد لها ترجمة تخصها لتشعب الآراء في تفسيرها كما ستراه.

إن قصد التشبيه للمنتبه ... مع حذف الأركان سوى المشبه
وجعل ما يخص ما شبه به ... يومي إلى التشبيه كي لا يشتبه
فذلك استعارة مكنية ... كقوله[ب] أنشبت المنيه

قال في التلخيص[139]: قد يضمر التشبيه في النفس ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر يختص بالمشبه به فيسمى التشبيه المضمر استعارة بالكناية أو مكنيا عنها واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية كما في قول أبي ذؤيب الهذلي[140]: [الكامل]

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

فشبه المنية في اغتيال النفوس من غير تفريق بين نفّاع وضرّار فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل ذلك فيه أي في السبع بدونها فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الأظافر للمنية استعارة تخييلية اهـ منه ممزوجا بعضه بكلام المطول[ت].

ولفظ ما أثبت للمشبه ... وكان خاصا بالمشبه به
لفظ حقيقي لدى الإثبات ... وإنما المجاز في الإثبات
وانسب إلى التخييل ذا المجازا ... ففك هاتين إذا ما جازا

هذا من تتمة مذهب الجمهور في بيان الاستعارة التخييلية وأن الأمر الذي أثبت للمشبه من خواص المشبه به كالأظفار مستعمل في معناه الحقيقي وكذا المنية

أ- في (ع): النمط.

ب - في (ع): كقولنا.

ت - في(ع): الموطول وهو خطأ بيّن.

---

139 ص 324-327، ورد فيها: "قد يضمر التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، فيسمى التشبيه استعارة للكناية، أو مكنيا عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية... "

140- ترجمته في الأغاني، 58/6. والشعر والشعراء لابن قتيبة وانظر المفضليات ص422.

مستعملة في الموضوع له فليس في الكلام مجاز لغوي وإنما المجاز هو إثبات شيء لشيء وليس هو له، وهذا عقلي كإثبات الإنبات للربيع والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية أمران معنويان[أ] وهما فعلان للمتكلم ويتلازمان في الكلام لا يتحقق أحدهما بدون[ب] الآخر لأن التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة وهي يجب أن تكون قرينتها التخييلية البتة وهي معنى قولنا: " ففك هاتين" الخ..

ومذهب السكاكي ليس يخفى إن سيوف الفهم فيه تحفى

فسر السكاكي التخييلية بما يخالف ما ذكرناه أولا فقال: هي ما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية محضة كلفظ الأظفار في قول الهذلي، فإنه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصورها[ت] بصورة[ث] السبع واخترع[ج] لوازمه لها فاخترع لها صورة مثل صورة الأظفار المحققة ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فتكون الاستعارة تصريحية لأنه قد أطلق لفظ[ح] المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة والقرينة إضافتها للمنية والتخييلية عنده لا يجب أن تكون تابعة للمكنية وفسر المكنى عنها بأن يكون المكنى المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه ويراد به المشبه به، فالمراد بالمنية هنا السبع بادعاء السبعية لها بقرينة إضافة الأظفار إليها واعتُرض بأن لفظ [خ] المشبه على ما قال لم يستعمل إلا في معناه فلا يكون استعارة[141]، قال صاحب الأطول[142] وهذا اعتراض صحيح متجه وبأنه يلزم أن يكون الترشيح تخييلية للزوم مثل ما ذكر في التخييلية فيه، وللناس في هذا المقام أجوبة وإيرادات يطول بنا تتبعها ولصعوبتها قال إن سيوف الفهم فيه تحفى أي تكل عن تحقيق ما هنالك.

أ- في (أ): مقرونان. ب- في(أ): دون.

ت- في(م): تصويرها. ث- في(أ): بتصور.

ج- في(أ): واختراع.

ح- في (م): اسم.

خ- في(ع): باللفظ.

141- التلخيص ص 331-333 بتصرف.

142- هو سعد الدين التفتازاني، والأطول شرح لتلخيص المفتاح للقزويني، 162/2.

تنــــبــــيه: اختـــار العصامي[143] في شرح الفرائد[144] أن الاستعارة بالكناية مـــن فـــروع التشبيه المقلوب وأطال في تقريره بما زعـــم أنه التحقيق فراجعه، قلت والسكاكي المذكور هو أبو يعقوب يوسف صاحب المفتاح وذكر السعد أنه كان أصم لا يسمع الرعد وأنه نقل عنه ابن الحاجب[145] قال شيخنا الإمام الصدر أبو عـــبد الله المـــسناوي[146] لم أقف على التعريف به على أكثر من هذا، وتذكرت هنا أبياتا كتبتها لشـــــيخنا المذكور وقد كنا راودناه على قراءة التلخيص[147] فاستصعب ولما وقف على الأبيات بادر مسعفا وهي:

[الطويل]

أســـيــــدنا من ماله في زمانـــنا ... مثيل وهل للشمس من جنسها[أ] مثل

ومـــــن أصبحت كل الأنام لعلمه ... عطاشا متى ما حل أرجاءهـــم محل

لعـــمرك ما التلخيص إلا كغادة ... وأنـــت له كفؤ إذا التمس البـــــعل

فإنـــك في غاب البيان كضيغهم ... بـــها شـــبله مع فضـــله لكم فضل

أ- في (ع) حسنها.

143 - عصام الدين إبراهيم بن محمد عربشاه الإسفراييني، (ت 942هـــ) بروكلمان 170/7.

144 - لم أطلع عليه.

145 - عثـــمان بن عـــمر بن أبي بـــكر بن يونس، أبو عمرو جمال الديـــن ابن الحاجب فقيـــه مالـــكي من كبار العلماء بالعربـــية (570-646هـــ)، كردي الأصل ولد في أسنا من صعيد مـــصر ونشأ في القاهرة وسكن دمشق ومات بالاسكندرية وكان أبوه حاجبا فعرف به. من تصانيفه: الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الفقه، والإيضاح في شرح المفصل للزمخشري... (الأعلام، 374/4).

146 - أبو عبد الله المسناوي: هو محمد بن أحمد الدلائي الفقيه المالكي، كان يفتي ويدرس بفاس (ت 1136 هـــ)، صنف جهد المقل القاصد في نصرة الشيخ سيدي عبد القادر، صرف الهمة إلى شـــرح الذمة، كتاب الإستبانة في إمامة الصلاة، كتاب الرد على من زعم عدم مشروعية القـــبض في الـــصلاة في الـــنفل والفرض،... (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل البغدادي، دار الكتب العلمية 1992م، 317/6).

147 -المقـــصود تلخـــيص المفتاح في المعاني والبيان للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق (ت739هـــ). (انظر كشف الظنون323/2).

عضـــلتَ بنات الفكر منا تـــمنعا وفي علمكم لا ينبغي للأب العضل[148]
فبـــادر ولا تمطل فإنك سيـــدي غـــني وشرعا لايليق بك[(أ)] المطل[149]
ولا تعـــتذر[(ب)] بالشغل عنا فإنـــما تناط بك الآمال ما بقي[(ت)] الشـــغل
وأنـــــهي إلى عليـــاك أزكى تحية يلوح على الأرجاء من عَرفها الفضل

....

وذات تحقيق وتـــخييل ترى قرينـــة المكـــنى فيـــما أثرا
وكم حلاوة تنسي الـــشهدا لقول[(ث)] رب ينقضون عهدا

القرينة مجرد التعبير عن ملائم المشبه بما وضع لملائم المشبه به، قال الزمخشري [150]في قوله تعالى ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ [151]، شاع استعمال النقض في إبطال العهد حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين، قال السعد: قد استفدنا منه أن قرينة الاستعارة لا يجب أن تكون استعارة تخييلية بل قد تكون تحقيقية كاستعارة النقض لإبطال العهد.

وسم بالترشـــيح ما زاد على قرينـــة المكـــني مثل ما خلا

يعني أن ما زاد على قرينة المكنية من الملائمات يسمى ترشيحا، كما أن ما زاد على قرينة المصرحة من الملائمات يسمى ترشيحا لأن الترشيح موضوع لمفهوم

أ –في (م) و(ع): لك. ب– في(ع): ما اتصل. ت– ف(أ): كقول.

148– يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة الآية 232: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ . وقوله عز وجل في سورة النساء الآية 19: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ .

149 – يـــشير إلى قول النبي ﷺ(مطل الغني ظلم). ورد في صحيح البخاري رقم الحديث 2125، ورقم 2126، ورقم 2225، وفي صحيح مسلم برقم 2924، وفي سنن الترمذي برقم 1229، وفي غيرها من مصادر الحديث.

150– تقدمت ترجمته. الكشاف 90/1. ورد فيه فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهـــد؟ قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين.

151 – سورة البقرة، الآية: 27.

أعم وهو ما يلائم(أ) المستعار منه فإن قلت لم أقتصر على المكنية، والأولى أن يقول ما زاد على قرينة التخييلية، قلت الداخل في قرينة التخييلية لا يزيد على قرينة المكنية واعلم أن التجريد كالترشيح في ذلك.

تنبيه: زعم العصامي أن الترشيح يكون في المجاز المرسل والتشبيه أيضا ولم أره لغيره.

والفرق بين ما يرى ترشيحا وما يرى قرينة تصريحا

قوة الاختصاص والتجريد في سلك ذا جوهره فريد

قال صاحب الفرائد(ب) [152] والفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلا أو استعارة تحقيقية أو إثباته تخييلا وبين ما يجعل زائدا عليهما وترشيحا قوة الاختصاص بالمشبه به فأيهما أقوى تخصيصا(ت) وتعلقا به فهو وما سواها ترشيح، قال شارحها العصامي ويفرق بمثل ذلك بين القرينة والتجريد فأيهما أشد اختصاصا بالمشبه به كان قرينة وما سواه تجريد ولك أن تجعل الجميع(ث) قرينة في مقام شدة الاهتمام انتهى. والتنبيه على هذا من زوائدنا على التلخيص **لاحقة** عقدها للكلام على الكناية وإنما أخرها لأن الاستعارة أبلغ منها كما اختاره في عروس الأفراح [153] لأنها كالجامعة بين استعارة وكناية ولأنها مجاز قطعا وفي الكناية خلاف وأبلغ أنواع الاستعارات(ج) التمثيلية كما يؤخذ من كلام الكشاف [154] وتليها المكنية صرح به الطيبي(ح) [155] لاشتمالها على المجاز العقلي [156].

أ- في (ع) ملائم. ب- في(أ) و(م): الفوائد. ت- في (م): اختصاصا.

ث- في (ع): الجمع. ج- في (م) و(ع): الاستعارة. ح- في (ع): الطيب.

152- السمرقندي، تقدمت ترجمته.

153 - تتمة العنوان عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي(719-763هـ). انظره في شروح التلخيص ص 276.

154- مؤلف في تفسير القرآن لجار الله الزمخشري 467-538هـ)، وتتمة العنوان " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".

155 - الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي من علماء الحديث والتفسير والبيان(...-743هـ)، من كتبه " التبيان في المعاني والبيان " والخلاصة في معرفة الحديث، وشرح الكشاف. (الأعلام2/280).

156- عروس الأفراح ص 281.

حد الـــكناية لمن لها مريـــد | لفـــظ به لازم مـــعناه أريد
مع جـــواز أن يـــراد معـــه | فـــيخرج المجاز فافـــهم دفعه

الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه كلفظ "طويل النجاد" المراد به لازم معناه أعني طويل القامة[أ] مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا، فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى الحقيقي للفظ مع جواز إرادة لازمه بخلاف المجاز فإنه لا يصح فيه إيراد المعنى الحقيقي، مثلا لا يجوز في قولنا رأيت أسدا في الحمام أن يراد بالأسد الحيوان المفترس لأنه لا يلزم أن يكون في المجاز قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فلو انتفى هذا انتفى المجاز لانتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، فإن قيل ظاهر الحد أن المراد من الكناية لازم المعنى وهو خلاف ما صرح به في المفتاح[157] بأن المراد فيها المعنى ولازمه جميعا وهو الذي يفهم من المطول في مبحث المسند إليه[ب] بالعلمية، قلنا ذكر في شرح المفتاح[158] أن لهم في تقرير الكناية طريقين: أحدهما استعمال اللفظ في غير الموضوع له مع جواز إرادته، وثانيها استعمال اللفظ في الموضوع له لا ليكون مقصودا بل لينتقل منه إلى غير الموضوع له اللازم المقصود، فهما مذهبان وبنى بعضهم عليهما ما سيأتي من كونها مجازا أو حقيقة وفيه عندي نظر لأنه لو قلنا بالثاني فلا يظهر جعلها حقيقة لأن مجموع المعنى ولازمه ليس معنى وضعيا إذ المركب من الوضعي وغير الوضعي غير وضعي، فإن قلت إذا أريد بالكلمة معناها وغير معناها لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز قلت الممنوع إرادتهما بالذات، وفي الكناية إرادة المعنى الحقيقي لينتقل منه للمجاز فتأمل وراجع التلخيص[159] وتعاليقه.

وهل حقيقة خلاف يروى | وغير ذا منها قليل الجدوى

أ- في (أ): إقامة، وهو خطأ بين.

ب- في (م) و(أ): المسند.

157 - ص 512.

158 - شرح المفتاح لسعد الدين التفتازاني.

159 - ص 337-338.

قال السيوطي[160] في الإتقان[161] في الكناية أربعة مذاهب: أحدها: أنها حقيقة قال ابن عبد السلام[162] وهو الظاهر لأنها استعملت فيما وضعت له وإن أريد بها الدلالة على غيره، الثاني: أنها مجاز، الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنعته في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجاز وتجويزه ذلك فيها، الرابع: وهو اختيار التقي السبكي[163] أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز فإن استعمل اللفظ في معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وإن لم يرد المعنى بأن عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له انتهى منه. **نكتة** انظر يظهر أنه بقي أن يقال بقول خامس وهو أنها حقيقة باعتبار المعنى الموضوع له الحقيقي مجاز باعتبار إرادة لازمة كما لوحنا له قبل، فتأمل ذلك فإنه خطر لي ولم أسمعه ولا رأيته والله أعلم وقولي **وغير ذا منها** الخ كتقسيمها إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وتقسيمها إلى ما يكون المطلوب بها صفة وما يطلب بها نسبة وتتبع ذلك يستدعي طولا والغرض تركه والاختصار بالمختصر أولى والجدوى الفائدة.

وههنا نظم القصيدة كمل	**بالغت في اختصارها كي لا تمل**
سميتها ياقوتة البيان	**لأنها ذخيرة الأعيان**
وقد رمت حسادها بالفلق	**أعيذها منهم برب الفلق**
والحمد لله وأطيب الصلاة	**على الذي بحبه تأتي الصلات**
ما قطعت أزاهير البراعة	**أفكار فرسان ذوي البراعة**

لا شك أن هذه الأرجوزة منظومة إن شاء الله في سلك العلم والإفادة ولو لم

160– عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضري السيوطي (849–911هـ) جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو 600 مصنف، من كتبه الإتقان في علوم القرآن، وإتمام الدراية لقراء النقاية وعقود الجمان في المعاني والبيان (أرجوزة) (الأعلام، 71/4–72).

161 – نقل الإفراني هذا الكلام من الإتقان في علوم القرآن 111/2– 112 مع تغيير يسير. 47/2.

162 – أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين الملقب*بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، (577–660هـ) من كتبه "التفسير الكبير" و"قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" و"الإشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز" وغير ذلك. (الأعلام، 124/4).

163 – أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد بهاء الدين السبكي(719–763هـ)، له عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ولي قضاء الشام ومات مجاورا بمكة. (الأعلام 171/1).

يكن فيها إلا ما اشتملت عليه من لطائف المسائل بعبارة وجيزة لكان ذلك كافيا في توفر الرغبات على قراءتها وإقرائها وقد كان شيخنا العلامة الشهير أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري[164] رحمه الله يقول: إن الكتاب إذا اشتمل على ثلاث فوائد اندرج في الكتب العلمية ولم يكن مؤلفه مسودا للكاغد بغير بُغية[أ] وكان من الأعمال التي لا تنقطع بالموت، فإن قلت هل في تسمية هذه المنظومة بالياقوتة تزكية فيكون ذلك من معنى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾[165] وقد بدل عليه السلام أسماء تؤذن بالتزكية كبرة[166] فينطبق ذلك على تسمية الكتاب، قلت أشار شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن[167] في شرح الفريدة للسيوطي[168] إلى أن مقصود المؤلفين بأمثال هذه التسامي والثناء على مصنفاتهم إنما هو لتنشيط الطالبين وتهييج الراغبين والأعمال بالنيات، والفلق الحيرة في الأمور، وأعيذها أحصنها، والفلق الصبح عند انصداعه، والصلات الثانية بكسر الصاد المنح، والبراعة البلاغة، واليراعة القلم، قال مؤلفه غالب أبيات القصيدة صدرت مني ارتجالا وأكثر تراكيبها لبت نداء القلم عجالا، وقد ألفتها في إبان الحداثة مع شواغل لا يميز من ابتلى ببعضها الاثنين من الثلاثة. أسأله سبحانه أن يجعلها سعيا مشكورا وعملا أكون به في الملإ الأعلى مذكورا ووافق الفراغ من الشرح والمشروح أوائل سنة إحدى وثلاثين ومائة ألف، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أ- في (أ): فائدة.

164 - التادلي الأصل المكناسي الوفاة الفقيه العلامة المشارك المحقق الفهامة المعفول... كان رحمه الله آيـــة في النحو والبيان توفي بمكناسة ودفن بها عام 1131هـــ. (الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، 149/10وانظر ترجمته في نشر المثاني، 238/3).

165 - سورة النجم، الآية: 32.

166 - انظـــر الحديث في الأدب المفرد للبخاري، 225/1، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3، 1989 دار البشائر الإسلامية، بيروت.

167 - محمد بن عبد الرحمن بن زكري (ت 1144هـــ)، أبو عبد الله، فقيه مالكي من أهل فاس له مـــصنفات مـــنها "حاشية على الجامع الصحيح البخاري خمسة أجزاء، والمهمات المفيدة في شـــرح النظم المسمى بالفريدة، جزءان. (الأعلام للزركلي 69/7) انظر ترجمته في نشر المثاني 338/3.

168 - الفـــريدة ألفية للسيوطي تم شرحها وسماه المطالع السعيدة في شرح الفريدة، ذكرها في فم اللغـــة: أولها: أقول بعد الحمد والسلام... رتبها على مقدمة وسبعة أبواب، وأول الشرح "أما بعد حمدا لله على نعمه المزيدة" كشف الظنون 1259/2.

أجمعين(أ).

ونحن أيضا نحمد الله تعالى على الانتهاء من نسخه بتوفيقه ومنِه مع سلامة البدن وتوابعه والصلاة والسلام على من خلقت من أجله المخلوقات وبسطت به النعم والكرامات محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه أولي الفضل الجسيم، وقد طلع بدر التمام بوفق رب الأنام ضحوة يوم الأحد الخامس والعشرين من رمضان عام 1306 على يد كاتبه لنفسه ولمن شاءه الحق بعده الضعيف أسير ذنبه الراجي عفو ربه محمد بن الطيب بن علي السجراتي[169] غفر الله له ولوالديه وأقاربه وأشياخه وأحبابه وجميع المسلمين آمين بجاه النبي وآله.

أ- في (م): وآلــه وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهذه النسخة عارية عن اســم الناسخ وتاريخ النسخ. وفي (أ) ختام المخطوطة هكذا: "كمل بحمد الله تعالى وحسن عــونه وتوفيقه الجميل موافقا فراغه بعيد عصر يوم الاثنين الخامس عشر يوما خلت من شهر الله ربــيع الأول عــام 1278هــ على يد كاتبه أفقر الورى الحسين أبي الليث الودريمي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبابه ولجميع النسم والحمد لله رب العالمين.

169- هــو أبو عبد الله محمد بن الطيب السجراتي (ت1369هــ). انظر ترجمته في المعسول، 11/ 239-240.

خاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى النتائج التالية:

- اهتمام المغاربة بالبلاغة عامة وبعلم البيان خاصة لم يقتصر على شرح مؤلفات الآخرين بل تعداه إلى التأليف فيه كما هو شأن الإفراني في أرجوزته، وهذا دليل على سعة ثقافتهم وقوة عارضتهم في هذا الفن وتمكنهم من ناصيته، والإفراني بهذا من القلائل الذين ألفوا مؤلفا في قضية بلاغية، مما يفند ما ذهب إليه ابن خلدون في حديثه عن المغاربة بقوله: " وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما"[1]. ويدحض كذلك بعض الأحكام التي لا تنبني على بحث وتمحيص علمي كما في حديث محمد الأخضر عن أبيات شعرية للإفراني بقوله: " وهي ليست ذات بال ومن بينها أرجوزته البلاغية"[2].
- إيلاء الإفراني المتلقي أهمية قصوى ولذا فقد حرص على تيسير الدرس البلاغي ووضعه رهن إشارة الطلاب بأوجز لفظ وأدق معنى بعيدا عن الإطالة والحشو والإيغال ومن ثم أكد على الإيجاز لضبط المعرفة البلاغية وتمكين المتلقي / المتعلم من امتلاكها والتزود بها باعتبارها إحدى مكونات ثقافة العالم أو المثقف ولأهميتها في فهم القرآن الكريم، ويصدر هنا عن هاجس تربوي إذ إن قيمة الأرجوزة تكمن في كونها نصا تعليميا، ووعي الإفراني بهذا الهدف أي الإفادة. وكان إيجازه إيجازا مع الإحاطة دون إغفال عنصر من العناصر كما رفض كثرة التقسيمات ولعله فطن إلى ما تؤدي إليه من تشتيت المعرفة وتعقيد تحصيلها وتنفير المتعلم من المواصلة.
- المضامين الواردة في الأرجوزة هي عينها المتداولة عند البلاغيين الآخرين ولم يختلف الإفراني معهم إلا في تطرقه لمفهوم التخييل، وطريقة عرض هذه المضامين التي سلك فيها الإيجاز والاختصار ما أمكنه ذلك، وفي تطعيم النص بنصوص أدبية أضفت عليه رونقا وبهاء.
- يصدر الإفراني في منهجه عن بناء هيكلي منطقي قوامه مقدمة وعرض وخاتمة

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 762.

(2) الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، ص 233.

وهـــو ما يسمح بتنظيم المعرفة في ذهن الطالب مع اختلاف مع منظومات أخرى في الشكل. ويركز في تقديم أرجوزته على مرتكزات أخذ بها من قبله من حد وتقسيم وإيجاز وهي كلها تصب في الهدف التعليمي.

- إن اعـــتماد الإفـــراني التراث البلاغي المشرقي في الغالب يعود إلى أن التراث البلاغـــي الذي ألفه المغاربة لم تكن تقع الإحالة عليه لما تعرض له ابن رشد مـــن محـــنة. ولما زعم أنه ليس بعربي، وإنما هو من عرق آخر، ووسم ابن عميرة الوسم نفسه، ووصل كتاب حازم مبتورا مليئا بالبياضات، ولا تعرف تـــرجمة ذات أهمـــية لصاحب المنزع، واشتهر ابن البنائي بالحساب والفلك أكثر"[1] ولهذا انتشرت الكتب البلاغية الآتية من المشرق ووقع الاهتمام بها.
- ســـيطر الهـــم التعليمـــي على أرجوزة الإفراني وجعل خطابه مفهوما مواتيا لمستوى المتعلمين ولم يجنح إلى مناقشات موغلة في التعقيد بل جاءت تلك المناقشات حسب ما يقتضيه المقام دون التواء أو غموض ورب قائل يقول أن هذا كفيل بتصنيف عمل الإفراني كله ضمن المدرسة الكلامية لكن المطلع علـــى الأرجوزة والشرح يلاحظ أن الإفراني لم يأخذ من أدواتها إلا ما يفيد. في مشروعه التعليمي بينما نجده استفاد من المدرسة الأدبية أيضا.
- الإفـــراني في عمله اتباعي أكثر منه ابتداعيا، وانحصر اجتهاده في استدراكاته على بعض العلماء ودعوته المتواصلة إلى إعمال النظر والتأمل وهذا بتأثير من مدرسة اليوسي.
- هذه الأرجوزة على وجازتها ودقتها لم تستدع من المؤلف عناء وجهدا مضنيا فهي من أوليات تآليفه وهو ما يدل على تمكنه من علوم البلاغة، مما يبوؤه مكانة علية بين البلاغيين، يقول: "غالب أبيات القصيدة صدرت منا ارتجالا وأكثر تراكيبها لبت نداء القلم عجالا وقد ألفتها في إبان الحداثة مع شواغل لا يميز من ابتلي ببعضها الإثنين من الثلاثة"[2].

(1) البلاغة والسلطة في المغرب عبد الجليل ناظم ص 10.

(2) الشرح ص: 171.

الفهارس

1. فهرس آيات القرآن الكريم

2. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

3. فهرس الأشعار

4. فهرس الأعلام

5. فهرس الكتب الواردة في النص المحقق

6. فهرس المصادر والمراجع

7. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب السور

سورة البقرة

﴿ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾(16) 171

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ (19) 159

﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾(27) .... 107، 176

﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾(214) 169

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(232) 176

آل عمران

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (21) 169

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾(172) 103

سورة النساء

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴾(19) .... 107، 176

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا ﴾(174) 168

سورة الأنعام

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾(122) 169

سورة الأعراف

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ (154) 169

التوبة

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (34) 169

سورة هود

﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾(44) 171

سورة يوسف

﴿ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾(39) 159

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (82) 162

سورة النحل

﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾(112) .... 168، 171

سورة مريم

﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (4) 169

سورة القصص

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾(8) 165

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾............ 121، 166

سورة يس

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (37) 169

﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ (52) 169

سورة الزمر

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾(19)............ 161

سورة الشورى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(11) 162

سورة الدخان

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾(49) 169

سورة النجم

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾(32)............ 107، 180

سورة الرحمان

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ (3 - 4)............ 145

سورة الفجر

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾(22) 162

سورة الحاقة

﴿ لَمَّا طَغَا ﴾(11) 169

الانشقاق

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (24)............ 169

فهرس الأحاديث

الحديث	المصدر	رقم الصفحة
{مطل الغني ظلم}	ورد في صحيح البخاري رقم الحديث 2125 و2126 و 2225. وفي صحيح مسلم رقم 2924، وفي سنن الترمذي رقم 1229 وغيرها.	107، 176
وبدل عليه السلام أسماء تؤذن بالتزكية كبرة	الحديث في الأدب المفرد للبخاري، 225/1.	83، 107، 180

فهرس الأشعار

أول البيت	آخره	البحر	الشاعر	• الصفحة
		الألف		
لم تلق.....	حيـــاء	الكامل	المتنبي	156
		الباء		
وصلوات......	الصحب	الرجز	الإفراني	84
يقول.....	النسب	الرجز	الإفراني	84
		التاء		
في جفان.....	راسيات		مجهول	36
والقصد....	كلت	الرجز	الإفراني	80، 84، 87
ولازورديـــة....	اليواقيت	البسيط	ابن الرومي	156
		الحاء		
كأنما....	أقاح	السريع	البحتري	155
وبدا الصـــــباح....	يمتدح	السريع	محمـــد بـــن وهـــيب الحميري	156
		الدال		
وآله....	مجتهدا	الرجز	الشوردي	84
حد....	أريد	الرجز	الإفراني	87
نعيذك.......	كالطود	البسيط	المتنبي	31
ثم صلاة...	محمد	الرجز	الشوردي	83
حد الكناية.....	أريد	الرجز	الإفراني	87، 123
مطول....	بالإيراد	الرجز	مجهول	100
نعيذك...	كالطود	الطويل	الزدوتي	35
وكم حلاوة.....	عهدا	الرجز	الإفراني	107
ونصر.....	عبدا	الرجز	الشوردي	83
يزين....	سالفة الخد	الطويل	الزدوتي	34
فيشـــمل....	لايبعد	الرجز	الإفراني	150
وذات....	فاعتقد	الرجز	الإفراني	163

البيت	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وكأن....	تصعد	بجـــزوء الكامل	الصنوبري	153
		الذال		
لكـــن علاقة....	فلتنبذا	الرجز	الإفراني	160
		الراء		
الحمد لله.....	من كفرا	الرجز	الشوردي	83
في منطق....	تعبير	البسيط	ابن الرزمي	118
هذا....	الفاتر	الكامل	الإفراني	72
قصدت....	الاختصار	الوافر	ابن البناء	93
يهنئ....	البكر	الطويل	السكتاني	34
وقد قام....	المـــستحي البر	الطويل	السكتاني	34
واعـــتبر.....	مشكورا	الرجز	الإفراني	172
وقد لاح......	نـــورا	الطويل	أبـــو قيس بن الأسلت أوقيس بن الخطيم.	154
ويطـــلق.....	زهره	الرجز	الإفراني	161
		الضاد		
إلى كم.....	مغض	الوافر	الإفراني	71
مطول.......	الأمراض	الرجز	مجهول	100
		الطاء		
واللفظ....	فقط	الرجز	الإفراني	87
لفظ المجاز....	لا واسطة	الرجز	الإفراني	157 ،87
		العين		
وإذا المـــنية....	لا تنفع	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	173
وكأن....	ابتداع	الخفيف	التنوخي	155
وما الناس....	بلا قع	الطويل	لبيد بن ربيعة	156
		الفاء		
وفي الحروف....	الـــحرف	الرجز	الإفراني	164
وما انتفى....	المعرفة	الرجز	الإفراني	170
ومذهب....	تحفى	الرجز	الإفراني	174
		القاف		
هواي....	موثق	الطويل	جعفر بن علبة	161

وكأن....	أزرق	الطويل	أبو طالب الرقي	154
		اللام		
عضلت... ...	العضل	الطويل	الإفراني	107، 109
فبادر....	المطل	الطويل	الإفراني	107، 176
أسيدنا....	مثل	الطويل	الإفراني	175 ،108
صدغ الحبيب....	كالليالي	المجتث	مجهول	108، 155
فحدها......	الواضع له	الرجز	الإفراني	87، 122، 149
وههنا.	لا تمل	الرجز	الإفراني	85، 88
أولا فذي....	بلا مثيل	الرجز	الإفراني	160
عضلت...	العضل	الطويل	الإفراني	176
فإن تفق....	الغزال	الوافر	المتنبي	152
فالمفرد....	الواضع له	الرجز	الإفراني	157
فسمها أصلية....	تـــــجلـــى	الرجز	الإفراني	164
كأن قلوب....	البالي	الطويل	امرؤ القيس	154
عزماته....	أفـــول	الكامل	رشيدالدين الوطواط	156
وهل مجاز....	صـــــــحح نقلا	الرجز	الإفراني	168
والطول....	الإطالة	الرجز	الإفراني	88، 153
وثغـــره....	كاللئالي	المجتث	مجهول	155
وسم....	ما خلا	الرجز	الإفراني	176
وصاحب....	ما قـــبلا	الرجز	الإفراني	166
وهو الدلالة....	حَـــصَلا،	الرجز	الغبريني	151
		الميم		
أعيذها......	ورم	البسيط	المتنبي	35
وقفت........	نائم	الطويل	المتنبي	34
إن كنت.....	السما	الكامل	الواسطي	95، 104، 148
تمر........	باسم	الطويل	المتنبي	34
أو عينها....	ارتسم	الرجز	الإفراني	160
النشر مسك....	عنم	السريع	الإفراني	154
مع قرينة......	ستتضح	الرجز	الإفراني	87، 157

لدى أسد....	تــقــلـم	الرجز	زهير بن أبي سلمى	171
وقبل....	نظم	الرجز	ابن مالك	163

النون

من يستقم....	التمكين	الرجز	ابن الرومي	94، 104، 148
أبدى....	أفنانا	البسيط	الإفراني	75
أنا أشعر......	يأتيني	الطويل	الإفراني	76
الحمد لله...	العيدان	الرجز	مجهول	108، 159
وليس يخفى....	الأركان،	الرجز	الإفراني	88، 168

الهاء

وهاأنا.......	إحكامها	الرجز	الإفراني	88، 149
وحد ترشيح....	للمـــــستعار منه	الرجز	الإفراني	87
ومن هـــــــنا....	للتشبيه	الرجز	الإفراني	151
إن قصـــد....	المشبه	الرجز	الإفراني	173
فإن وجدتها....	مبادهة	الرجز	الإسفراييني	158
ولفـــظ....	بالمـــشـــبه به	الرجز	الإفراني	173

الواو

وأضرب....	حــــــرف الروي	الرجز	الإفراني	88، 112، 162
وهل حقيقة....	الجدوى	الرجز	الإفراني	115، 178

فهــــرس الأعـــلام

الألف:

- الأبار حمدون، 38
- الأثير ابن، 110
- الأخضر محمد، 15، 76، 32، 43، 182
- الأخضري، 54
- أدراق عبد الوهاب، 54، 55
- أذفال محمد بن، 44
- الأزدي عبد الوهاب، 3
- الأصبع ابن أبي، 99
- الأصبهاني داود بن علي، 113
- أكنسوس محمد، 18
- الأندلسي بدر الدين بن مالك، 4
- الأنصاري عبد الواحد بن عاشر،39، 51
- الأنطاكي داود، 55
- إدريس عبد الرحمان بن، 51
- الإدريسي الشريف، 23، 24
- الإسحاقي الشرقي، 27
- الإسحاقي محمد العربي، 43
- الإسرائيلي ابن سهل، 22، 57، 75، 82، 85، 109،
- الإسفراييني، 98، 111
- الإصبهاني أبو مسلم، 113
- الإفراني محمد الصغير ، 4، 5، 6، 9، 14، 16، 17، 18، 22، 30، 31، 35، 42، 44، 47، 49، 53، 56، 57، 59، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 125، 129، 144، 182، 183
- الإيلالي محمد بن الحسن، 33
- الايلالي أحمد بن عبد الله بن مسعود ، 31

الباء:

- باجه ابن، 23
- البخاري، 12، 18، 48، 69، 70، 71
- بر وكلمان، 65

- بردلة العربي بن أحمد، 69
- بروفنصال، 67، 73، 105،
- بصري محمد بن عبد الرحمان المقرئ، 26، 28
- البكري محمد، 62
- بناني أبو الحسن، 62
- بناني محمد بن عبد السلام الفاسي، 55
- بنبريك علي، 24
- بنمنصور عبد الوهاب، 76
- بنسودة عبد السلام، 43، 65
- بوحفرة، 70
- بوحمدي محمد، 86
- البوصيري، 29
- بوعبدلي سيدي محمد بن أحمد، 70
- البوعصامي البهلول، 26
- البوعصامي محمد، 22، 26، 29
- البوعقيلي أبو زيد، 55
- البيجري محمد بن عبد السلام، 25، 28

التاء:

- التازي أبو العباس أحمد بن فتوح، 43
- التافنكولتي، 63
- التجموعتي عبد الملك، 40، 69
- التجيبي أبو عثمان سعد بن أحمد، 4
- الترغي عبد الله المرابط، 23، 24، 25، 26، 29، 45
- الترمذي، 49، 107
- التريكي أحمد، 21
- التساسي جمال الدين، ، 99، 103، 121،
- التستاوتي أبو العباس أحمد بن عبد القادر، 40، 44
- التستاوتي العياشي، 44
- التفتازاني سعد الدين، 57، 98، 101، 111
- التفنكلتي محمد، 20، 63
- التلمساني سعيد المنداسي، 21، 28
- التمكروتي علي بن محمد، 60
- التمنارتي زيد عبد الرحمان بن محمد أبي، 17، 62
- التنبكتي أحمد بابا، 31

الثاء:

- الثالث محمد، 14

الجيم:

- الجاذري، 55
- الجراري عباس، 21، 130
- الجرجاني عبد القاهر، 4، 110، 111، 114، 115، 116، 125
- الجرير، 62
- الجزري ابن. ، 49
- الجزولي أبو العباس، 37، 41، 52، 53
- الجزولي محمد بن سليمان. ، 53
- الجسوس عبد السلام. ، 20، 70
- جلاب حسن. ، 52، 96
- جموع أبو الفضل مسعود بن محمد، 47
- الجنيد أبو القاسم، 37
- الجوزية ابن القيم، 110
- الجوهري، 92

الحاء:

- الحاج محمد، 11، 12، 61
- الحاحي يحيى، 9، 10
- حجي محمد، 24، 29، 31، 36، 38، 65
- الحراق عمر، 20، 27، 29
- حركات إبراهيم، 9
- الحريري، 63
- حسني عبد السلام بن الطيب القادري، 58، 59
- حسون، أبي، 9، 10، 11
- حسين عبد الله بن، 39
- الحلبي أحمد بن عبد الحي، 22، 62، 63، 69، 110
- حلي عمر، 83
- الحمامي أحمد بن علي الريفي، 19
- الحميدي عبد الواحد، 31
- الحوات أبو الربيع سليمان، 42، 65، 75، 76، 65، 66، 92

الخاء:

- الخطيب لسان الدين بن، 23
- خليل، 44، 50
- الخياط عبد الله، 58

الدال:

- دادوش أحمد... ، 29
- الدرعي أحمد بن إبراهيم، 39
- الدرعي أحمد بن ناصر، 60،
- الدرعي أبو إسحاق إبراهيم، 40
- الدرعي الحسن، 38
- الدرعي محمد بن ناصر، 22، 52،
- الدرقاوي عبد الله، 67
- الدغوغي أبو العباس أحمد، 62
- الدقاق محمد، 42
- الدلائي أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، 12
- الدلائي أبو الحارثي أحمد بن بكر، 37
- الدلائي الشرقي بن أبي بكر. ، 38، 50، 57
- الدلائي الطيب بن الشاذلي، 26
- الدلائي الطيب بن المسناوي، 34، 38
- الدلائي عبد الرحمان بن أبي بكر، 34، 37
- الدلائي عبد السلام بن الشاذلي، 26
- الدلائي أبو عبد الله المسناوي، 59
- الدلائي محمد المرابط، 37، 62، 95
- الدلائي محمد المسناوي، 37، 50، 53، 58
- الدلائي محمد بن أبي بكر، 36، 37، 38، 48
- الدلائي محمد بن عبد الرحمن، 47
- الدلائي محمد بن محمد الشاذلي، 38
- الدماميني، 103، 121، 167

الذال:

- الذهبي المنصور، 9، 29، 31

الراء:

- رازكة عبد الله الشنجيطي ابن، 28
- الرازي الفخر، 4
- الراضي اليزيد، 17
- الرسوكي أحمد سليمان الفرضي، 31
- الرسوكي محمد بن أحمد، 33
- الرسول ﷺ 46
- رشيق ابن، 110
- الروداني محمد بن سليمان، 22، 55، 56، 57، 63

- الرومي ابن، 94، 104، 108، 117

الزاي:

- زاكور محمد بن، 21، 22، 44، 50، 56، 57، 62، 63
- الزبادي عبد المجيد بن علي، 60
- الزبير مهداد، 24
- الزركلي خير الدين، 65
- الزرهوني محمد بن إبراهيم، 65، 70، 79
- زروق أحمد. ، 52، 53
- الزرويلي علي مصباح، 19، 20، 61، 63
- زكري محمد بن، 48، 51، 53، 55، 56، 69
- زمامة عبد القادر، 32
- الزمخشري، 4، 74، 98، 112، 116
- الزملكاني، 110
- الزموري أحمد، 31
- زيدان. ، 9، 10، 20، 44

السين:

- السبكي بهاء الدين، 98، 117
- السجلماسي أحمد الهلالي، 4، 29، 56، 18
- السحيمي عبد الحق بن عبد الكبير، 28
- السعدي المنصور، 9، 24
- السقاط عبد الجواد، 35، 46، 74، 83، 89
- السكاكي، 4، 80، 81، 86، 87، 92، 98، 101، 102، 103، 110
- السكتاني، 34
- السكيوي بوشتى، 5، 89
- السمرقندي، 98
- السملالي حسون أبو، 9، 10
- سودة أبو القاسم بن، 31
- سودة عبد السلام بن، 83
- سودة محمد بن، 38
- سودة، ابن 74
- السوسي أحمد بن علي المواسي، 31، 67
- السوسي أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتي، 31
- السوسي محمد المختار، 66، 65
- السوسي محمد بن أبي مدين، 25
- السوسي محمد بن سعيد المرغيثي. 38، 55

- سيبويه، 39
- سيف الدولة، 34
- سيكرج أحمد بن العياشي، 82
- سينا ابن، 55
- السيوطي، 83، 99

الشين:

- الشاذلي عبد اللطيف، 65
- الشاذلي محمد بن أحمد، 62
- الشاذلي محمد، 38
- الشاذلي، 53
- الشاوي درا ابن، 28
- الشباني عبد الكريم، 16
- الشبيهي يحيى بن عبد الواحد الجوطي، 29
- الشدادي أحمد الكبير، 26
- الشرقي الصالح، 43
- الشرقي عبد الخالق، 43
- الشرقي أبو عبيد محمد، 42
- الشرقي محمد الصالح، 43
- الشرقي محمد المعطى، 43
- الشرقي محمد بن الطيب، 48، 56
- الشرقي محمد، 61، 63
- الشريشي، 62
- شلبي هند، 93
- الشيخ أحمد بن أبي العباس، 10
- الشيخ عبد القادر. ، 53
- الشيخ محمد، 9

الصاد:

- الصومعي محمد بن عبد الرحمن، 39

الضاد:

- الضعيف، 16، 19

الطاء:

- الطباع عمر، 34
- طبانة بدوي، 3
- الطيب العلمي ابن، 29
- الطيبي، 99

العين:

- عاشر عبد الواحد بن، 84
- العالم محمد، 12، 33، 32، 35
- العباسي، 98
- عبد الجبار ابن، 45
- عبد الله أبو محمد بن عبد الرحمان، 83
- العروي، عبد الله، 10، 11، 82
- عز الدين بن عبد السلام، 115
- العزيبي البشير، 66
- العزيزي، 98
- العصامي بهلول، 40
- العصامي، 95، 98، 112
- عطاء الله ابن، 53
- العكاريان الأخوان، 39
- علاء بن زهر أبو، 23
- العلمي محمد بن الطيب، 62، 70
- العلمي، 63
- علوش سعيد، 88
- العلــوي اساعيل، 11، 13، 14، 18، 19، 20، 21، 23، 25، 27، 29، 35، 45، 59، 73، 74
- العلوي الرشيد، 11، 18، 19، 20، 21، 68
- العلوي محمد بن إساعيل، 21
- العلوي مولاي حفيظ، 82
- العلوي هاشم، 76
- علي الإمام، 68
- العماري أحمد، 16
- عمري محمد، 10، 14، 19، 66، 67، 79، 92
- عمور أحمد، 61
- العميري سعيد بن أبي القاسم، 26، 69، 99، 104
- العنبري أبو البقاء، 34
- العياشي أبو سالم، 21، 45، 62، 63
- العياشي عبد العالي بن أحمد بن محمد بن عبد الجبار، 46
- العياشي عبد الله بن محمد، 60
- العياشي عمر بن عبد الكريم، 46
- العياشي محمد بن أبي بكر، 44

- العياشي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، 45، 46
- العياشي محمد بن محمد عبد الجبار، 45
- العياشي محمد بن يوسف، 45، 46
- العياشي محمد، 10
- عياض، 74

الغين:

- غازي بن أحمد، 74
- الغبريني، 98، 111
- الغزيوي علي، 25
- الغساني أحمد بن عبد الوهاب الوزير، 47، 59، 70

الفاء:

- فارس أبو، 9
- فارس ابن. ، 49
- الفاسي أبو حامد العربي بن يوسف، 48، 50، 54
- الفاسي أحمد بن عمران، 38
- الفاسي العربي، 39
- الفاسي حامد العربي بن يوسف أبي، 62
- الفاسي زيد أبي، 55
- الفاسي عبد الرحمن بن محمد، 28، 48
- الفاسي محمد المهدي، 53
- الفاسي محمد بن المهدي، 58
- الفاسي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر، 69
- الفاسي محمد بن عبد الرحمان. ، 22، 69
- الفاسي مدين، أبو 62
- فان ديك، 92
- الفرزدق، 62
- الفشتالي، 32
- الفلوسي محمد المفضل، 29
- الفناري، 98، 111
- الفهري، محمد البشير بن عبد الله الفاسي، 10
- الفيروز أبادي، 92، 98

القاف:

- القادري أحمد، 39
- القادري عبد السلام بن الطيب، 54
- القادري محمد بن الطيب، 12، 36، 65، 76

- القادري محمد، 92
- القادري، 16، 58
- القاسم الغساني أبو، 23
- القاسم بن أبي النعيم أبي، 31
- القاص ابن، 113
- القاضي أحمد بن، 31، 38
- القاضي ابن، 57
- القاضي عبد الرحمان ابن، 51
- القاضي عبد الوهاب، 94، 99، 113
- القرطاجني الحسن حازم (ت 684 هـ)، 4
- القرطاجني، 116
- القزويني، 98، 99، 101، 110، 111، 115
- القسطلاني، 49
- القيسي محمد بن محمد، 27

الكاف:

- الكتاني عبد الحي، 65
- الكتاني يوسف، 23
- كثير ابن، 51
- كنون عبد الله، 65
- كوديرا"، 73،
- كيران محمد الطيب بن عبد المجيد بن، 4

اللام:

- لوقش عمر، 26

الميم:

- مأمون عبد الله بن الشيخ، 10
- مأمون محمد الشيخ، 9
- مالك (ابن)، 56، 68
- مالك الإمام، 18
- المتنبي، 35، 35
- المحاصي عبد الله محمد بن الحسين أبي، 27
- المحاصي محمد بن الحسن، 25، 28
- محرز أحمد بن، 12
- محلي، ابن أبي، 9
- محمد بن حمزة بن أبي سالم، 46
- محمد بن سعيد قدورة، 21

- محمد بن سليمان. ، 19
- محمد يوسف التملي، 31
- المراكشي البناء ابن، 93
- المراكشي العباس بن إبراهيم، 65
- المراكشي بكر الفرجي أبو، 26
- المراكشي محمد بن محمد الرحماني، 31
- المراكشي محمد بن مسعود، 39
- المراكشي محمد بن يوسف التاملي، 31
- المراكشي محمد عثمان، 30
- المراكشي، 42، 43، 74، 92
- المراني الفقيه الصالح العربي، 30، 69
- المريني محمد بن الطيب بن مسعود، ، 70
- مزين محمد، 67، 79
- المسناوي ابن، 22
- المسناوي أ بوعبد الله محمد، 69، 94، 104، 99
- المسناوي محمد بن أحمد، 32
- المسناوي محمد، 58، 63
- مصباح وناس بن، 91
- المطرف أحمد بن عميرة المخزومي أبي، 4
- المطرفي أحمد بن حميد، 55
- مطلوب أحمد، 97، 110، 116
- المعداني الحسن بن رحال، 26، 43، 49، 69
- المعزاوي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفاسي الشاوي، 28
- المقري أحمد، 39
- المكناسي عبد الرحمان بن عبد القادر السويدي، 40
- المكناسي عبد القادر بن شقرون، 27، 29، 44
- المكناسي عبد الوهاب ابن الشيخ، 44
- المكودي، 57
- المنجرة إدريس بن محمد، 51
- المنجور أحمد، 31
- المنداسي سعيد، 21
- مندوصة علي، 61، 63
- المنوني محمد، 19، 65
- المهدي الفاسي، 59
- ميارة، 50

- الميسوري أبو الطيب، 44

النون:

- ناصري محمد المكي بن موسى، 65، 92
- ناصري، 15، 16، 75
- النجار محمد رجب، 29
- النفزي أبو حيان الأندلسي الغرناطي، 4

الهاء:

- الهداجي علي بن محمد، ، 38
- هيدور ابن، 93

الواو:

- واسطي قوام الدين، 104
- واسطي محمد، 87
- الوجاري، 60
- الورزازي محمد بن محمد بن عبد الله، 55
- الولاتي محمد بن عمر، 28
- الولالي أحمد بن يعقوب، 4، 26، 39، 55، 57

الياء:

- اليحمدي أبو العباس أحمد بن الحسن، 19
- اليحمدي محمد بن الحسن، 27
- اليفراني، 67
- يوسف (ابن)، 76
- يوسف عليه السلام، 106
- اليوسي الحسن بن مسعود، 20، 39، 40، 42، 49، 53، 54، 56، 62، 63

فهرس الكتب الواردة في التحقيق

●إيضاح الإيضاح، 167
●الإتقان، 179، 116، 120
●الأطول، 158، 174
●الإيضاح شرح، 167، 121، 103
●الإيضاح في علوم البلاغة، 125، 143، 155
●بديع القرآن، 169
●التبيان في المعاني والبيان، 177
●التعريفات، 151، 160
●التلخيص، 151، 152
●تلخيص المفتاح شرح، 143، 149، 158، 177، 179
●التلخيص شروح، 155
●تحرير التحبير، 169
●تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك، 144
●تلخيص المفتاح، 146، 149، 157، 175
●حـــواشـــي العباســـي عـــلى المحلـــي 146
●حواشي المطـــول، 150
●حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف للزمخشري، 151، 152
●حاشية المطول، 150، 171
●حاشية المغـــني، 167
●حاشية على المطول، 152
●حاشية على صدر الشريعة، 152
●دلائل الاعجاز، 154
●الصحاح، 158
●عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، 143، 177، 179

●غريب القرآن، 147

●الفرائد، شرح، 175

●الفريدة، شرح، 180

●الفرائد، 172، 177

●القاموس، 144، 145

●الكشاف، 112، 116، 152، 161، 176، 177

●كبير على البردة، شرح، 151

●الكشياف شروح، 172

●المصباح في المعاني والبيان، 157، 163

●المطول، 57، 100، 101، 102، 103، 123، 144، 150، 151، 153، 162، 164، 166، 167، 168

●المفتاح، 53، 86، 101، 144، 167

●المفتاح، شرح، 163

●مصباح، 43

●منهاج البلغاء، 144، 149

●نتائج التحصيل في شرح التسهيل، 148

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي، حسن جلاب. ط 1، 1997 م، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش.
- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبارحاضرة مكناس، لعبد الرحمان بن محمد بن زيدان 1365 هـ/1946 م، المطبعة الوطنية الرباط.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:، ج2. ط 3، 1370هـ/1951 م، مطبعة البابي الحلبي مصر.
- أثر المنطق في البلاغة العربية محمد الواسطي مجلة فكر ونقد، عدد 41 شتنبر 2001 م.
- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت،، ط3، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي 1409/1989م.
- الأرجوزة في الأدب العربي، لعبد الجواد السقاط المناهل ع 35/ دجنبر 1986، السنة الثالثة عشر.
- الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبد الرحمان، مجلة المناظرة، عدد 4، السنة4، مايو، 1991م.
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، صححها وعلق عليها محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، مصر، د. ت.
- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، ط 1، 1328هـ مطبعة السعادة، مصر.
- الأطول، شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، ط1، المطبعة السلطانية، 1284هـ.
- أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور، دار النشر: المطبعة الملكية، الرباط، 1419هـ/1988م.
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن إبراهيم المراكشي ط المطبعة الملكية، الرباط، 1974م.

- الإفـــراني وقـــضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17 و18. محمد العمري،، 1992، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء.
- الأنـــيس المطـــرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973.
- الإيـــضاح للخطـــيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ج 1، مكتبة الحسيني التجارية، ط 1، 1368هـ/1949م.
- الاستقـــصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1956.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، فهرس أبي سالم العياشي، تحقيق: نفيسة الذهبي، ط1، 1996م، مطبعة النجاح الجديدة.
- بديـــع القـــرآن لابـــن أبي الأصـــبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، ط1، 1377هـ-1957م، مكتبة نهضة مصر.
- بردة البوصيري، قراءة أدبية وفلكلورية، د. محمد رجب النجار، الحولية السابعة، 1406-1986، كلية الاداب جامعة الكويت، 1986م.
- البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1397 هـ- 1957م.
- البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- البلاغة والسلطة في المغرب عبد الجليل ناظم، ط1، دار توبقال للنشر 2001م.
- البوح والكتابة. عمر حلي، ط 3-، مطبعة دار وليلي. 2002م.
- البيان العربي بدوي طبانة ط 3، 1952، القاهرة.
- تأويـــل مـــشكل القـــرآن، تحقـــيق الـــسيد أحمد صقر، عيسى الحلبي، القاهرة 1373 هـ.
- تارودانت حاضرة سوس، ندوة نظمتها كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، سنة 1988، ط 1993.
- تارودانـــت في أقلام المؤرخين، عبد القادر زمامة، مقال ضمن ندوة تارودانت: حاضرة سوس، ط 2، 1997م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- تاريخ الأدب العربي، بر وكلمان، القسم 7. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995.

- تاريخ الضعيف، أو تاريخ الدولة السعيدة، لمحمد الضعيف الرباطي، تحقيق: أحمد العماري، ط 1، 1406هـ/1986م.، نشر دار المأثورات.
- تاريخ تطوان، محمد داود، ط 2، المطبعة المهدية، 1379هـ/1959 م.
- تجربة التعليم العالي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري، مقال للأستاذ علي بنبريك في مجلة الجامعة التي يصدرها اتحاد جامعات العالم الإسلامي، العدد 3، 1423هـ/2002م.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون ط 5، ، مكتبة السنة، مصر، 1994م.
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405 هـ.
- التقاط الدرر للقادري، هاشم العلوي القاسمي، ط 1، 1981 م، دار الآفاق الجديدة بيروت.
- التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمان القزويني الخطيب، طبعه وشرحه عبد الرحمان البرقوقي، ط 2/ سنة 1350 هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- التيار الصوفي في الأدب خلال العصر العلوي، حسن جلاب مجلة دعوة الحق عدد 316.
- التيارات السياسية والفكرية بالمغرب. إبراهيم حركات، ج 3. ط 2،، ملحق المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، 1994.
- الجامع الصحيح للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، دار الطابعة العامرة، 1331 هـ، د. ت، ج 6/ 39-40.
- الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، محمد عثمان المراكشي، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1356هـ-1937م.
- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي. ج 1، تحقيق: أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، 1994.
- حاشية المطول لسيد جبلي، مطبعة السعادة سنة 1309هـ.
- حاشية سعد الدين التفتازاني (ت 791 هـ) ج: 1 و 2، ص 582، ط 1،

المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، سنة 1316هـ.

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، ج 1و2، مطبعة فضالة. 1976.
- الحماسة المغربية لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراري التادلي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط 1 بيروت لبنان، دار الفكر دمشق،، 1991 م.
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية محمد الأخضر، دار الرشاد، الدار البيضاء 1977م.
- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، 1948القاهرة.
- خزانة القرويين بين الماضي والحاضر والمستشرف... علي لغزيوي، دعوة الحق، عدد 363 يناير 2002م.
- الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، لمحمد المكي بن موسى الناصري، تحقيق: محمد الحبيب نوحي، بحث مرقون نال به دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، سنة 1988. (نسخة مصورة).
- دلائل الاعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط 2، 1410هـ-1989م مكتبة الخانجي.
- دليل بنسودة، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري ط 2، 1956م، دار الكتاب الدار البيضاء.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء عبد الله العكبري، تحقيق الدكتور عمر الطباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1418/ 1997.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، د. ت.
- **ديوان البحتري، ط 1، حسن كامل الصيرفي، تحقيق دار المعارف، 1963.**
- ديوان الصنوبري، تحقيق إحسان عباس، ط 1،، دار صادر، بيروت، لبنان 1998م.
- ديوان زهير ابن أبي سلمى، صنفه الأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط 1، 1390هـ/م 1970.
- ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت لبنان، 1966م.

- رحلة الوافد، عبد الله بن ابراهيم التاسافتي، تحقيق: علي صدقي أزايكو، 1992م.
- رسائل أبي علي اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة فاطمة القبلي خليل، ج 1، دار الثقافة الدار البيضاء، ط 1، 1981.
- الروض المريع في صناعة البديع، لابن البناء المراكشي، تحقيق رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، ط 2، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، 1415هـ/1995م.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، لمحمد حجي، ط 2، مطبعة النجاح 1988.
- السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية لابن المؤقت المراكشي، ط 2، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء.
- سنن ابن ماجة، باب العزلة، ج 2، حققه: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي 1952 م.
- سنن الترمذي، ط1، 1350هـ/1931م، المطبعة المصرية.
- سوس العالمة، محمد المختار السوسي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1380هـ/1960م.
- السياسة والمجتمع في العصر السعدي إبراهيم حركات،، ط 1997، دار الرشاد الحديثة.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط 16، دار الفكر، بيروت.
- شرح ديوان حماسة أبي تمام (المنسوب لأبي العلاء المعري)، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: د حسين محمد نقشة. 1991 م.
- الشروح الأدبية ذات الاتجاه النقدي والبلاغي.. بوشتى السكيوي، ضمن كتاب الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، ندوة دجنبر 1987 م.
- شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر، د. ت.
- الشروح الشعرية في الأدب المغربي، دعوة الحق، عدد 286.
- الشعر الدلائي، عبد الجواد السقاط ط 1، 1985م، مكتبة المعارف.
- الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، د. ت.
- صحيح البخاري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، رجب الفرد، 1345هـ.

- صحيح مسلم. نظارة المعارف الجليلة، دار الطباعة العامرة، 1331هـ، مصر.
- صفوة من انتشر، محمد الصغير الإفراني، مخطوط خزانة الإمام علي بتارودانت، رقم: 60.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور دار التنوير للطباعة والنشر 1983م.
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر. دار المعارف للطباعة والنشر، د. ت.
- عبقرية اليوسي، عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401هـ/1981م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، ط 1 ودار المعرفة، 1988م.
- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر. 1922م.
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1990.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، المطبعة الجديدة، فاس، 1345هـ.
- فهارس علماء المغرب، عبد الله المرابط الترغي، ط 1، 1420 هـ/1999 مطبعة النجاح الجديدة.
- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد الحسني الإدريسي الكتاني، المطبعة الجديدة، ج 2، فاس 1347 هـ.
- الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة لأبي زيد عبد الرحمان التمنارتي، تحقيق: اليزيد الراضي، ط 1، 1999، مطبوعات السنتسي الدار البيضاء.
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط 2، المطبعة الحسينية، سنة 1344 هـ.
- قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لمحمد البشير بن عبد الله الفاسي المغرب ط 1، مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية الرباط، 1962.
- قرى الضيف، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس (ابن أبي الدنيا)،

ط 1، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، دار النشر أضواء السلف، الرياض، 1997.
- القصيدة، عباس الجراري، مطبعة الأمنية الرباط.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمد بن عمر الزمخشري، مطبعة بولاق، تهذيب وتصحيح، محمد قطة العدوي، 1381 هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ط 1، دارالسعادة، 1311هـ.
- كيفية صياغة التعريف عند السكاكي، د. محمد بوحمدي مجلة دراسات مصطلحية العدد 1، 2001م.
- لسان العرب، لابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، 1389هـ/1970م.
- مؤرخو الشرفاء" لبروفنصال، تعريب عبد القادر خلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/1977م.
- المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، آسية الهاشمي البلغيثي، ج 1، ط وزارة الأوقاف 1416 هـ/1996 م.
- مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبري إلى التحرير، عبد الله العروي، ج 3، ط 1، 1989م المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- مجهول البيان لمحمد مفتاح، ط 1، 1990، دار توبقال.
- المحاضرات للحسن اليوسي، أعدها للطبع محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1976.
- مدرسة الإمام البخاري في المغرب، يوسف الكتاني، ج 1، دار لسان العرب بيروت.
- مراكز الدرس والتكوين وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل، مقالة بمجلة دعوة الحق، للدكتور عبد الله المرابط الترغي، عدد: 324، دجنبر 1996.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ط 1، ج 1، سنة 1988، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية.
- المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل الإسرائيلي، تحقيق: محمد العمري سنة

1997 م.

- مسند الإمام أحمد، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ج 17، ط 1، 1948.
- المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، 1984، المكتبة الجامعية الدار البيضاء.
- المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1، 2001 م.
- معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن أحمد العباسي، المطبعة المصرية، 1316 هـ.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. مطبعة الاستقامة القاهرة،، ط 1، 1368هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها أحد مطلوب ص 371 مكتبة لبنان ناشرون ط 2. 1996م.
- معجم المؤلفين، رضا كحالة،، مطبعة الترقي، دمشق 1961.
- المعسول، محمد المختار السوسي، مطبعة النجاخ البيضاء، 1380هـ/1960م.
- المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات،، ج 3، ط، 1 دار الرشاد الحديثة 1985.
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ط 1، 2000م دار الكتب العلمية، بيروت.
- مفهوم البيان في الدراسات البلاغية بالمغرب خلال ق 7 و 8 الهجريين، عبد الوهاب الأزدي، بحث مرقون نال به صاحبه دبلوم الدراسات العليا في الآداب، كلية الآداب، الرباط، سنة 1995-1996م.
- مفهوم الشعر، جابر عصفور، ط 2، 1982، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
- المقدمة، لابن خلدون، المطبعة الخيرية، مصر، 1322هـ.
- مكتبة السيوطي، لأحمد الشرقاوي إقبال، 1977، دار المغرب، الرباط.
- ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية وناس بن مصباح، مجلة الحياة الثقافية التونسية عدد 41. 1986.
- من مؤرخي الإشراف اليفراني صاحب النزهة، لمحمد مزين،، المناهل ع 36/ يوليوز 87 السنة الرابعة عشرة.
- مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق أطروحة لنيل دكتوراه الدولة

في الآداب للدكتور علي لغزويني، سنة 1989-1990م.

- مناهج شراح الشعر بالمغرب المناهل ع 39/ دجنبر 1990، لعبد الجواد السقاط، السنة السادسة عشرة.
- مـــناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء لأبي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، تحقيق: عبد الله كنون، المطبعة المهدية، 1384هـ/1964م.
- مـــنهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجي، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1986.
- المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، عبد الله العروي وآخرون، ط 1، 1986، دار توبقال.
- الموســـوعة المغـــربية للإعلام البشرية والحضارية عبد العزيز بن عبد الله،، ط 4، مطبوعات وزارة الأوقاف. 1981، مطبعة فضالة المحمدية.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني ط 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1975م.
- نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 2000م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- نزهة الحادي للإفراني، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، ط 1، 1998 مطبعة النجاح الجديدة.
- نـــزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- نشاط محمد العالم العلمي والأدبي بتارودانت خلال القرن الثاني عشر الهجري، علال معكول، ضمن ندوة تارودانت حاضرة سوس، 1988.
- نـــشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي، 4 ج، أحمد التوفيق، نشر مكتبة الطالب، الرباط، 1982.
- نـــشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977.
- نظرية الأدب في القـــرن العشـــرين ترجـــمة وتقديم محمد العمري سنة 1996، إفريقيا الشرق.

- نظـرية الشعرعند الفلاسفة المسلمين، ألفت كمال الروب، دار التنوير بيروت، 1983م.
- السنكت في إعجاز القرآن للرماني تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط 2، دار المعارف، مصر 1968م.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، 2004 م، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1992.
- وصف أفريقيا للحسن بن محمد الوزان، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1968.
- الطـراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة 1914م.

المخطوطات:

- البدور الضاوية في التعريف بأهل السادات الزاوية الدلائية م. خ. ع. الرباط. رقم: 261.
- صفوة من انتشر، محمد الصغير الإفراني، مخطوط خزانة الإمام علي بتارودانت، رقم: 60.

المجلات:

- الحياة الثقافية التونسية عدد 41. 1986م.
- الجامعة التي يصدرها اتحاد جامعات العالم الإسلامي، العدد 3، 1423هـ /2002م.
- فكر ونقد، عدد 41 شتنبر 2001 م.
- دعوة الحق عدد 316.
- دعوة الحق، عدد: 363يناير 2002م.

- دعوة الحق، عدد: 324، دجنبر 1996م.
- المناظرة، عدد 4، السنة 4، مايو، 1991م.
- المناهل ع 35/ دجنبر 1986، السنة الثالثة عشر.
- المناهل ع 36/ يوليوز 87 السنة الرابعة عشرة.
- المـــناهل ع 39/ دجنـــبر 1990، ص 211 لعبد الجواد السقاط، السنة السادسة عشرة.

فهرس المحتويات

المقدمة 3
القسم الأول / المؤلف وأرجوزته 7
الفصل الأول / عصر المؤلف وترجمته..9
المبحث الأول: عصر المؤلف...9
1- الوضع السياسي 9
2 - الوضع الاجتماعي 14
3 - الوضع الثقافي... 17
أ - أسباب النهضة الثقافية 17
ب - المراكز الثقافية.. 23
1- المدن... 23
فـــاس 23
مكناس 25
ب - اتخاذ السلطان مكناس عاصمة واهتمامه بمجالس العلم بها 27
ج. كون مكناس مركز جذب للعلماء والطلبة 27
د. ازدهار علوم عديدة بمكناس 28
مراكش 29
تارودانت 32
- محاولات نقدية 33
2- الزوايـــــا 35
الزاوية الدلائية 36
2. الأساتذة من غير أبناء الزاوية 38

3. تلاميذ الزاوية الدلائية 39
الزاوية الناصرية 39
1. نشاط حركة التدريس 40
2. إنشاء مكتبة الزاوية الناصرية 40
3. الرحلات الجماعية إلى الحج 41
4. التأليف 41
5. ازدهار التأليف في الأدب بالزاوية 42
الزاوية الشرقاوية 42
الزاوية العياشية 44
ج- ثقافة العصر 46
1. الثقافة النقلية والفقهية 46
أ- السيرة النبوية 46
ب - الحديث النبوي 48
ج- الفقه والأصول والتوحيد 49
د - التفسير والقراءات 51
هـ - التصوف 52
2. الثقافة العقلية اللسانية 53
أ - المنطق 54
ب - الطب 54
ج - التنجيم 55
اللغة وعلومها 56

أ- في النحو.. 56
ب- في اللغة.. 56
ج - في الصرف 57
د - في البلاغة 57
هـ - في العروض... 57
3. الثقافة التاريخية والأدبية 57
أ-التاريخ 57
* محمد الصغير الإفراني (ت بعد 1155هـ)......................... 59
ب- الأدب 60
1- كتب الأدب العامة.. 61
2. شروح النصوص الأدبية 62
3. دواوين الشعر 62
4. النثر الفني: ألفت فيه مؤلفات عدة منها............................ 63
المبحث الثاني: ترجمة المؤلف 65
1- اسمه ونسبه.. 66
2 - أسرته.. 66
3 - ولادته 67
4- تلقيه وشيوخه 67
5- تصدره للتدريس.. 70
6- مؤلفاته 72
1. التاريخ والتراجم.. 73

2. الأدب.. 75
- الإفادات والانشادات.. 75
- أشعار متفرقة.. 75
7- وفاته 76
الفصل الثاني / النصّ وقيمته... 77
المبحث الأول: مضامين النص.. 77
المبحث الثاني: منهج التأليف. 77
المبحث الثالث: مصادر النص. 77
المبحث الرابع: شـــواهــــــــده. 77
المبحث الخامس: تقويم النص: اتباع أم ابتداع. 77
توطئة... 79
المبحث الأول: مضامين النص 80
المبحث الثاني: منهج التأليف 82
- المنظومة 82
أ- العنوان 82
ب - هيكل الأرجوزة 83
ج - أسلوبه في نظمه 85
د - منهجه في الأرجوزة... 86
1. الضبط والحصر (الحد)... 86
2. التقسيم.. 87
3. الإيجاز 88

4 - الشرح.. 88
أ- منهجه في الشرح 89
هيكل الشرح 89
منهجه في الشرح.. 91
أسلوب الشرح.. 92
خصائص الشرح 93
المبحث الثالث: مصادر النص 98
1 - تنوع المصادر 99
2 - الامتياح من المشرقي والمغربي.. 99
3- اعتماد مصادر مكتوبة وشفوية..100
4- المصادر من منظور وظيفي 100
أ- مصادر ذات وظيفة بنائية 100
ب - مصادر ذات وظيفة ترجيحية 103
ج - مصادر ذات وظيفة استئناسية 104
5- تعامل الإفراني مع المصادر..105
المبحث الرابع: شواهد النص 106
1 . القرآن الكريم..106
2 . الحديث النبوي 107
3 . الشعر 108
المبحث الخامس: تقويم النص، اتباع أم ابتداع 109
1 . التشبيه 110

2 . الـــمجاز..111
1 - الاستعارة 112
2 - الكناية..115
3 - التخييل 116
استدراكات 119
موقع الأرجوزة 122
أ- المدرسة الكلامية..122
ب - المدرسة الأدبية..124
الفصل الثالث / منهج التحقيق 127
المبحث الأول: النسخ المعتمدة..127
المبحث الثاني: منهج التحقيق..127
المبحث الأول: النسخ المعتمدة..129
1 - نسخة خزانة الإمام علي بتارودانت، رمزها "ع" 129
2 - نسخة الخزانة الملكية رمزها "م" 130
3 - نسخة خزانة أكلو: رمزها هو "أ" 131
المبحث الثاني: منهج التحقيق..131
نماذج من صور المخطوط 134
ياقوتة البيان..141
القسم الثاني: النصّ المحقق 143
السمط الأول: في تعريف المجاز اللغوي وتقسيمه 157
السمط الثاني: في الاستعارة التصريحية وأقسامها 163

السمط الثالث: في الاستعارة بالكناية والتخييلية 173

خاتمة 182

فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب السور 187

فهرس الأحاديث 189

فهرس الأشعار 190

فهـــــرس الأعـــــلام 194

فهرس الكتب الواردة في التحقيق.. 205

المصادر والمراجع 207

فهرس المحتويات 218

هذا الكتاب

اهتم العرب بالبيان الذي كان يرادف عندهم البلاغة وبلغوا في العناية به الغاية وملكوا أعنته وأفاضوا القول في الحديث عنه وتأليف الكتب والمصنفات فيه، قصد التوصل إلى فهم طبيعة اللغة الأدبية وكيفية اشتغالها جماليا، وتبين أوجه إعجاز القرآن الكريم ونواحيه.

وإذا كانت البلاغة قد اشتد عودها، واتضحت معالمها، وآتت أكلها في المشرق بجهود بلاغيين مبرزين أمثال: عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والفخر الرازي، والسكاكي، وغيرهم، فالضفة الغربية «لم تكن بعيدة عن هذه التطورات، لأن العلاقات كانت متواصلة دائما بين أطراف العالم الإسلامي، فإن المغرب سرعان ما تأثر بالتوجه الفكري العام المهيمن على الدراسات الأدبية المشرقية، وذلك عن طريق هجرة نخبة من علماء المشرق إلى المغرب، وانتشار كتب المشارقة في الأوساط الثقافية المغربية تدريسا أو شرحا أو تلخيصا أو معارضة».

والأرجوزة التي تناولها الباحث تحقيقا ودراسة، هي من بين الأعمال والتآليف التي أبان بها المغاربة عن مشاركتهم في الميدان البلاغي، وهي من نظم المؤرخ الأديب محمد الصغير الإفراني وتعليقه.

وقد قسم العمل قسمين:

أما القسم الأول فقد خصصه للدراسة ويتضمن ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: عصر المؤلف وترجمته.

الفصل الثاني: النص وقيمته.

الفصل الثالث: منهج التحقيق.

وأما القسم الثاني فهو مخصص للنص المحقق.



ISBN 978-2-7451-5731-7

9 782745 157317 90000

